اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث

تأليف
الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة
رئيس مجمع اللغة العربية الأردني

من منشورات مجمع اللغة العربية الاردني

الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م

الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ــ ١٩٨٨م

عمان ــ الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وردتني رسائل عديدة من أصدقاء وباحثين ، يستفسرون فيها عن بعض ما كنت قد نشرته حول بعض قضايا التعريب . وكان ما نشر في هذا الباب ، على تواضعه ، نتاج اهتمام صادق بقضايا العربية في العصر الحديث ، وإيمان عميق بأن العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، تكوّن جوهر وجود أمتنا العربية . وأنها هي وحدها التي حفظت بقاء أمتنا ووحدة انتمائها على مر العصور ، وأن لا سبيل لنهضة هذه الأمة ووحدتها في العصر الحاضر إلا من خلال لغتها . فلا عجب بعد ذلك إذا رأينا أن سهام الاستعمار وأعوانه من الحاقدين على العروبة والإسلام ، توجه أول ما توجه إلى النيل من هذه اللغة الخالدة التي شرفها الله ـ سبحانه وتعالى ـ بأن جعلها لغة القرآن الكريم .

ورأيت أن ما نشر أصبح شتاتا متفرقا في مجلات وصحف ودوريات في الوطن العربي وخارجه ، وأنه ربما كان من المفيد أن أحاول جمع ما أستطيع جمعه من هذه البحوث والمقالات

والأحاديث ، وتنسيقها ، واستبعاد ما هو خارج عن اطار «العربية وقضايا التعريب» .

ونظرت في هذه البحوث والأحاديث فوجدتها جميعها تنضوي تحت موضوع شامل هو : اللغة العربية وقضايا التعريب في العصر الحديث . واستخدمت مصطلح «التعريب» بمفهومه الحديث الذي بات يدل على جعل العربية لغة التعليم في جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة في وطننا العربي . وهو مفهوم لا يقتصر على التعبير عن جميع أنواع المعرفة باللغة العربية ، بل يتعداه إلى تأصيل هذه العلوم وتلك المعارف في الفكر العربي وفي البيئة العربية والمجتمع العربي . وهذا ما يميز مصطلح «التعريب» في مفهومه الحديث عن مصطلح «الترجمة» أو «النقل إلى العربية» . فالتعريب يعني المشاركة المبدعة للمؤسسات العلمية العربية في بناء الحضارة العالمية ، والخروج من حالة التبعية الفكرية والثقافية .

وكذلك يتصل هذا العنوان اتصالا وثيقا بالمؤسسات اللغوية العربية ، وتحتل المجامع اللغوية العربية واتحادها الصدارة في العمل على تذليل العقبات أمام اللغة العربية الفصيحة ، وجعلها مواكبة لحاجات العصر في العلوم والفنون والآداب . . وقد جعلت هذا المجموع من البحوث في ثلاثة فصول وخاتمة ، فضلا عن هذه المقدمة القصيرة . . . . . وحمل الفصل الأول عنوان أحد البحوث وهو «اللغة العربية والمجامع اللغوية» ، نظرا لما نعوّله من أهمية قصوى على المجامع اللغوية العربية الحاضرة واتحاد مجامعها ، وأنها مدعوة للقيام بدورها التاريخي في هذه الفترة العصيبة من حياة أمتنا . . .

واشتمل هذا الفصل على ثلاثة موضوعات . فالموضوع الأول يتحدث عن أهمية اللغة العربية وأنها الأساس المكين الذي لا مندوحة عنه لإقامة نهضة أمتنا وتدعيم وحدتها . وتحدث الموضوع الثاني عن اللغة العربية ودور مجامعها اللغوية في الوطن العربي . وخصصت الموضوع الثالث للحديث عن مجمع اللغة العربية الأردني .

أما الفصل الثاني ، فهو بعنوان : «تعريب التعليم الجامعي والبحث العلمي» ، وقد اشتمل على ثلاثة موضوعات . فيتحدث الموضوع الأول عن «تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير في الأردن . مستعرضا جهود المؤسسات التعليمية والجامعية والمجمعية في عملية التعريب الشاملة . وخصصنا الموضوع الثاني للحديث عن تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي . وعالج الموضوع الثالث قضية تأهيل أعضاء هيئة التدريس الجامعي للتدريس باللغة العربية .

وحمل الفصل الثالث عنوان : «العربية وقضايا التعريب» واشتمل على ثلاثة بحوث أيضا . فالبحث الأول يدرس وسائل تطوير اللغة العربية العلمية من جوانبها المختلفة . والبحث الثاني يتحدث عن «دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات» . وجاء البحث الثالث بعنوان : «نحو معجم موحد لألفاظ الحضارة» .

وانني لاستميح القاريء العذر ، اذا رأى تكرارا في بعض الأفكار ، فهي موضوعات متناثرة كتبت في فترات من الزمن متباعدة ، وربما شفع لها إيمان كاتبها العميق بعدالة القضية التي يعرضها ،

وإيمانه بأن العربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم ، ستصبح لغة العلم والبحث العلمي والتقنيات الحديثة في المستقبل القريب ، إن شاء الله .

رئيس مجمع اللغة العربية الأردني
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الأردنية
الدكتور عبد الكريم خليفة

الفصل الأول

اللغة العربيّة والمجامع

١ . اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدتها .
٢ . اللغة ومجامع اللغة العربية .
٣ . مجمع اللغة العربية الأردني .

بسم الله الرحمن الرحيم

اللغة العربية أساس نهضة أمتنا ووحدتها "١"

تحتل الدراسات اللغوية مكانة متميزة في الوقت الحاضر ، في مؤسسات البحث العلمي في الأمم المتقدمة، فهي دعامة أساسية في توثيق الصلات وتوطيد دعائم التفاهم بين الأفراد والجماعات في مجال تكوين الأمة . وقد استطاعت هذه الدراسات أن تبين الصلة الحيوية بين اللغة ، من حيث هي لغة ، وبين أفكار الناس وأحاسيسهم وأعمالهم . وبعبارة أخرى فقد استطاعت أن تبين أن اللغة ليست أداة للتعبير فقط ، ولكنها على صلة وطيدة بالحياة الفكرية والعاطفية والاجتماعية لهذه الشعوب ، أفراداً وجماعات . وبالتالي فإن لها آثاراً عميقة في السلوك الإنساني بمختلف أشكاله وأنواعه[٢] .

فاللغة أمّ التفكير ، وما كان للمعرفة أن تأتي إلى حيز الوجود بدون اللغة، وهي في الوقت نفسه على صلة وثيقة بالحياة العاطفية للإنسان ، بأحاسيسه وانفعالاته . فالإنسان لا يستخدم اللغة للتعبير عن شيء معين أو فكرة محددة ، بل يستعملها للتعبير عن نفسه ، ولذا

(١) محاضرة ألقيت بكلية الآداب في الجامعة الأردنية بتاريخ ١٩٨٤/٤/٣ .
(٢) انظر : اللغة في المجتمع ، ص ٢٦ .

فمن الواجب أن لا نأخذ بعين الاعتبار فقط الصورة التي تصاغ عليها الأفكار ، بل من الواجب أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي توحد بين هذه الأفكار وبين حساسية المتكلم ، وهذا يعني بطبيعة الحال الجانب العاطفي الذي تمثله لغة هذا الفرد وبالتالي لغة الجماعة أو لغة الأمة . وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كلا العنصرين : الفكري والعاطفي لا ينفكان عن الاختلاط في كل لغة . وإذا استثنينا اللغات الاصطلاحية ، واللغة العلمية منها بوجه خاص ـ تلك التي تعد خارج الحياة بطبيعتها ـ أمكننا أن نقول إن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقا من لون عاطفي .(١) وقد ذهب بعض علماء اللغة في الكشف عن دور اللغة في المجتمع ، إلى القول : إن وظيفة الكلمات إنما كانت التأثير في أفكار الآخرين ، لا أن تقوم بنقل الأفكار نقلا مجردا ، وبعضهم يذهب إلى أبعدمن ذلك فيقول: إن الكثير من المسائل الظاهرة في طبيعة التفكير ليس في الحقيقة أكثر من مسائل لغوية . . وأن المنطق وما وراء الطبيعة ، بل حتى الرياضيات كلها في جوهرها بنية اجتماعية ذات طبيعة لغوية في أساسها . وان دراسةاللغة لظاهرة غالبة في كثير من حقول الفكر . . . وهكذا يتضح الآن شيئا فشيئاً أننا إذاأردنا أن نفهم الفكر والنتاج الفكري ، فالواجب أن ندرساللغة ، واذا أردنا أن ندرس اللغة ، فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع .(٢) وبعبارة أخرى فإن طبيعة اللغة لا تفهم إلا من خلال هذا المجتمع أو ذاك الذي تمارس فيه اللغة وظائفها .

---

(١) أنظر : اللغة ، ج فندريس ، ترجمة القصاص ورفيقه ، ص ١٨٢ ـ ٢٠٢ .

(٢) أنظر : اللغة في المجتمع ، ص ٢٩٤ .

ألا نرى أن الطرق الخاصة بالتفكير إنما تشيع في المجتمع بوساطة الاتصال . . وتظل اللغة الوسيلة الرئيسية للاتصال ، ومن ثم للتأثير في الإدراك بنحو تذكر الماضي عند الفرد والجماعة ووعيهما بالحاضر ، وتوقعهما وتنبؤهما بالمستقبل . وقد استطاعت البحوث اللغوية أن تقرر بأن الفرد يكتسب من اللغة طرق التفكير الشائعة في المجتمع الذي نما فيه . وإن اكتساب اللغة اكتساب بالضرورة لطرق التفكير . ولا شك أن هذه النتائج العلمية تطرح مفاهيم ومبادىء معينة على مؤسساتنا التعليمية والتربوية ، لا سيما فيما يتعلق بالكتب المدرسية ووضع المناهج السليمة التي ترتكز على أن كل معلم هو معلم لغة وأن كل كتاب مدرسي هو كتاب لغة . . إن هذه العلاقات العضوية بين اللغة وبين الحياة الإنسانية في جميع مجالاتها الفكرية والعاطفية والاجتماعية ، لتدعم الرأي الذي يقول: إن العالم الآن يعيش في غمرة «ثورةلغوية»، وأن التقدم العلمي والتقني يزداد بتسارع كبير ، ويبشر بأن الإنسان ربما يقف على أعتاب فجر جديد من الحضارة الإنسانية . وقد أحدث هذا كله تقدما هائلا في طرق الاتصال الفردية والجماهيرية لاسيما في مجال الهاتف واللاسلكي، والطيران والإذاعة المرئية والمسموعة، والسينما والأقمار الصناعية، والنزول على القمر، ورحلات الاستكشاف إلى الكواكب، فضلا عن التقدم الهائل في تقنيات الطباعة ودور النشر والصحافة . . الخ .

وكان لهذا التقدم العلمي والتقني دور كبير في إحداث تغيرات كبيرة في الحياة الاجتماعية لبني الإنسان ، ولا سيما ذلك التطور الذي أصاب تقنيات الاتصال اللغوي . وفي هذا الصدد يقول أحد الباحثين

اللغويين : «إننا لا نزال في بدء ما لا بد أن يكون تغيرات كبيرة في وظائف اللغة بالنسبة إلى البشر . فنحن نشهد الآن ، لأول مرة في التاريخ ، إمكان القضاء على الأمية في العالم بأسره ، وإمكان استماع الناس جميعا في نفس اللحظة إلى الصوت نفسه ، أو قراءتهم الكلمات نفسها ، كما نشهد منافسة الكلمة المسموعة للكلمة المقروءة»[1] .

ونحن في الوقت الحاضر ، إذ نعيش في خضم هذا السباق العلمي والتقني الذي يشمل جميع أنواع المعرفة ، وبين مختلف الشعوب وعلمائهم من خلال لغاتهم القومية التي لا يتم الإبداع الفكري إلا بها ، لنتساءل أين تقع لغتنا العربية الفصحى ـ ولا لغة لنا غيرها ـ وأين يقع علماؤنا في هذا الموكب الإنساني للحضارة الحديثة !!! وأجدني غير راغب في الإجابة عن هذا التساؤل ، وعلى كل فإن هذه الرغبة أو عدمها لا تغير في الأمر شيئا . أليست اللغة مرآة الأمة ترى من خلالها ذاتها !! أليست اللغة كما أشرنا سابقا ، الظاهرة الإنسانية التي تتجسد فيها الحياة الفكرية والعاطفية والاجتماعية لهذه الشعوب أو لتلك الأمة . . فماذا عسانا نقول وأمتنا العربية الآن بل والإسلامية في محنة التمزق والتشتت والتشرذم ، تخوض صراعاً دامياً مريراً وحزيناً . أقول مريراً ، لأن الدماء تسيل فيه من كل جانب ، وأقول حزيناً ، لأن معظم الدماء تسيل بين أبناء الأمة الواحدة والشعب الواحد بل والجماعة الواحدة ومن هم في خندق واحد وعلى مقربة من العدو اليهودي ومرأى منه .

---

(١) أنظر : السعران ، ص ٣ - ٤ .

إن واقع الحال ونواميس الأشياء ، تقضي ، بأن تكون اللغة العربية الفصحى تبعاً لذلك كله ، في محنة توازي محنة هذه الأمة ، وإنها لكذلك .

وقد يقف الباحثون اللغويون من خارج هذه الأمة ، ومن أعداء اللغة العربية من حاقدين وموتورين في داخلها وبين صفوفها ، أقول قد يقف هؤلاء حيارى أمام هذه الظاهرة التي تتميز بها اللغة العربية الفصحى ، التي صمدت شامخة حيّة ، أمام نوائب الدهر وزعازعه عبر القرون ، ولم يجر عليها ما جرى على اللغات العامة التي ظهرت في التاريخ ثم تحللت إلى لغات كثيرة . ولا شك أن هؤلاء الباحثين ، قد نظروا إلى اللغة الفصحى ، من جانب واحد وربما من الجانب الذي يستهويهم في حياة اللغة من حيث ميلها نحو التقسيم إلى لغات ولهجات . ويستدلون على ذلك بأنه ما ظهرت لغة عامة إلا تقسمت إلى لغات كثيرة ، والأمثلة على ذلك كثيرة في تاريخ الأمم لا سيما القديمة منها . وقد فاتهم أن هنالك ميلا آخر في حياة اللغة ، يتعارض مع الميل نحو التقسيم إلى لغات ولهجات وهو الميل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . ونحن إذا نظرنا إلى هذين الميلين المتعارضين في حياة كل لغة من اللغات نجد أن كلا منهما ناجم عن فعل أحداث تؤثر في الجماعات . ويرى بعض اللغويين أن الاتجاه نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحد . وأنهم يطلقون عليه عملية التطور الطبيعي للغة . والأدلة على ذلك كثيرة ، فانقسمت اللغة اللاتينية مثلا إلى لغات عدة ، هي : الفرنسية والإسبانية والرومانية والايطالية الحديثة . . . وكذلك ظهور اللغات الإنجليزية والألمانية

والفلامنكية . . وغيرها . . . وكذلك التطورات التي أصابت كل لغة من هذه اللغات عبر مسيرتها حتى الوقت الحاضر . . .

ويرى لغويون آخرون ، أن هنالك قوى لا يجوز التغافل عنها تعمل في الاتجاه نحو الوحدة ، وأن هذه القوة الموحدة كانت في العصور التاريخية أقوى في حقيقة الأمر من القوى المقسمة . وإنها لكذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك يقينا في المستقبل . وحجتهم في ذلك أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن ، أكثر منه في بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة في عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاما لم يعرف من قبل ، هو في معظم الحالات أكثر اضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة .(1) .

وقد أشار الأمام أبو محمد بن حزم إلى العوامل التي تؤثر في اللغة نحو التقسيم والاندثار ، فقال : «إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل ، بسقوط دولة أهلها ، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم ، أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم . فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها قوة دولتها ونشاط أهلها وفراغهم . . وأما من تلفت دولتهم ، وغلب عليهم عدوّهم ، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم ، فمضمون منهم موت الخواطر ، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم ، ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم . هذا

(1) انظر : السعران ، ص ١٧٠ ـ ١٧١ .

موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة .»[1] .

ونحن إذا نظرنا إلى اللغه العربية ، نظرة موضوعية وبصورة علمية ، نجد أنها لغة من هذه اللغات النامية ، يصدق عليها ما يصدق على جميع اللغات ، من قوانين الحياة ونواميس الأشياء . وان دراسة علمية للأحداث الكبيرة التي أثرت في حياة هذه اللغة ، تؤدي بنا بالضرورة إلى إقامة حد فاصل بين الفترة التي عاشتها هذه اللغة بأصولها التي تضرب بعيداً في أعماق التاريخ ، حتى نزول القرآن الكريم «بلسان عربي مبين» ، وبين حياة هذه اللغة الفصحى المزدهرة النامية والموحّدة ، منذ أن شرفها الله سبحانه وتعالى بالتنزيل العزيز وإلى الأبد . وفي هذا الصدد يقول ابن الجزري :«وقد خصّ الله تعالى هذه الأمة في كتابهم هذا المنزل على نبيهم صلى الله عليه وسلم ، بما لم يكن لأمة من الأمم في كتبها المنزلة . فإنه تعالى تكفّل بحفظه دون سائر الكتب ، ولم يكل حفظه إلينا ، قال تعالى :«إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون» . . . لأن الله تعالى تحدى بسورة منه أفصح العرب لساناً وأعظمهم عناداً وعتواً وأفكاراً ، فلم يقدروا على أن يأتوا بآية من مثله ، ثم لم يزل يتلى آناء الليل والنهار من نيّف وثمانمائة سنة مع كثرة الملحدين وأعداء الدين ، ولم يستطع أحد منهم معارضته في شيء»[2] .

أما الفترة الأولى من حياة اللغة العربية ، أي قبل نزول القرآن الكريم بها وحياً على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فإن

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ، ص ٣١ .
(٢) ابن الجزري ، ج١ ص ٤ - ٥ .

الباحثين في تاريخ اللغة العربية الفصحى وفقهها، يكادون يجمعون على أننا لا نعلم شيئا عن طفولة هذه اللغة . . وإن أقدم ما وصل إلينا من آثارها هو ما يعرف بالأدب الجاهلي . . ويرجع تاريخ أقدم هذه الآثار الأدبية إلى القرن الخامس بعد الميلاد على أبعد تقدير . . وهذه النصوص الأدبية تمثل اللغة العربية الفصحى في عنفوان اكتمالها وعظمتها ، بعد أن اجتازت مراحل كثيرة من التطور والارتقاء . . وبعد أن تغلبت لهجة من لهجاتها ، وهي لهجة قريش ، على أخواتها واستأثرت بميادين الأدب ، شعرها وخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية .[1] .

وحول هذا الموضوع يقول الأستاذ علي عبد الواحد وافي : «غير أنه من المسلم به الآن لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق ، أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها ، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى . ويرجع السبب إلى نشأتها في أقدم موطن للساميين ، وبقائها في منطقة مستقلة منعزلة ، فقلّت بذلك فرص احتكاكها باللغات الأخرى ، ولم تذلل لها سبل كثيرة للبعد عن أصلها القديم . »[2] .

وإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الظروف الأخيرة حول نشأة اللغة العربية ومواطنها ، أمكننا أن نقول إذا لم تكن هذه العربية هي اللغة السامية الأم ، فلا شك أنها الوريثة الرئيسية لها من حيث أصول

(١) انظر : فقه اللغة ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٢) المصدر نفسه ، ص ١٦ .

بنيتها ومفرداتها . وربما يرجح رأينا هذا ما ذهب إليه الإمام أبو محمد ابن حزم الأندلسي قبل نحو تسعة قرون ونصف إذ يقول: «إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها ، فحدث فيها جرش[1] ، كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ومن الخراساني إذا رام نغمتيهما. ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط ، وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كاد أن يقول : إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد . فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله»[2] .

فهذا النص يطرح أمامنا قضايا عدة ، ليس فقط فيما يتعلق بالفترة الأولى من حياة اللغة العربية وعلاقتها بالجذور السامية ولكنه يطرح أمامنا قضايا مهمة تتعلق بمسيرة اللغة العربية المنطوقة بعد أن أصبحت لغة عامة لهذه الشعوب التي تمتد من أواسط آسيا شرقاً إلى اوروبا واسبانيا الإسلامية غرباً . وهنا لا بد من أن نفرّق منذ البداية بين اللغة المنطوقة لغة الكلام وما يطرأ عليها من نغم ولهجات، وبين اللغة المكتوبة ، لغة القرآن ، اللغة العربية الفصحى التي نزل بها الذكر الحكيم .

---

(١) الجرش : حك الشيء الخشن بمثله ودلكه (انظر : لسان العرب مادة جرش) ، ويريد احتكاك اللغات بعضها ببعض .
(٢) الإحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ص ٣ .

فإذا تركنا جانباً اللغة العربية في فترة حياتها الأولى وصراع اللهجات بين القبائل العربية في العصر الجاهلي ، فإن الأحداث العظيمة التي أثرت في حياة العربية الفصحى ونقلتها نقلة تاريخية حاسمة ، من الميل نحو التقسيم والتفتت إلى الميل نحو التوحد والاتساع ، تنحصر على وجه اليقين بنزول القرآن الكريم «بلسان عربي مبين» وحياً على النبي صلى الله عليه وسلم . وما صاحب ذلك منذ اللحظات الأولى من الحرص على كتابته وحفظه وجمعه ثم ما حدث فيما بعد من توحيده في مصحف واحد وفي قراءات مضبوطة محددة ، وما نشأ بعد ذلك من علوم ودراسات كانت تهدف إلى الإمعان في فهم آياته وسوره وتفسيرها وتوضيحها إلى الأجيال . . .

فاللغـة العربية تتميز بعناصر أساسية في بنيتها الصرفية والنحوية، تجعلها مطواعة قادرة على استيعاب ما يجد من المعرفة الإنسانية ، وهي في ذلك شأنها شأن اللغات الأخرى تتمايز فيما بينها لما لها من جذور تاريخية وتجارب خصبة في المشاركة في بناء الحضارة واستيعاب حصيلة المعرفة الإنسانية . وهذا يعني أنه ليست هنالك لغة أفضل من لغة بحدّ ذاتها ، حيث إنها متصلة بالإنسان ، كما بينا سابقاً ، اتصالاً جوهرياً ، وحيث إن البشر يتساوون في قيمتهم الإنسانية ، فلغاتهم متساوية أيضا . ويطيب لي في هذا المجال أن أورد رأي ابن حزم إذ يقول : «وقد توهم قوم في لغتهم أنها أفضل اللغات ، وهذا لا معنى له ، لأن وجوه الفضل معروفة ، وإنما هي بعمل أو اختصاص ، ولا عمل للغة ، ولا جاء نص في تفضيل لغة على لغة ، وقد قال تعالى : «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم» .

وقال تعالى : «فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون» . فأخبر تعالى أنه لم ينزل القرآن بلغة العرب إلا ليفهم ذلك قومه عليه السلام ، لا لغير ذلك» .[1] وبعد أن يفرق الأمام أبو محمد بن حزم ، بين اللغة العربية من حيث هي لغة لا فضل لها على لغات الأمم الأخرى . وبين ما شرفها الله به ـ سبحانه وتعالى ـ بأن جعلها لغة القرآن ، «ليفهم ذلك قومه عليه السلام» ، نجده يسخر من مقولة جالينوس سخرية شديدة فيقول : «وقد غلط في ذلك جالينوس فقال : إن لغة اليونانيين أفضل اللغات ، لأن سائر اللغات إنما هي تشبه إما نباح الكلام أو نقيق الضفادع ، قال علي (أي ابن حزم) : وهذا جهل شديد لأن كل سامع لغة ليست لغته ولا يفهمها ، فهي عنده في النصاب الذي ذكره جالينوس ولا فرق»[2] .

وتناول ابن حزم أيضا مقولة بعض من كان يزعم بأفضلية اللغة العربية ، فيقول : «وقد قال قوم : العربية أفضل اللغات . لأنه بها نزل كلام الله تعالى . قال علي : وهذا لا معنى له ، لأن الله عز وجل قد أخبرنا أنه لم يرسل رسولا الا بلسان قومه . وقال تعالى : «وان من أمة الا خلا فيها نذير» . وقال تعالى : «وإنه لفي زبر الاولين» . فبكل لغة قد نزل كلام الله تعالى ووحيه . وقد أنزل التوراة والانجيل والزبور ، وكلم موسى عليه السلام بالعبرانية ، وأنزل الصحف على ابراهيم عليه السلام بالسريانية . فتساوت اللغات في هذا تساويا واحداً» .[3] .

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ص ٣٢ .
(٢) المصدر ذاته
(٣) المصدر ذاته

وبعد هذه المناقشة العميقة ، يسخر ابن حزم باليهود سخرية شديدة فيقول : «وقد أدى هذا الوسواس العامي ، باليهود الى أن استجازوا الكذب والحلف على الباطل بغير العبرانية، وادعوا أن الملائكة الذين يرفعون الأعمال ، لا يفهمون الا العبرانية ، فلا يكتبون عليهم غيرها ، وفي هذا من السخف ما ترى ، وعالم الخفيات وما في الضمائر ، عالم بكل لسان ومعانيه ، عزّ وجل . لا اله الا هو وهو حسبنا ونعم الوكيل . »[1] .

واذا كان ابن حزم يناقش هذا الموضوع من خلال نصوص الآيات الكريمة وجوهر العقيدة الاسلامية السمحاء التي تساوي بين أبناء البشر ، وتجعلهم على مختلف أجناسهم وألوانهم على قدم المساواة ، وأن لا تفاوت بينهم إلا فيما ينجزونه من الأعمال الصالحة «إن أكرمكم عند الله أتقاكم» . أقول : «إذا كان الإمام صاحب كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» يناقش هذا الموضوع من هذه الناحية ، فإنه من ناحية أخرى يذهب بعيدا في فهم طبيعة اللغة الإنسانية إذ يقول : «وحروف الهجاء واحدة لا تفاضل بينها ولا قبح ولا حسن في بعضها دون بعض . وهي تلك بأعيانها في كل لغة ، فبطلت هذه الدعاوى الزائفة الهجينة»[2] وهو يقصد بذلك دعاوى جالينوس ومن سار على مذهبه .

ونحن في هذا البحث يهمنا أن نتوقف عند نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين ، نبراس هداية للناس كافة ، كي يخرجهم من

(١) الإحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ص ٣٣ .
(٢) المصدر ذاته .

الظلمات إلى النور . فكان حدثا عظيما في تاريخ الانسانية ، وكان كذلك حدثا عظيما في حياة اللغة العربية الفصحى ، لسان قريش . فقد أصبحت هذه العربية خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز ، وأصبحت نتيجة الأحداث العظيمة التي أحاطت بكتابته وجمعه والحرص على تلاوته كما أنزله سبحانه وتعالى على قلب نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقول: أصبحت طبيعة هذه اللغة تتجه الى التوحّد والى الاتّساع ، مناقضة في ذلك اتجاه التقسيم والتشتت الذي كانت سائرة في مداره بأصولها البعيدة .

ومن هنا فإن كتابة القرآن الكريم وحفظه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك جمعه وتلاوته وقراءاته وجمع العلوم التي نشأت حوله ، أصبحت بالضرورة، تحتل مكانة جوهرية، في حياة اللغة العربية الفصحى ، منذ ذلك الوقت وعبر القرون والأحداث، التي مرت بها أمتنا العربية والإسلامية . وكان الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور بالدرجة الأولى لا على حفظ المصاحف والكتب . وهذا على حد تعبير ابن الجزري «أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة . . .» .إذ يقول: «ولما خص الله تعالى بحفظه من شاء من أهله أقام له أئمة ثقات ، تجردوا لتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه ، وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً ، لم يهملوا منه حركة ولا سكونا ، ولا اثباتا ولا حذفا ، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم . وكان منهم من حفظه كله ، ومنهم من حفظ أكثره ، ومنهم من حفظ بعضه . كل ذلك في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرالامام أبو عبيد القاسم بن سلام في أول كتابه في

القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم. فذكر من الصحابة : أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وطلحة وسعدا وابن مسعود وحذيفة وسالما وأبا هريرة وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص وابنه عبد الله ومعاوية وابن الزبير وعبد الله بن السائب وعائشة وحفصة وأم سلمه وهؤلاء كلهم من المهاجرين . وذكر من الأنصار : أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبا الدرداء وزيد بن ثابت وأبا زيد ومجمع بن جارية وأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين .[1] .

وهكذا فقد أخذ النص القرآني حفظا في الصدور وكتابة على المواد التي كانوا يكتبون عليها في ذلك الوقت ، منذ بدء نزوله منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولما توفي النبي عليه السلام ، وقام بالأمر أبو بكر الصديق ، رضي الله عنه ، أشير عليه بجمع القرآن في مصحف واحد خشية أن يذهب بذهاب الصحابة وذلك بعد أن قتل نحو خمسمائة من الصحابة رضوان الله عليهم جميعا في قتالهم أهل الردة .

وتنقل الينا الروايات أن أبا بكر تردد في بداية الأمر . من حيث أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر في ذلك بشيء . وما لبث أن اجتمع رأيه ورأي الصحابة رضي الله تعالى عنهم على جمع القرآن . فأمر أبو بكر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه . فتمّ جمعه في صحف احتفظ بها أبو بكر رضي الله تعالى عنه وبعد وفاته انتقلت عند عمر رضي الله عنه حتى توفي ثم عند حفصة رضي الله عنها .

---

(١) ابن الجزري ، ج ١ ص ٦ .

وتحدثنا الروايات انه في نحو ثلاثين من الهجرة في خلافة عثمان رضي الله عنه ، حضر حذيفة بن اليمان فاتح أرمينية وآذربيجان ، فرأى الناس يختلفون في القرآن . ويقول أحدهم للآخر : قراءتي أصح من قراءتك . فأفزعه ذلك ، وقدم على عثمان ، وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها ثم نردها اليك . فأرسلتها اليه . فأمر زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف . وقال : إذا اختلفتم وزيد في شيء فاكتبوه بلسان قريش . فإنما نزل بلسانهم . فكتب منها عدة مصاحف ، فوجه بمصحف إلى البصرة وبمصحف إلى الكوفة وبمصحف إلى الشام وترك مصحفا بالمدينة ، وأمسك لنفسه مصحفا الذي يقال له: الإمام، ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين . واجتمعت الأمة المعصومة من الخطأ على ما تضمنته هذه المصاحف ، وترك ما خالفها من زيادة ونقص ، وإبدال كلمة بأخرى ، مما كان مأذونا فيه ، توسعة عليهم ولم يثبت عندهم ثبوتا مستفيضا أنه من القرآن(١) .

فكان لهذا العمل العظيم الذي قام به الخليفة الشهيد عثمان ، رضي الله تعالى عنه ، آثار خالدة في حياة أمتنا ، ليس فقط في مجال العقيدة والفكر ولكن أيضا في مجال اللغة . فقد كان هذا التدبير الملهم يعني توحيد الأمة أيضا على لغة واحدة ، وجعل لغة القرآن المادة

(١) ابن الجزري ، ج ١ ص ٧ .

الأساسية في بنية اللغة الفصحى . وكان للقراءات القرآنية وللقراء دور أساسي في انتشار هذه اللغة وضبطها . فإن اكتساب اللغة يكون باكتساب القدرة على التلفظ بها على وجهها الصحيح . وقد حرص القراء على تلاوة القرآن وتجويده وذلك باخراج الحروف من مخارجها الصحيحة ، فكانوا شيوخ القرآن وفي الوقت ذاته شيوخ العربية .

وأصبح تعلم العربية ودراستها ضرورة أساسية من أجل فهم القرآن الكريم وتلاوته تلاوة صحيحة كما نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أفصح قريش .

وكانت الكتابة التي كتبت بها المصاحف جميعها خالية من النقط والشكل ، مما جعل الاعتماد الأساسي على الحفظ لا على مجرد الخط . وهكذا فقد تجرد قوم للقراءةوالأخذ، واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ، أجمع أهل بلدهم على تلقي قراءتهم بالقبول ، ولم يختلف عليهم فيها اثنان ، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم .[1] .

وقرأ كل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا الإمام ابن حزم يشير إلى دقة نقل النص القرآني فيقول :«إن نقل المسلمين لكل ماذكرنا ينقسم أقساما ستة : أولها ، شيء ينقله أهل المشرق والمغرب عن امثالهم جيلا جيلا . لا يختلف فيه مؤمن ولا كافر منصف غير معاند للمشاهدة وهو القرآن المكتوب في المصاحف في شرق الأرض

(١) ابن الجزري ، ج ١ ص٨ .

وغربها ، لا يشكون ولا يختلفون في أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أتى به وأخبر أن الله عز وجل أوصى به إليه ، وأن من اتبعه أخذه عنه كذلك ثم أخذ عن أولئك حتى بلغ إلينا » .[1] وأن هذا النهج الذي أشار إليه ابن حزم مستمر عبر القرون ، تحرص عليه الأمة جيلا بعد جيل حتى الوقت الحاضر وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، لا يختلف فيه أيضا مؤمن ولا كافر منصف . . وان الفرق بين المسلم وغير المسلم هو في مجال العقيدة الربانية فقط ، بأنه وحي من الله سبحانه وتعالى .

وقد بدأت العناية باللغة العربية وتعلمها منذ نزول أول آية من القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد نزلت بالحث على القراءة والكتابة وطلب العلم : إذ يقول سبحانه وتعالى : «اقرأباسم ربك الذي خلق ، خلق الأنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الأنسان ما لم يعلم» . فبدأت حلقات الدراسة وحلقات التعلم حول هذه الآيات الكريمة . وكانت العناية بالقراءة والكتابة تسير جنبا إلى جنب مع الأخذ مشافهة والحفظ بالصدور ،وفرض على أسرى بدر أن يعلموا القراءة والكتابة عددا من أبناء المسلمين ؛ افتداءً لأنفسهم . وهذا يشير إلى بدء أقدم حملة في التاريخ وأعظمها شأنا لإزالة الأمية بين عامة الناس لا فرق بين ذكر وأنثى ولا بين غني وفقير ولا بين أسود وأبيض وأصفر وأحمر . . الخ .

وأصبحت العربية ، لغة القران الكريم ، في تمازج حيوي وعضوي مع عقيدة الإسلام ومبادئه . وقد جاء الإسلام للناس كافة ،

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ص ٨١ .

يساوي بينهم جميعا . . «فالناس سواسية كأسنان المشط»، و«كلهم من آدم وآدم من تراب» ، ويتجلى ذلك أيضا في قول عمر رضي الله عنه : «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» .

فهذه العقيدة السماوية التي ساوت بين جميع بني البشر بمختلف طبقاتهم وبمختلف ألسنتهم وألوانهم ، هو الحدث الأزلي الذي انتقل باللغة العربية ، من لغة مثل بقية اللغات ، تصدق عليها قوانين التقسيم والتشتت ، إلى لغة تتجه، وإلى الأبد، إلى التوحد والتوسع . وأصبحت اللغة العربية ، لغة مضر على حد قول عمر رضي الله عنه ، اللغة التي ترتبط بالإسلام من حيث الجوهر فكرا وعاطفة ومادة . وأصبح تعلمها فريضة على كل مسلم ومسلمة من حيث كونها اللغة التي لا يفهم القرآن والحديث بدونها . فأصبحت اللغة العربية متصلة اتصالا عضويا بطلب المعرفة في كل زمان ومكان ، من المهد إلى اللحد وفي جميع الأقطار مهما كان بعدها المكاني وضرب لذلك مثلا فقيل: «اطلبوا العلم ولو في الصين» .

سارت اللغة العربية الفصحى ، لغة مضر ، لغة القرآن الكريم في مسارين متوازيين أحدهما في مجال التوسع والنمو والازدهار ، مستوعبة حصيلة ما وصل اليه الفكر الانساني في حقل المعرفة، والمسار الآخر يتمثل في بقائها موحّدة ثابتة الأصول من حيث بنيتها الصرفية وقواعدها النحوية والنطق بها ، كما أخذت عن أهلها الأولين الذين يحتج بهم .

وقد اعتبر الخروج على هذه اللغة في لفظها أو نحوها أو صرفها ضلالاً منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد رووا أن النبي صلى

الله عليه وسلم ، سمع رجلا يلحن في كلامه ، فقال : «أرشدوا أخاكم فانه قد ضلّ»(١)وإن هذه الرواية وغيرها مما يشابهها لها دلالة كبيرة في هذا الانعطاف الجديد في حياة اللغة العربية ، وأية دلالة أكثر من أن يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم الخروج على لغة القرآن ضلالا !!

وسارت اللغة العربية في هذا الاتجاه القويم من التوحّد الذي رسمه لها القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، وأصبح جزءاً من عقيدتها ، لا تفرط فيه ولا تتهاون به ، علماء وقراء وأصحاب سلطة . فقد رووا مثلا أن أحد ولاة عمر رضي الله تعالى عنه ، كتب إليه كتابا لحن فيه ، فكتب إليه عمر : «أن قنع كاتبك سوطا» .(٢) وتدل هذه الرواية على السياسة التي لا تهاون فيها نحو الحرص على سلامة هذه اللغة ، والوقوف بحزم أمام أي اتجاه للتسيب والتشتت .

وروي أيضا عن حديث علي، رضي الله تعالى عنه، مع الأعرابي الذي أقرأه المقرىء«إن الله بريء من المشركين ورسوله» . (بكسر اللام في رسوله) ، حتى قال الأعرابي : برئت من رسول الله ، فأنكر ذلك عليّ عليه السلام ، ورسم لأبي الأسود من عمل النحو ما رسمه . . فكان ما يروى من أغلاط الناس من ذاك الى أن شاع ، واستمر فساد هذا الشأن ، مشهورا ظاهرا(٣) .

ومهما يكن من شأن هذه الرواية ، فانها تحدد وقتا مبكراً لتقعيد قواعد اللغة ووضع ضوابطها النحوية والصرفية ، وسار هذا العلم في

(١) انظر : الخصائص ، ج ٢ ص ٨

(٢) المصدر ذاته .

(٣) الخصائص ، ج ٢ ص ٨

مدارج النمو والارتقاء ، حيث بلغ ذروته في وقت قصير على يدي الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه .

وكما كان التأكيد على كتابة اللغة رسماً وصرفاً ونحواً ، كان التأكيد أيضا على النطق بها نطقاً صحيحاً ، ولذا كان للقراء دور أساسي في تعليم القرآن وانتشار اللغة العربية الفصيحة ، فقد كثر القراء وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم ، عرفت طبقاتهم ، واختلفت صفاتهم ، فكان منهم المتقن للتلاوة ، المشهور بالرواية والدراية ، وفيهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف . وكثر بينهم الاختلاف . وقلّ الضبط واتسع الخرق ، وكاد الباطل يلتبس بالحق . فقام جهابذة علماء الأمة وصناديد الأئمة ، فبالغوا بالاجتهاد ، وبينوا الحقّ المراد ، وجمعوا الحروف والقراءات ، وعزوا الوجوه والروايات ، وميزوا بين المشهور والشاذ . »[1] .

وقد استطاع هؤلاء الباحثون أن يخلصوا إلى وضع أصول للتمييز بين هذه القراءات . . وهذه الأصول كما عوَّلوا عليها هي : «كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها ، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها . . . ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة ، أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة» .[2]

وكان للتلاوة وأصولها دور أساسي في ضبط اللغة ضبطا دقيقا من حيث النطق بأن يأخذ كل حرف حظه من الصوت اللائق به من

(١) ابن الجزري ، ج ١ ص ٩ .
(٢) المصدر نفسه .

الإظهار أو الإخفاء أو الجهر أو الهمس ، ومدّ الصوت أو قصره وهكذا . . . وهو مايسمى في اصطلاح علم النغم بتجويد الحروف . ولا شك أن للقراءات القرآنية قيمة متميزة في مجال اللغة العربية ، إذ تحوي ثروة لغوية ضخمة وتسجّل كثيراً من ظواهر اللهجات .

وقد ذهب جميع الأئمة من المسلمين ومنهم الشافعي، رضي الله عنهم جميعا، إلى اشتراط إتقان اللغة العربية من أجل فهم القرآن الكريم وشريعة الإسلام . وكثيرا ما كانت الخلافات المذهبية تنشأ عن اختلاف في فهم اللغة . وهذا ابن جني العالم اللغوي المشهور يقول : «إن أكثر من ضلّ من أهل الشريعة عن القصد فيها ، وحاد عن الطريقة المثلى إليها ، فإنما استهواه ، واستخفّ حلمه ، ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة التي خوطب الكافة بها . .»(٣)

وكان من الطبيعي أن يستقطب القرآن الدارسين من حوله ، وأن تنشأ العلوم المختلفة من لغوية ونحوية وبلاغية وتاريخية وجغرافية وفلكية وغيرها في خدمة النص القرآني ودخلت العربية أيضا باعتبارها لغة الدولة جميع ميادين المعرفة والحياة . فأصبحت اللغة الأولى في العالم إذ ذاك في الآداب والعلوم والفنون واستمرت لعدة قرون وهي في هذه المسيرة التاريخية التي تتصف بالاتساع العظيم ملتزمة أشد الالتزام ، بهويتها الأساسية في التوحد والحفاظ على جوهر كيانها من حيث هي لغة القرآن الكريم، وبأصول بنيتها الأساسية نحواً وصرفاً ونطقاً ، ولكنها في نفس الوقت حية نامية مطواعة من حيث الأساليب

---

(١) الخصائص ، ج ٣ ص ٢٤٥ .

والمفردات واستيعاب كل ما يجد من معارف إنسانية .

والأمثلة كثيرة في هذا الباب . فهذا الجاحظ يتحدث عن البيان الذي يحتاج إليه من يريد مقارعة أرباب النحل وزعماء الملل ، يقول : «إن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى سهولة المخرج وجهارة المنطق ، وتكميل الحروف وإقامة الوزن ، وإن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة ، كحاجته إلى الجزالة والفخامة ، وإن ذلك من أكثر ما تستمال به القلوب ، وتثنى به الأعناق ، وتزين به المعاني» .(١)

ويحدثنا أبو عثمان الجاحظ حديثا مفصلا في باب البيان من كتابه هذا عن أهمية اللغة وارتباطها بالمعنى، وأنها كلما كانت الدلالة أوضح وأفصح ، وكانت الاشارة أبين ، وأنور ، كان أنفع وأنجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفّي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو إليه ويحث عليه ، بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت أصناف العجم .(١) .

وسارت العربية في ميادين العلم والمعرفة عبر القرون ، وفي خضم الاتجاهات السياسية والعقائدية المختلفة . . وظهرت التيارات المتصارعة . . فهذا مثلا ابن جني يرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ واغفالها المعاني ، فيقول ؛«وذلك أن العرب كما تعنى بألفاظها ، فتصلحها وتهذبها وتراعيها ، وتلاحظ أحكامها ، بالشعر تارة وبالخطب أخرى ، والأسجاع التي تلتزمها وتتكلف

---

(١) البيان والتبين ، ج١ ص ١٤ .

(٢) انظر البيان والتبين ج ١ ص ٧٥ .

باستمرارها ، فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها ، وأفخم قَدْراً في نفوسها .»[1] ويواصل ابن جني حديثه في العلاقة بين اللفظ والمعنى وأن العرب على حد تعبيره إنما تحلّي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها ، عناية بالمعاني التي وراءها ، وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من الشعر لحكمةً وإنّ من البيان لسحراً» .[2]

وسارت العربية الفصحى ، نامية حية ، في بناء حضارة عربية إسلامية أصيلة. وأدت الدراسات اللغوية والنحوية إلى استكشاف إمكانات هذه اللغة ومقوماتها الذاتية التي تجعل منها لغة مرنة قادرة على استيعاب كل ماهو جديد ، فضلاً عن كونها خالدة بخلود هذا الذكر الحكيم . وإن خصائصها الذاتية في الاشتقاق والنحت والابدال والنقل والمجاز والاقتراض والتعريب ، تجعل منها لغة قادرة على استيعاب كل ماهو جديد . وبذلك فُتِحَتْ أمامها أبوابٌ واسعةٌ في مجالات من المعاني لا تحد . ومثال ذلك (القياس) ، ويطيب لي في هذا الصدد أن أقف عند قول أبي عثمان : «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع ، أنت ولا غيرك ، اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقست عليه غيره» .[3]

ولا يلبث ابن جني حتى يدخل إلى صميم خصائص التعريب بمعناه الاصطلاحي ، الذي يفتح الباب واسعا أمام هذه العربية النامية

(١) الخصائص ، ج ١ ص ٢١٥ .
(٢) الخصائص ، ج ١ ص ٢٢٠ .
(٣) الخصائص ، ج ١ ص ٣٥٧ .

الحية القادرة على استيعاب كل ما هو جديد ، فيورد رأي أبي علي الفارسي حيث يقول : «إذا قلت : طاب الخشكنان» ، فهذا من كلام العرب ، لأنك بإعرابك إيّاه قد أدخلته كلام العرب» .[1] . . . وفي موضع آخر يستشهد برأي أبي علي الفارسي في موضوع الاشتقاق من الأعجمي النكرة ، حيث يقول : . . . ويؤكد ذلك أن العرب اشتقّت من الأعجمي النكرة ، كما تشتق من أصول كلامها . . . يقال : درهمت الخبازي ، أي صارت كالدراهم ، فاشتق من الدرهم ، وهو اسم أعجمي . وحكى أبو زيد : رجل مُدَرْهَم . . .[2]

وكان إلى جانب هذه المسيرة التاريخية للّغة الفصحى ، التي بقيت نامية حية محافظة على جوهر بنيتها من حيث هي لغة القرآن الكريم ، لغة الفكر والأدب والعلم . . أقول إلى جانب هذا كله ، كانت اللغة المحكية التي يستخدمها عامة الناس في حياتهم اليومية وفي أقطار هذه الدولة المترامية الأطراف يتنازعها عاملان أساسيان . فهناك لغة القرآن الكريم ، لغة الأدب والفكر والعلم ، تنزع بها إلى التوحّد حول مركز لغوي واحد ، في مفرداته وتراكيبه ، ومجاله : الكتاتيب ودور العلم ودواوين الدولة في الغالب والمساجد . وأما العامل الآخر وهو الناقض للتوحد فينزع الى التقسيم والتشتت ، وهو ناموس من نواميس الطبيعة اللغوية ، وهو ما يطلق عليه «اللغة العامية» في الوقت الحاضر . . .

---

(١) المصدر ذاته .

(٢) انظر الخصائص ، ج ١ ص ٣٥٨ .

وكانت هذه العامية وما زالت مختلفة في كل قطر بل في كل مدينة ، ولكنها في جميع الأحوال وعبر التاريخ حتى الوقت الحاضر ، لغة متحولة متغيرة ، بعداً وقرباً من اللغة الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، لغة الآداب والعلوم والفنون . . وهي في ذلك كله صدى للأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تمر بها أمتنا العربية ، في جميع أقطارها وعبر تاريخها حتى الوقت الحاضر .

وإن نظرة عامة إلى بخلاء الجاحظ وإلى «الفرج بعد الشدّة» للتنوخي وإلى قصص ألف ليلة وليلة وإلى خرجة الموشح الأندلسي وإلى الزجل ، تؤكد لنا وجود هذه اللغة المحكية في مختلف الأقطار وقد رأينا سابقا ابن حزم الأندلسي يحدثنا عن الجرش في لغة الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ، وعن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي وعن الخراساني إذا رام نغمتهما .

كما يحدثنا عن الاختلاف في هذه النغمة في البلد الواحد عندما يقول : «ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط ، وهي على ليلة واحدة من قرطبة ، كان يقول : إنها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد . فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبديلا لا يخفى على من تأمله . ويضع أمامنا أبو محمد نصاً مهما حيث ينقل إلينا بعض ألفاظ العامة إذ ذاك فيقول : «ونحن نجد العامة ، قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلا ، وهو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق . فتجدهم يقولون في العِنَبِ : العِنِبْ ، وفي السوط أسطوط ، وفي ثلاثة دنانير: ثلثدا، واذا تعرب البربري فأراد أن يقول : الشجرة ، قال السجرة . واذا تعرب الجليقي

ابدل من العين والحاء هاء ، فيقول : مهمّدا ، اذا أراد أن يقول : محمدا . ومثل هذا كثير .[1]

ونحن أمام هذه العامية في اللغة المحكية ، نجد أنفسنا أمام تقلبات التاريخ السياسي والثقافي في هذه الأقطار . والعامية في جميع الظروف لا تخرج عن مدار اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم .

ونجد أنفسنا أمام الصورة ذاتها مع اختلاف في لون الصورة التي تبدو قاتمة، بعد حوالي أربعة قرون. إذ يحدثنا ابن خلدون عن انحسار العربية في كثير من أقطار المشرق الإسلامي فيقول :«ولمّا تملّك العجم من الديلم والسلجوقية بعدهم بالمشرق ، وزناته والبربر بالمغرب ، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية فسد اللسان العربي لذلك ، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنّة اللذين بهما حفظ الدين ، وصار ذلك مرجعاً لبقاء اللغة المضرّية . فلماملك التتر والمغول بالمشرق ، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح وفسدت اللغة العربية على الإطلاق ، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية ، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر ، وبلاد الشمال ، وبلاد الروم ، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام ، إلا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتدارسة من علوم العرب ، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك . وربما بقيت اللغة العربية المضرية بمصر والشام والأندلس والمغرب ، لبقاء الدين طالبا لها ، فانخفضت بعض الشيء . وأما في ممالك العراق وما

(١) الاحكام في أصول الاحكام ، ج ١ ص ٣٠

وراءه ، فلم يبق له أثر ولا عين ، حتى أن كتب العلوم صارت تكتب باللسان العجمي ، وكذا تدريسه في المجالس . »[1]

فإذا كان الإمام أبو محمد يحدثنا في أوائل القرن الخامس الهجري عن اللغة المحكية في تلك الأمصار ، فإن ابن خلدون يحدثنا في أوائل القرن التاسع الهجري ، أي بعد أربعة قرون ، حديثا شاملا تختلط فيه اللغة المكتوبة مع اللغة المحكية . وقد ركز ابن خلدون في رسمه لهذه الخريطة اللغوية لدار الإسلام على عاملين أساسيين، عامل العقيدة الإسلامية من ناحية وعامل السياسة من ناحية أخرى ، كما اقتصر على البلاد التي دخلها الإسلام ، وشعوبها تتكلم لغات غير اللغة العربية ، ولذا نراه يستثني الجزيرة العربية مهد العربية والإسلام من حديثه .

وبعد سقوط الأندلس ، توالت النكبات على هذه الأمة ولغتها العربية الفصحى ، وصارت السلطة في معظم بلاد المشرق وجزء من شمال افريقيا ، بيد العجم من الأتراك العثمانيين ، وأصبحت اللغة التركية لغة الدولة في جميع مناشطها ، وانحسرت اللغة العربية ، وفسد اللسان العربي بل كاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة . .

وما لبثت موجة الاستعمار الأوروبي أن بدأت تهب عاتية تثير حملاتها الصليبية من جديد مستخدمة الوسائل إياها من قوى عسكرية ضخمة ، وحملات التبشير ، لإخضاع هذه الشعوب ونهب ثرواتها وأوطانها .

---

(١) المقدمة ، ص ٦٧٦ .

وكان يصاحب هذه الحملات الاستعمارية الشرسة ، حملات مماثلة للقضاء على اللغة العربية في الجزائر وفي تونس وفي المغرب وفي ليبيا ثم في بلاد المشرق العربي . . وفي كلّ مرة نجد اللغة العربية الفصحى تتراجع ، لكي تنزوي في حلقات حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف داخل حصونها التي لا تقهر .

ومنذ أوائل القرن التاسع عشر الميلادي ، وعندما بدأت جيوش الاستعمار الأوربي تجتاح بلادنا في الشمال الأفريقي ، ثم في مصر ، وتتسلل إلى بلادنا ثم تجتاحها في المشرق العربي ، نرى أن الحملة الموجهة إلى اللغة العربية الفصحى تسير باتجاهين متوازيين . اتجاه لمحاربة الإسلام دون هوادة وبمختلف الوسائل ، واتجاه يعمل على تمكين اللغة الأجنبية ونشرها في بعض المناطق والدعوة إلى العامية إلى جانب سياسة نشر اللغة الأجنبية في مناطق أخرى . . . ونحن لا نريد في هذه المحاضرة أن نؤرخ للدعوة إلى اللغة العامية في المشرق العربي وفي مغربه[1] والحديث عن الآثار التي تركتها منذ الغزو الاستعماري في شمالي افريقيا وانتهاء بالغزو الأوروبي الصهيوني للمشرق العربي . ولكننا نود أن نقول : إن وجود العامية بجانب الفصحى على ما بينهما من اختلاف ، ظاهرة طبيعية في كل اللغات . وليس وجود هذه الظاهرة في اللغة العربية بالأمر الشاذ . وقد أظهر لنا مما عرضناه سابقاً أن هذه الظاهرة كانت تلازم الفصحى منذ العصور ، وبكل تأكيد منذ أن أمر عمر رضي الله عنه ، عامله بأن يقنع كاتبه سوطاً عقوبة على لحن اقترفه . .

(١) في هذا الموضوع يراجع كتاب «تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في مصر» تأليف الدكتورة نفوسة زكريا سعيد ، الاسكندرية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

ومنذ عشرينيات هذا القرن ، بدأت اللغة العربية الفصحى توسع دائرة حلقاتها إلى رحاب أوسع ، واستطاعت أن تكسب ميادين علمية مهمة في بلاد الشام . . وتابعت مسيرتها المظفرة بعد الحرب العالمية الثانية تساير مسيرة الشعوب العربية في تحررها ومحاربتها للاستعمار بألوانه وأشكاله المختلفة . وهي في كل يوم تكسب ميادين جديدة في جميع مجالات المعرفة وفي المؤسسات العلمية . . وإن انتشار التعليم حتى يعم جميع فئات الأمة في المدن والريف والبادية بلغة عربية سليمة ، هو السبيل الوحيد من أجل تضييق الفجوة التي تفصل بين اللغة المحكية واللغة المكتوبة . وإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الكريم ، تنزع بطبيعتها كما رأينا منذ أربعة عشر قرنا إلى التوحدّ والاتساع . فهي اللغة التي تربط بين أبناء أمتنا بالروابط الروحية والعاطفية والفكرية ، وهي وحدها التي تصلنا بهذا التراث الضخم عبر القرون .

وإن لغة ، هذا شأنها ، وهذا تاريخها ، لا بد سائرة كي تحتل مكانتها الطبيعية ، سيدة في بيتها وبين أهلها ، بعد أن غصبتها اللغات الأجنبية هذه السيادة ، وما زالت مع الأسف تدافعها في كثير من الأقطار العربية . وإننا على ثقة بأن اللغة العربية ، وليس لنا لغة سوى لغة القرآن ، ستكون في المستقبل القريب ، وقبل نهاية هذا القرن ـ إن شاء الله ـ لغة التعليم في جميع مراحله وفي جميع مجالاته ، وأن تكون لغة التعليم الجامعي والبحث العلمي . ولا سبيل لأمتنا كي تلحق بركب

الحضارة وأن تشارك مشاركة أصيلة في بناء هذه الحضارة إلا من خلال لغتها ، تلك اللغة التي تمثل الأساس الروحي والفكري الذي تقوم عليه وحده هذه الأمة . فأمتنا العربية هي لغتنا العربية الفصحى ، ولغتنا العربية الفحصى هي أمتنا ، وبالتالي فهي أساس نهضة أمتنا ووحدتها .

المصادر والمراجع

١ . ابراهيم الأبياري ، تاريخ القرآن ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
٢ . ابراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .
٣ . ابراهيم علي أبو الخشب ، القرآن الكريم ، القاهرة .
٤ . ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، النشر في القراءات العشر ، ج ١ ـ ٢ ، مصر .
٥ . ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون المغربي ، المقدمة ، بيروت ، ١٩٦١م .
٦ . ابن مطرف الكناني ، القرطين أو كتابي مشكل القرآن وغريبه لابن قتيبة ، جـ ١ ـ ٢ ، مصر ١٣٥٥ هـ .
٧ . أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة ، حجة القراءات ، تحقيق سعيد الأفغاني ، بنغازي ، ١٣٩٤ هـ .
٨ . أبو الفتح عثمان بن جني ، الخصائص ، تحقيق علي النجار ، جـ ١ ـ ٣ ، بيروت .
٩ . أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ، الإحكام في أصول الأحكام ، ج ١ ـ ٨ ، القاهرة .
١٠ . أبو محمد علي بن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ١ ـ ٥ ، بيروت ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م
١١ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، ج١ـ١٣

١٢ . الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج ١ ـ ٣ ،
تحقيق عبد السلام هارون القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ـ
١٩٦٠ م .
١٣ . ج قندريس ، اللغة (تعريب : عبد الحميد الدواخلي ومحمد
القصاص) القاهرة ١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م .
١٤ . حسن ظاظا ، كلام العرب ، من قضايا اللغة العربية ،
الاسكندرية ، ١٩٧١ م .
١٥ . السيوطي عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة
وأنواعها ، ج ١ ـ ٢ ،شرح محمد أبو الفضل ابراهيم
ورفيقه ، مصر .
١٦ . علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، القاهرة .
١٧ . محمد عزة دروزة ، القرآن المجيد ، صيدا .
١٨ . محمود السعران ، اللغة والمجتمع ، رأي ومنهج ، القاهرة ،
١٩٦٣ م .
١٩ . م . م . لويس ، اللغة في المجتمع (ترجمة ، تمام حسان
وابراهيم أنيس) ، مصر ، ١٩٥٩ م .
٢٠ . نفوسة زكريا سعيد ، تاريخ الدعوة الى العامية وآثارها في
مصر ، الاسكندرية ، ١٣٨٣ هـ ١٩٦٤ م .

اللغة ومجامع اللغة العربية

نشأةُ مجامع اللغة العربيّة

درجَ بعضُ الباحثين في نشأةِ مجامع اللغةِ العربيةِ على محاولةِ الرجوعِ بأصولها الى المجامع العلميَّة في المشرق القَديم . بل يحاولُ تقصّي جذورها منذُ نشأةِ التاريخِ البَشرّي . . . وذهب باحثون آخرون الى الحديث عن مجالس سقراطَ وأفلاطونَ التي كان يُطلقُ عليها «أكاديموس» ، نسبة الى البطلِ الأسطوريّ اليونانيّ الذي كانَ يُعْتَبَرُ حامِي «أثينا» . . . وربما كان هذا كلّه ناشئاً عن عدمِ تحدِيد مفهوم هذه المَجامع ، والنَظرة اليها منْ خلال محاولة كل أمَّة من الأمم العناية بشؤونها الاجتماعيَّة والفكريَّة ، من خلال إقامة الأسواقِ والمجالِس والندوات والمناظرات في الآدابِ والفنون ، وبالتالي من خلال عنايتها بنقلِ العلوم والمعارف من لغات أمم تقدَّمت عليها إلى لغتها ، واستيعاب حضارات غريبة عنها ، وهكذا تسلُك هذه الأمَّة أو تلك طريق النهضة والتقدُّم في محاولتها نشر المعارف والعلوم ، بتأسيس المدارس ،وإقامة المكتبَات ، وتشجيع التأليف والإبداع في لغتها القوميَّة . . .

وربما كان أقرب إلى الصَواب أنْ ننظُر إلى هذه المَجامع من خلال الأوضاع اللغويَّة والفكريَّة التي تنشأ في تاريخ نهضة الأمم عن التَّماسّ بين هذه اللغة ولغات الأمم الأخرى ، بما وصلَت إليه من حَصيلةِ الفكرِ البشري في العلوم والآداب والفنون .

فقد خرجَ العربُ المسلمون من جزيرتهم مجاهدين في سبيلِ نشرِ دعوة الاسلام ، يحمِلون «القُرآن الكَريم» إلى جميع الأمم والشُعوب . . . واللغة العربيَّة ، لُغة القرآن ، وليسَت لغة أُمة بعينها فحسب . . . ومن هنا تختلفُ طبيعةُ الفتوحاتِ الإسلاميَّة من حيثُ الجوْهر عَن جميع الفتوحات في التاريخِ القَديم والحَديث ، فاللغةُ العربيَّة لغة المسلمين كافّة ، وليست لغة أُمة قد تغلَّبت على أممٍ أخرى ، تزولُ بزوالِ هؤلاء المتغلبين . . . وإنّ تعلُّم القرآن الكريم والأَحاديث النبويّة الشريفة واجبٌ على كل مسلم ومسلمة . . . . ومن هنا نشأت أوضاعٌ جديدة أمام اللغة العربيّة ، لغة الإسلام . . . . وكان عليها ، منذُ عهدٍ مُبكر أن تواجِه قضايا متعدِّدة ، سواء أكان ذلك في مجالِ تعليم اللغة العربيّة ، أم تعريب مؤسسات الدّولة ، ونقل العلوم والمعارف إلى العربيّة في أول تجربةٍ لها باتصالها المظَفّر بأعظم حضارات ذلك العَصر . . . وقد لا نَعدُو الحقيقة إذا اعتبَرنا الترجمة وتعريب مؤسسات الدولة ودواوينها أهم هذه القضايا التي باتتْ تواجه اللغة العربيّة في تلك الظروف . وإن المحاولات الأُولى لإقامة مؤسسات تواجهُ هذه المتطلَّبات الجديدة في حُقول العلم والمعرفة ، يمكن أن تُعتبر أقدم نواةٍ لمجامعنا اللغوية . وأن المعلومات المتوافرة لديْنا تدلُّ على أن أقدم هذه المؤسسات في تاريخنا ، ربما تتمثَّل في لجنة الترجمة التي أنشأَها الأميرُ الأمَوّي خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سُفيان ، المتوفَّى سنة ٨٥ هـ ، في دمشق ، وذلك لترجمة الكتبِ الكيماوية ونحوها من اليونانية إلى العربيّة ، وقد اعتبَرها بعضُ الباحثين أولَ مجمعٍ علميّ عربيّ ، وتتابع التطّور والتقدُّم في جميع

مجالاتِ المعرفة ، في الدَولة الاسلاميَّة ، حيثُ طَلَبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ . . . . وهنالك منَ الأسباب ما يدعونا إلى القولِ : إنَّ فكرَةَ هذه المؤسسة قد لاقتْ رواجاً وعنايةً خاصةً من الخُلفاءِ أنفسهم ، وما إنْ نتجاوز العَهد الأمويّ إلى العباسيين ، حتى نجدَ أنفسنَا أمامَ خلفاءَ يُولونَ الترجمةَ والنقلَ عنايةً فائقةً . فقد عُنِيَ الخليفةُ المنصورُ عنايةً خاصةً بالترجمةِ والتأليفِ في مختلفِ العلومِ كالطِّب والفلسفةِ والمنطق والنجوم ، وغيرِها من العلوم الفقهيَّة واللغويَّة . . . . . وربما كان من المرجَّح أن يكون المنصورُ ، باني «مدينة السَلامِ » ، هو الذي وضعَ أُسسَ «بيت الحكمة» هذه المؤسسة التي ارتبطَ اسمُها باسمِ الخليفة الرشيد ، ووصلت إلى ذرْوة ازدهارِها في عصر المأمُون .

وإذا نظرنا إلى «بيت الحكمة» من خلال أنشِطته اللغوية وفي مجالاتِه العلميَّة المتعدّدة ، يظهرُ لنا جلياً أنَّ هذه المؤسسة تمثّل في واقع الحال أولَ مجمعٍ للُغة العربيّةِ ، وَفْق المفهوم الذي نُحدِّده لمجامِعنا اللغويّة في الوقتِ الحاضِر ، آخذين بعيْنِ الاعتبارِ اختلافَ الظُروفِ والأحوالِ . . . . فقد كانت هذه المؤسسةُ ، «بيت الحِكمة» ، تضمُّ علماء من مختلفِ التخصصات : فكان منهم الطبيبُ ومنهم المهندسُ ، ومنهم المنجِّمُ ومنهم اللغويُّ . . . . وكانت اللغة العربيّة الفتية تتعامل مع حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني في جميع مجالات المعرفة ، من خلال اللغات اليونانية والسِريانيّة والفارِسيَّة والسنْسِكريتيّة ، وكذلك اللَاطِينيّة ، ولا سيّما في اسبانيا الإسلامية .

وليس من أهدافنا في هذا التمهيد أن نبحث في تطوّر فكرة المجامِع اللغويّة عبْر هذه القرون ، وتبيان أصالَتها في تُراثنا اللغويّ والفكريّ ، ولكننَّا نودُّ أن نشير إلى أننا نملك من المعلومَات والروايات ما يوضِحُ لنا أنَّ نشوء المجامِع العلميَّة في اوروبا قد تأثّر بصورة رئيسيَّة بهذه المؤسسات العلميَّة واللغويّة التي رأيناها تزدهِر في اسبانيا الإسلامية ، وصقلّيَة، وشمال افريقيَّة . إذ إن تأسيس المجامِع في أوروبا يعود إلى ابتداءِ النَهضةِ الأوربيّة ، أي ما بَيْنَ القرنَيْن الخامس عشر والسادس عشر للميلاد . وإن الروايات التي بين أيدينا تشير إلى أن أقدم مجْمع في أوروبا كان مجْمَع فلورنَسة ، في ايطاليا ، للشعر ، وقد تأسَّس سنة ١٢٧٠ م . وكذلك مجْمَع المنَاظرات في طُولُوز ، للشعر ، بفرنسا ، وقد تأسس سنة ١٣٢٣ م . . . . ويكفي أن نشير هنا إلى المجالس الأدبيَّة التي كان لها دورٌ كبير في الحياة الأدبيّة والفكريَّة في اسبانيا الإسلاميَّة قبل ذلك بعدَّة قرون . . . . وأن سقوط غرناطَة ، في أواخِر القرن الخامس عشر للميلاد، وخُروج المسلمين من شِبه الجزيرة الإيبريّة (اسبانيا) نهائيا في أوائِل القرن السادس عشر الميلادي ، كان مؤشِّراً لِبدايَة النهضة الأوربيَّة . . . .

وقد صاحَب بدايَةَ عصر النهضة في أوروبا عصرُ التراجُع والتشتُّت للحضارة العربيّةِ الإسلاميَّة ، وتَغلُّب اللغات الأجنبيَّة على مؤسسات الدوْلَة ، كالتركيَّة والفارسيّة والسنْسكريتيّة ، وغيرها من اللغات الأوروبية ، كالفرنسية والانجليزيّة التي جاء يفْرضُها الاستعمار من خلال مؤسساته ومن خلال ارساليَّات التبشير . . . . فتراجَعت اللغةُ العربيَّةُ إلى حصُونها التي لا تُقْهر في حلقات المساجِد ، حيث يتَحلّق

الدارسون حول القُرآن الكريم والحَديث النبويّ الشريف ، وكذلك في بعض المؤسسات والكتاتِيب .

وعندما تَجدَّدت النهضةُ العربيَّة ، وبدأت تنتَشر اشعاعاتها الأولى على وادي النيل ، وفي ربوع بلاد الشَام ، وأرض الرافدينْ ، وعادت اللغةُ العربية إلـى تماسِّها مع لغات الحضارات العالميّة المتقَدّمة ، ونخُصّ منها الانجليزيّة والفرنسيّة والالمانيّة ، بدأت تظهَر مؤسسات مجْمعية تأخذ على عاتِقها مهمَّات صعبة في نشر العلوم والفنون من خلال هذه اللغة ، بتَنْمِيتها وبعْث الحياة فيها لكي تستوعِب من جديد حصيلة الفكر الإنساني ، ولكي تُصبح لغة العلم والبحث العلمي والتقنِيات الحديثة ، ولغة جميع الفَعاليات الحضاريّة ، كما كانت في عُهودِها الزَاهِرةِ .

إنّ اتصال اللغة العربية باللغات الأجنبية في العصر الحديث يختلِف اختلافا جوهريا عن اتصالها التاريخي بِلغات الحضارات القديمةَ ، إبَّان الفتوحات الإسلاميّة . . . ولا شك أن هذا عامل في غاية الأهميّة ، ففي أول تجربة لها لاستِيعاب المعارف الإنسَانية ، كانت تمثّل لغة الدعوة الإسلاميّة الظافِرة ، فهي لغة هذه المَبادِىء السامِية : لغة القُرآن الكريم والحديث النبويّ الشَريف ، وفي الوقت ذاته لغة الدوْلة بدواوينها ومؤسساتها . . . . في حين أن تجربتها في العصر الحديث ، تجربةٌ مُرَّةٌ ، ترتبطُ بالنضال الدَّامي الذي تخوضُه هذه الأمَّة من أجْلِ تحرُّرِها سِياسيّاً واقتصادّياً وثقافياً ، فقد كانت اللغة العربية وما زالت مُستَهدفة في هذه الموجات التي يشنُّها الاستعمار بوجوهِه وأشكاله المختلفة ، ابتداء من حملةِ نابِليون سنة ١٧٩٨ م ،

وانتهاءً بهذه الهجمة الاستعمارية الصهيونية الشرسة ، التي تدعمها قوى الاستعمار العالمي ، وتغَذّيها قوى العِدَاء الأعمَى لتراثِنا الإسلامي وللعربية لغة القُرآن .

ولا شك أن هذه العَوامل جميعها قد أثَّرت في نُشوء هذه المَجَامع ، وكان للمَجَامِع الأوربيّة ، ولاسيّما الأكاديميّة الفرنسيّة ، آثارٌ واضحة في قوانين وأنظمة المجامع اللغوية العربية الحديثة .

ففي سنة ١٨٩٢ م . أُنشىء في القاهرة «المَجْمع اللغويّ» للوضع والتعريب ، برئاسة المرحوم السيّد توفيق البكري . وقد ضمّ هذا المجمع نخبة من فُضلاء مصر ، ولكنه عُطِّل بعد سنوات ، ثمّ أُعيد ، وبقي يتعثّر في مسيرته . . . . وفي سنة ١٩٣٢ م . أُنشىء المجمع اللغوي في القاهرة باسم «مجْمَع اللغة العربيّة الملَكِيّ» . وفي سنة ١٩٣٨ م . أُبدِل اسمه الى اسم «مجْمَع فؤاد الأول للغة العربية» . . . ثم أصبح فيما بعد «مجْمَع اللغة العربية» .

وفي سوريا تأسس المجْمع العلمي العربي بدمشق في شهر أيلول سنة ١٩١٩م ، وكان أول المجامع اللغوية العربيّة . وكان نشوء هذا المجْمع صورة حقيقية لمسيرة التعريب في الوطَن العربيّ ، وتوافقها مع مسيرة حركة التَحرُّر والانعتَاقِ من نيرْ الأجنبيّ . . . .

وقد مهَّد تأسيس مجْمع دمشق السبيل لتأسيس مجامع علمية في أقطار عربية أخرى ، كالقاهرة وبغداد والأردن ولبنان : ففي العراق كانت أول محاولة لتأسيس : «مجْمع علمي» سنة ١٩٢١ م ، ثم جرى تشكيل لجنة سنة ١٩٢٥ م ، من أجْل تأسيس مجْمِع علمي . . . . ما

لبِثتْ أن عَصفتْ بها ريحُ الضياع .وقد أشار الى ذلك الأمير مصطفى الشِهابي بقولِه : «لَمْ تطلُ أيام المجامعِ التي كانت قد أُنشِئَت في بيروت وبغداد وعمَّان بعدَ الحرب الكُبرى الأُولى ؛ ويُعزى قِصَرُ عمْرها إمّا لحبْس الحكومات المال عنها ، وإمّا لأنّه يعوزها غير المال» . . . . . وفي ٢٦ تشرين الثاني /نوفمبر/ سنة ١٩٤٧ م ، أُنشِىء المَجْمع العلمي العراقي ببغداد .

وفي الأردن جرى التفكير في انشاء مجْمَع لغوي لأول مرّة سنة ١٩٢٤ م ، إذ أصْدَر الأمير عبد الله بن الحُسين أمره بتأسيس مجْمَع علمي في عمَّان . . . . ولكن لَم تَطُل أيام هذا المجْمع . . . . وفي سنة ١٩٦١م ، تأسَّست في وزارة التربيَةِ والتّعليم الأردنيّة «اللجنة الأردنية للتعريب والترجَمة والنَّشر» ، تنفيذاً للقَرارِ الذي اتَّخذه مؤتمر التعريب الأول ، المنعقِد في الرباط في شهر نيسان سنة ١٩٦١ م ، واستمرَّت هذه اللجنة بأعمالها حتى تأسَّس «مجْمَع اللغة العربية الأردني» في الأول من شهر تموز سنة ١٩٧٦ م .

وفي خارج الوطَن العربي تأسّس المَجْمع العلمي الهِندي» ، وهويتَّخِذُ من جامعة علِيكَره الإسلامية بالهند مقّراً له، ويهدفُ الى تشجيعِ الدراساتِ العربيّة الاسلاميّة وتطويرِها ، ويُصدِر منذُ سنة ١٩٧٦ م . مجلَّة باسمِهِ ، تتطَرَّقُ الى مشكِلات تعليمِ اللغةِ العربيّة ، ووسائلِ تطويرها باعتبارها لغةَ كلِّ مُسلم في العالم .

ونحنُ في استعراضِنا هذا إنما نشيرُ الى هذه المَجامع التي تُعنَى باللغةِ العربيّة ، ووسائل تنميتها وتعليمِها ونشرِها لكي تصبحَ قادرةً على استيعابِ جميع المَعارف الحديثَةِ ، ولكي تعودَ العربيّة كما كانت

في سَالِف عُصورِها لغةَ العلمِ والبَحثِ العلميّ . . . . ومن هنا لَمْ نَتطرَّق إلى الحديثِ عَن «أكادِيميّة المَمْلكةِ المَغْربيّة» ، ولا «المَجْمَع المَلَكيّ لِبحوثِ الحَضارة الاسلاميّة» في الأردن ، وغيرهما من المؤسَّسات العلميّة في الوطن العربيّ ، التي تلْتقي بأَهدافها الكَبيرة مع المَجامع اللغويَّة .

وتكادُ تُجمِعُ هذه المَجامعُ اللغويةُ العربيّةُ على الأهدافِ الكبيرة التي نَصّتْ عليها مراسيمُها ، وقوانينُ انشائِها ، ولا سيَّما فيما تهدفُ إليه من المحافظَة على سلامةِ اللغةِ العربيّة ، وجعلِها وافيةً بمطالب العلوم والفُنون في تقدُّمها ، ملائمةً لحاجاتِ الحياةِ في العصر الحاضر . . . . وغير ذلك من الأهدافِ .

بدأتْ هذه المجامعُ اللغويةُ منذُ انشائِها بالتَّصدّي للمشكلاتِ والعقباتِ التي تُواجهُهَا اللغةُ العربيّة ، وأَصبحَ مَجْمَع اللغةِ العربيةِ في القاهرة سبَّاقاً إلى العملِ منْ أجْلِ الحِفاظِ على اللغةِ العربيّة .

وإذا ما اسْتعرضنَا أوْجه فعاليّات هذه المَجامع اللغويةِ وأنشطَتِها ، فإنَّنا نستطيعُ أنْ نُصنِّفها على الوجه التالي :

١ ـ توسُّعٌ واجتهاداتٌ من أجْل إغْناء اللغة العربيّة وجعْلِها مواكبة لمتطلبات العصر .

٢ ـ وضْعُ المُصطَلَحاتِ .

٣ ـ التَرْجَمَة والتَعريب .

٤ ـ وضْعُ المُعجَمَات .

٥ ـ تَيْسير تعليم اللغةِ العربيّة ، في النَّحْوِ والصَّرْفِ والكِتَابَةِ .

٦ ـ إحْيَاءُ التُّراثِ .

أولا : ـ توسُّعٌ واجتهاداتٌ من أَجْلِ إغْناءِ اللغةِ العربيّةِ وجَعْلِهَا مواكبة لمتطلبات العَصْرِ :

بادرَ عُلماؤنا الغيَارى على لغة أمَّتهم وتُراثها ، الحَريصون على أنْ تَلحق هذه الأمَّةُ بركْبِ الحضَارة العالميّة وأنْ تُشارك في بنائِها وتطورِها ، أقولُ بادروا إلى تَلمُّسِ الطُرق الكفيلَةِ بأن تكون هذه اللغةُ مواكبة لمتطلبات العصر في جميع مجالات المَعرفةِ ، وقدْ أدْركُوا بثَاقِبِ بَصرهِم ، وكما دلَّتْ التجارب السابقة ، أنْ الجُهودَ يجبُ أنْ تتكاتَفَ منْ خلالِ المؤسَّساتِ اللغويّة والعلميّة على مُستوى الوطَن العربي ، منْ أجلِ أنْ تُصبحَ اللغة العربيّة لغةَ العلم والحضَارة ، كما كانت في سابقِ عُهودِها . وكانت المهمةُ شاقةً وصعبةً ، يحُفُّ بها كثيرٌ منَ المشكلات والتَّيارات السِّيَاسيّة والفِكريّة المتَصارعةِ ، فَمـنْ قـائلٍ بوجوبِ خُضوعِ اللغةِ العربيّـة لِسُنَّـةِ النُشُوءِ والارتِقَاءِ . . ومنْ قائل بأنَّ اللغةَ كاملةٌ مستوفاةٌ لا يفوتُها شيءُ، يُرَددوُن القولَ المشهورَ لابْنِ فارس : «ليسَ لنا اليومَ أَنْ نخترعَ ، ولا أنْ نقولَ غَير ما قالوا ، ولا أنْ نقيس قِياساً لمْ يقيسُوه» . . .

وَجدَ مَجْمع دمشق نفسَه، منذُ تأسِيسِه سنة ١٩١٩م ، بعدَ قِيام الدوْلَةِ العربيَّةِ ، ومنْ خلالِ الظروف التي كانتْ تُحيطُ به ، أمامَ قضايا عمليّة كان من أهمّها ، تهيِئةُ موظفي دواوين قادِرين على الإنشَاءِ باللغةِ العربيّة، وَتَنقِية هذه اللغةِ ممّا عَلِقَ بها من فسادٍ في مقوّماتِها ، وذبولٍ في نَضارَة الحياةِ . . . فبذلَ جهوداً خيِّرة في إصلاحِ لغةِ الدّواوين ، واعتمدَ بعضَ الكتبِ اللغويَّةِ ، وسَمَّاها

المراجعَ الموثوقةَ . . . وبدأ بنشرِ ألفاظٍ وتعابيرَ للاستعمالِ في الصّحفِ وفي مجلّتِهِ . . . . وجعل همَّهُ نشرَ اللغةِ الفَصيحةِ لِتحصيلِ مَلَكةِ الكِتابة والإنشاءِ الفَصيح فيها . . . وكذلك الاهتمام الكبير بتحصيلِ ملَكةِ النُطق والمحاوَرة باللغةِ الفصيحة ، فتجاوَزَ في ذلك دواوينَ الدولةِ والمعاهِد العلميّة إلى مجال خدمَة اللغةِ العربيّة في المجال الشَعبيّ . . . . لتثقيفِ الجماهير منْ ناحية ، وتنبيه المتعلمين منْ ناحيةٍ أخرى . فتناولَ في مجلّته بحوثاً مفيدةً في عثرات الأقلام والأفْمَام ، وتصحيح أخطاءِ العَوام ، والاجابةِ عن أسئلةِ الجمهور في صِحةِ الألفاظِ والمَعانِي ، وكيفيّة الوَضْعِ والتعريب .

وفسَحَ المجْمَعُ مجالاً في مجلّته للبحوث اللغويةِ الرّصينَةِ التي من شَأنِهَا الاجتهادُ والتوسّعُ منْ أجلِ إغناءِ اللغةِ العربيةِ ، فظهرتْ بحوثٌ كثيرةٌ تتحدَّث عن أسرارِ اللغةِ العربيةِ ونَخُصُّ منها القِياسَ والنَّحْتَ والإبدالَ والاشتقاقَ والقلْبَ ، من حيثُ كونُها من ظواهر التَطوُّرِ الصَّرْفيّ ، وموضوعات علم الأصواتِ اللغويةِ . . . .

واتَّجه مَجْمَعُ اللغةِ العربيّةِ بالقاهرة الى مُواجهةِ المشكلاتِ التي طرحتها ظروفُ الحَياةِ الجديدةِ في مجالاتِ العلوم والفنون والتقنيات الحديثة ، فأعَدَّ فيها بحوثاً ودراساتٍ علميّة رصينَة .

تَعرَّض لِمتْنِ اللغةِ في أصْلِه ونشأتِهِ، وفي نُموّهِ وتطوُّرِهِ، وفي رُكُودِهِ وجُمودِهِ ، وجَدَّ في البحثِ عن وسائل تنميته واثرائِهِ ، ووضعَ في ذلك طائفةً من القواعِد والمبادىءِ ، واتّخذَ قرارات تُعدُّ ثروةً علميّة قيّمة .وقد حَرَصَ المَجْمَعُ في ذلك كلّه على أنْ لا يخرجَ عن

طبيعةِ اللغةِ العربية ونظامها الموروث . وكانت قراراته تلك تمثِل الاجتهاد في تفسير ظواهرِ اللغةِ ، والمُواءَمةِ بينَ طبيعتها ومقتضياتِ الحياةِ الحديثةِ ، على أساسٍ من الآراء والنظريات التي خَلّفها علماء ثقاتٌ في تراثِنا العربيّ .

وكانت مقوّمات العربية والتغيرات التاريخيّة التي حدثتْ في مسيرتها ، تُمثِّل القاعدةَ الأصيلةَ التي انطلقَ منها علماؤنا الأفاضِل في مِصرَ والشَامَ والعِراقَ وغيرها من بلادِ العُروبةِ . فقد لاحظوا أنَّ التَغيُّرات التي حدثتَ في اللغةِ العربيةِ تكادُ تنحصرُ بالقضايا التاليَةِ :

المُسَمَّيات الأَعْجميَّة التي أُدخلتْ في اللغةِ بأساليبَ وأشكالٍ مختلفة ، والوضع سواءٌ أكانَ ذلِكَ يتمُّ عن طريق الاشتِقاق أمْ عن طريق المَجاز ، والتعريب بمعناهُ اللغويّ التاريخيّ ، وكان باباً رحْباً أمامَ المعاني الغامِرة ، وكذلك ملاحظة الألفاظ العربية الأصيلةِ والألفاظ المُهْمَلةِ والمُولَّدة والدَّخيلة ، وما كان منها مُشتركاً أو مترادِفاً أو متضَاداً . . . ووقَفوا وقفةً مطوّلة عندَ «العَاميَّةِ» واختلافِ اللَّهجاتِ . . . واتّجهت دراسةُ العاميةِ واللهجاتِ من أجلِ الارتقاءِ بها وتفصيحِها ، لا منْ أجلِ تقعيدِها نحواً وصرفاً ، كما كان الشأنُ لدى بعضِ دوائِر الاستعمار ، ومنْ يلوذُون بها من أعداءِ هذه الأمّة ولغتِها وتراثِها . . . وقدْ دَلَّتْ الدراسات العلميّة أنَّ معظمَ هذه العاميّات فصيحٌ حُرِّف وصُحِّفَ وكُسِّرَ ، أو أجنبيّ دَخيل ، أو مُرتجَل لا أصلَ لَهُ . . .

وإنَّ القرارات القيّمة التي نشرَها مَجْمَعُ اللغةِ العربيةِ بالقاهرة كانت

نتيجة جُهودٍ مثمرة قامَ بها في لجانهِ المُتخصِّصَة ومُؤتمراته العَتيدَة . وانَّ ما يُغْني هذه القَرارات ويُضفِي عليها قيمتَها العلميّة المتميّزة ، البحوثُ المستفيضةُ التي أُلقِيتْ في تلك الموضوعات اللغويّة ، والنقاش الذي دار حولَها .

ومن أهمّ تلك الموضوعات التي عالجَها مَجْمعُ القاهرة من أجل زيادَة ثروةِ اللغة العربيّة وإغنائِها ، ما أمْكنَ ، عنِ الاستعانةِ بالدَّخِيل ، وذلك بالتوسُّع في صِيغها :

الاحتجاجُ بلفظِ الحديثِ ، والأخذُ بمبدأ القِياسِ في اللغةِ ، استناداً إلى القاعدةِ المشهورةِ بينَ علماءِ العربيةِ ، أنّ ما قِيسَ على كلام العربِ فهو منْ كلام العربِ ، وكذلك معالجةُ ظاهرَةِ «التضمين» في اللغةِ ، ومُؤَدَّاهُ التَوسُّع في استعمال لفظٍ مكان لفظٍ آخر مناسِب لَه لِتحقيق فائِدة بلاغِية ـ على مثال ما كان يفعل العربُ ـ فيُعطى الأولُ حكمَ الثاني في التَّعدي واللزُوم . . . . وكان في قِياسيّة «التَضْمِينَ» ، بشروطِها التي استخلصَها المَجْمَعُ من كلام علماء النَحْوِ والبَلاغَةِ ، تَوْسيعٌ على المُشتغلين بالتألِيف والكِتابة وتخفيف منْ غَلْواءِ الاقتِصارِ على ما وَردَ في المَعاجِمِ .

ومنَ الموضوعاتِ الأخرى التي انْبَرى لَها علماؤنا المَجْمَعيّون في مجال مَتْنِ اللغة ، موضوعُ المُوَّلد والاشتِقاق من أسماء الأعيان ، والنَحْت وقبول السّماع من المُحْدَثين ، وتكملة فروع لغويّة لَمْ تُذكر بقيّتها ، وكذلك الاجتهادُ في المصدَر الصِّناعي ، ومَصْدَر «فِعَالة» للحِرفَة ، ومصْدَر «فَعَلانَ» للتقلُّبِ والاضطراب . . . . ، وقياسِيّة «مَفْعلَة» للمكان الذي يكثُرُ فيه

الشَيء ، وقياسِيّة الغَالِب من جُموعِ التَكْسِير ، وجواز النِسْبَة إلى جَمع التكسِير ، وقياسِيّة جَمْع الجَمْع ، وجواز جَمْع المَصْدَر ، وقياسية «فَعَّلَ» للتكثير والمُبالغَةِ ، وقِياسيّة التَعدِيَة بالهَمْزَةِ . . . . وجوازُ دخول «ألْ» على حرفِ النَفي «لا» ، وغير ذلك من الصّيغ التي تهدِف إلى تَطْويع اللغةِ العربيةِ لاستيعَاب مفاهيم الحضارةِ الحديثةِ في جميع مجالات المَعرفةِ العلميّة والحَضَاريّةِ .

وقد وضعتْ بحوث علميةٌ دقيقةٌ في جميع هذه الموضوعات ، تتناولُ مختلفَ جوانبها ، وكانتْ هذه البحوث تُنشَرُ لمزيدٍ من المناقشةِ والحِوار . . . . وكثيراً ما كان المَجْمَعُ يؤلّفُ لجنةً خاصةً من بعض أعضائِهِ لِبحث موضوع معيّن ، فقدْ ألّفَ مَجْمَعُ القاهرة مثلاً ، سنة١٩٤٧ م ، لجنةً تنظرُ في موضوعِ «النّحْـتِ» ، ووضع مُقرّرُ اللجنة العالِم الجَليل الشيخ إبراهيم حَمْروش بحثاً ، انتهى فيه إلى قوله : «ونحنُ نقولُ بجواز النّحْتِ في العلوم والفنون للحاجة المُلحة إلى التعبير عن معانيها بألفاظٍ عربيةٍ موجزةٍ» . . . وكان قرارُ المَجْمَع يقضي بجواز النّحْتِ عندما تُلجىءُ إليه الضرورةُ العلميةُ . (انظر : مجلة مجمع اللغةِ العربيةِ بالقاهرة ، ج ٧ ، ص ١٥٨) . . . . .

ويتطرقُ لهذا الموضوع الأميرُ مصطفَى الشِهابي ، في بحثه بعنوان «مدَى النّحْتِ في اللغةِ العربيّةِ»[١] .

---

(١) انظر : مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ٤ ، المجلد الرابع والثلاثين ، دمشق ، تشرين الأول ١٩٥٩ م ـ ٢٩ ربيع الأول ١٣٧٩ هـ ، ص ٥٤٥ ـ ٥٥٤ .

وهكذا كانتْ وما زالتْ تَتجاوبُ أصداءُ هذه البحوث في مجلاَّت مجامِعنا اللغوية ومؤسَّساتِنا العلميّةِ في الوطَن العربِيّ .

ثانياً : وضعُ المصطلحات العلميّة وألفاظِ الحضَارةِ :

أدركتْ المجَامِعُ اللغويةُ العربيةُ منذ تأسيسها أهمية المصطلح العلميّ منْ حيثُ هو أداةُ البحثِ ولغة التفاهم بينَ العُلماءِ ، وأنّه جزءٌ مُهمٌّ منْ المنهجِ العلمي ، وأنَّ تحديدَ المصطلح العلمي شرطٌ أساسيٌّ في سلامة المنهجِ ووحدِة الفهم والإفهام في لغةِ العلم ، ومنْ طبائِع الأمور أن تُؤدّى الحقائق العلمية أداءً دقيقاً . ولكن وضع المصطلحاتِ ، وتكديسها على الرُفوف وفي بطون الكتبِ لا يعني شيئاً ، إذ لا تدبُّ فيها الحياة إلا بالاستعمال ، وأن اللغةَ العلميةَ ترتبطُ ارتباطاً عضوياً بالحياة العلميّة والبحثِ العلميّ ، والشَواهد على ذلك كثيرة : فعندما رَكَدَ البحثُ العلميُّ في عهودِ الظلام في تاريخ أمتنا ، رَكدَتْ لغةُ العلم والفِكر ، وَجَمَدَتْ مصطلحاته . . . . وعندما جاءت النهضةُ العربيةُ الحديثةُ . . . استُبعِدَتْ اللغةُ العربيةُ ، مع الأَسفِ ، عن أهمّ مجالاتِ العلوم والفنون في الجامِعات والمُؤسّسات العلمية في جميع الأقطَار العربيّة ، إذا استَثْنينا القطرَ العربيّ السّوريّ . . .

وأمامَ هذه الأوضاع المُستَجِدَّةِ التي تستهدِفُ إعاقةَ نهضةِ أمتنا منْ خلال استِبعَادِ اللغةِ العربيةِ عن مجالات التعليم العلميّ في مختلفِ مستوياته ، واستبعادها أيضاً عن أنْ تكون لغةَ البحثِ العلميّ والتقنياتِ الحديثةِ ، كان لا بُدَّ لهذه المجامعِ اللغويّة العَتيدَة أنْ تواجِه هذه المشكلات . . . ولمْ تكُنْ المُهمَّةُ سَهلَة .

فقد بادَر المجمعُ العلميّ العربيّ بدمشق منذُ تأسِيسه إلى ترجمةِ المصطلحاتِ الإدَاريَّةِ في جميع دواوين الدّولة ،ووضعها مجدَّداً باللغةِ العربيةِ الفصيحة .... وعُنِي كذلك بأمورِ اللغة في الجامعةِ والمدارس ، واستعانَ بالمُتخصّصِين في جميع الفروع ، فجمعَ بينَ قُدرةِ أعضائِه اللغويةِ وبينَ معرفةِ المتخصصين بمفاهيم الألفاظِ العلميّة والفنية ... وكان له دورٌ كبيرٌ في وضعِ مصطلحات العلوم والفنون الحديثةِ ولا سيما فيما تستعملهُ كليّتا الطِّب والحُقوق ، اللَّتان بدأتا منذُ مطلَعِ هذا القرن بتدريس جميع الموادّ باللغةِ العربيّةَ ، فكان لدمشقَ قصبُ السَّبْقِ في هذا المِضمَار ، وأصبحتْ جامعاتها ومؤسساتها العلمية المثالَ الكبيرَ أمامَ جميع الجامعاتِ العربيةِ التي ما فَتِئَتْ تُدَرِّس العلومَ ، في الوقتِ الحاضر ،وقد قاربَ القرنُ العشرون على النِهايةِ ، بلغاتٍ أجنبيةٍ ، بالفرنسيّة في المَغرِب العربي ، وبالانجليزيّة في المَشْرق العربيّ .

ومنذُ البداية كان الْمَجْمعُ بدمشق يتطلَّعُ إلى الاتّصال ببعضِ العلماءِ والمُتخصّصين خارجَ البلادِ السُوريّة ، للتّعاونِ معهم في وضعِ المصطلحاتِ الحديثةِ ...

وعندما خرجَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ بالقاهرة إلى حَيِّز الوُجودِ ، لم يتردد بأنْ يتصدّى لهذا الموضوع الخَطير ، مُتجاوِزاً جميعَ العقَباتِ ، إذ ليستْ هنالك هيئاتٌ علميةٌ تُعاونُه باقرارِ هذه المصطلحات منَ الناحية الفنيّة واستخدامها في التدريس والبحثِ العلميّ والتأليف ، ومنْ ناحِيَةٍ أخرى فقد أُهْمِل المصطلح

العربيّ القديم ، وحدثتْ قطيعةٌ حادة بين علمـائِنا في العصرالحاضر ، وبينَ تُراثِ أُمتهم في مجالاتِ تخصصاتِهم المختلفة . . .

اضطلعَ مجمعُ اللغةِ العربيةِ في القاهرة بهذا العِبءِ منذُ الدورة الأولـى ، وعُني به عنايةً كبيرةً ، وكوَّن لِجاناً متخصصة للمصطلحات ، وأَنجزَ في هذا المجال مُنجزاتٍ كبيرة تعتّزُ بها اللغةُ العلميةُ ، وقد ظهرتْ حديثاً مؤسسات علمية كثيرة تقفُ إلى جانبه وتعاونهُ ، وإنْ كان هذا التعاون لمْ يصلْ حتى الآن إلى حدِّ الالتزام في التطبيق .

ويحدِّثنا الاستاذُ الجليلُ ابراهيم مَدْكُور ، رئيسُ المجمع ، في الجزءِ الأول منْ كتابِ «المجمع في ثلاثين عاماً» ، ص ٥٤ : «والواقع أنه لمْ يستَقِمْ له لأوّل وهلَة منهجٌ لوضع المصطلحات وإقرارِها ، وتردَّد في ذلك زمناً : أيخترعُ أمْ يُسَجِّل ؟ أيُعَرِّبُ أمْ يُحِيي الألفاظ القديمة ؟ أيقْبَل العاميّة أمْ يأخذُ من الفصحَى وحدَها ؟ أيُسَلِّمُ بالنحت أمْ يرفضه؟ وقد استطاع أخيراً أنْ يُلائِمَ بين هذا كله ، فهو يُؤمِنُ أنَّ مهمتَه الأولى أنْ يُسَجّل ما اصطلحَ عليه المختصون ما دامَ لا يتعارضُ مع أصولِ اللغةِ . وقد دعا ولا يزالُ يدعو إلى جمع المصطلحات العربيةِ القديمة . . ولكنَّه يرى أنَّ هذه المصطلحاتِ أصبحتْ لا تَفي بالحاجةِ ، وأنَّ البحثَ العلميّ الحديث في تَنوُّعِه وتشعُّبِه يتطلّبُ وسائلَ أوسع وأنجَع ، ومنْ بينِها أنْ نُعرّب كما عَرَّب العربُ قديماً ، فأخذوا عن اليونانيَّةِ ، والهنديّة ، والسريانية ، والعِبريّة ، والفـارسيّة ،

والتّركيّة ، وكما عَرَّب المُحْدثون عنِ الانجليزيَّةِ والفرنسيّة والايطاليّة والاسبانية . » وقد بُذلت جهود كبيرة مشكورة في العقديْن الأخيريْن ، في مجال المصطلحات العلميّة وتوحيدها على مستوى الوَطن العربيّ ، وكان للمجَامِع اللغويّة العربية ، والجامعَات ، والمنظمة العربيّة للتربية والثقافَة والعُلوم ، من خلال المكتب الدائِم لتنسيق التعريب في الوطن العربي ، ومؤتمرات التعريب دور كبير وانتاجُ غزير في وضع المصطلحات العلميّة باللغة العربيّة . . .

وربما كان من المفيد ، أمام هذه الحَركة النشِطة في الوطن العربيّ ، وأمامَ ما يقِف أمامها من عَقبات ـ وأهم هذه العَقبات مع الأسف عدم الالتِزام بالتطبيق وغِياب سياسة وطنية عُليا تقضي بوجوبِ تعريب التعليم في جميع مُستوياته وفُروعه ـ أقول ، ربما كان مفيداً أنْ أُشير هنا إلى بعض الأمثلة من المنهَجية في وضع المصطلحات العلميّة ، وأشير هنا الى التوصِيات الخاصة بِوضع المصطلحات العلمية التي أقَّرها مجلِس مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة ومُؤتمراته ، في الدورة الخامِسَة والأربعين ، وتتلخص فيما يلي :

أولا : المبادىء الأساسية لاختيار المُصطَلح :

١ : الالتِزام بما أقَّره مجلس المجمع ومؤتمره من نهج أو أسلوب لوَضع المصطلحات العلميّة وتعاريفها .

٢ : الوفاء بأغراض التعليم العَالِي ومَطالِب التأليف والتَرجمَة والثقافة العلمية العالِية باللغةِ العربيّةِ .

٣ : الحِفاظ على التراثِ العربيّ ، وخاصةً ما استَقرَّ منه من مصطلحات علميّة عربيّة صالِحة للاستعمال الحَديث .

٤ : مُسايرة النهج العلميّ العَالميّ في اختيار المصطلحات العلميّة ، ومُراعاة التقريب بين المصطَلحات العَربيّة والعَالمية لِتسهيل المُقَابَلة بينها للمشتغلين بالعلم ولِلدارسين .

ثانيا : التَوصِيات :

١ : الأخذ ما أمكن بوضع مصطَلح عربيّ لِمُقابله الانجليزي والفرنسي ، مع الاستِرشَاد بالأصل اللاتيني أو الاغريقي انْ وُجد ، ومُراعاة أنْ يتفق المصطلح العربي مع المَدلُول العلميّ للمصطلح الأجنبي ، دون تقيُّد بالدلالة اللفظية مثل :
«غُرفة كاتمة» وليس «غُرفة ميِّتة» في مقابل «Dead Room»
الخ . . . .

٢ : ايثار الألفاظ غير الشَائِعة لأداء مصطلحات علميّة ذات دلالة محدَّدة دقيقة ، مثال ذلك : «كم» بدلاً من «كميّة» في مقابل «Quantum» الخ . . . . ، على أنْ نتجنب الألفاظ الغريبة والمُبتذلة والثقيلة على النُطق أو السَمع ، أو التي لا يسهُل الاشتقاق منها ، مثال ذلك :
«الرياضيات» بدلاً من «ماتيماتيقا» في مقابل «Mathematics»
الخ . . . .

٣ : التعريب عند الحاجة ، وبخاصة عندما ينصب المصطلح الأجنبي على اسم علم ، أو يكون من أصل يوناني أو لاتيني شَاع

استعماله دوليا ، ويحتَفِظ بصورته الأجنبية مع الملاءَمة بينه وبين الصّيغ العربية ، مثال ذلك :

فيزيقا «Physics» ، بيولوجيا «biology» الخ . . . . .

٤ : اعتِبار المصطلح المعرَّب من اللغة العربية ، واخضاعه لقواعدها ، واجازة الاشتقاق والنحت منه ، واستخدام أدوات البدءِ والالحاق ، على أنْ يُقاس كل ذلك على اللسان العربيّ .

مثال ذلك لفظ «أيُون» مقابل «ion» الذي اشتق منه الفعل «أيَّنَ» ، فيُقال : «تَأَيَّنَ» . . . .

٥ : الأخذ بما درج على استعمالِه من مصطلحات ودلاَلات علميّة خاصة بهم أو قاصِرة عليهم ، معرَّبَةً كانت أم مُترجمة ، مثال ذلك :

ترانزستور : «Transistor» الخ . . .

اللهمّ الاّ أنْ يتبيّن خطأ الاستعمال الشائع ، فيُستبدل به استعمال صحيح مثل :

«حاسب الكتروني» لا «عقل الكتروني» «Computer»

٦ : إفراد المصطلح الواحِد بلفظٍ واحد ما أمكن ، وهذا يساعد على تسهيل الاشتِقاق والنِسبة والإضافة والتَثنية والجمْع .

٧ : توحيد المصطلحات المشتركة (عربية كانت أم معرَّبة) ذات المعنى الواحد بين فُروع العلم المختلفة . فإن كان المصطلح أصيلاً في أحدِ فروع العلم الأساسية ، التَزمتْ به الفروع الأخرى . . . أما إذا كان مشتركاً بين علوم مختلفة ، فينبغي أن

يتمّ عليه اتفاق وإجمَاع من المتخصصين في هذه العلوم ، مثال ذلك أسماء العناصر .

٨ : عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلُولها ، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدَقيقة لكلِّ واحدٍ منها ، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابِلها ، مثال ذلك :

مقَاوَمة : «Resistance»

٩ : ضرورة تعريف المصطلح ، ولا شك في أنَّ المصطلحات يُفسّر بعضها بعضا .

١٠ : يكتب اسم العالِم الأجنبي بالصورة التي ينطق بها في لُغته ، مع الاشارة الى جنسِيّته وتخصُّصه ، ويضاف إليه الاسم مكتوباً بالحروف اللاتينية .

١١ : البدء بالمصطلحات الأشهَر والأكثر تداولاً ، ثم تأتي مرحلةٌ تالية للمصطلحات الأقل شُهرة وتداولاً ، وذلك يُيَسِّر إخراجها في معاجِم موجزة أو وسيطة أو كبيرة .

١٢ : عند طباعة المعاجم تُكتب المصطلحات الأجنبية مبدوءة بحروف صغيرة ، ما لمْ تكن أعلاماً ، ويُكتب المصطلح العربيّ المُقابِل غير مُعَرَّف بالألف واللام ، لتيسير الكشف عنه في المُعجم .

ونحن نكتفي بالاشارة إلى هذه القواعد العامة التي كانت ، ولا شك ، حصيلة آراء كثيرة طُرحت في ندوات ومؤتمرات متعدِّدة ، داخل مصر وخارجها . . .

ونحن نعتقد بأن أهمية توحيد المصطلحات العربيّة لا تقِلُّ مطلقاً عن وضعها وإيجادِها ، فلا قيمة لهذه المصطلحات إلا إذا أقرَّها أهلُ العلم والمتخصصون والتَزموا بتطبيقها ، فالمصطلحات والألفاظ الحضارية جزءٌ مهمٌ من اللغة ، ولا مجال لحياتها إلا بالاستعمال في شؤون الحياة والتدريس ، والنشر ، والتأليف والبحث . . . .

وقد أَوْلَتْ المجامع اللغوية في دمشق وبغداد موضوع المصطلحات اهتماماً كبيراً ، وقام مجمع اللغة العربية الأردني منذُ تأسيسه بالطَّلب إلى جميع الوزارات والدَّوائِر والمؤسسات الرسمية والخاصة ، بِتزويده بما لديها من مصطلحات تحتاج الى مقابلات عربية . وكانت الاستجابة لهذا النداء عاجلة وواسعة ، فتلقّى المجمع اجابات من وزارة النقل ، ووزارة التجارة والصّناعة ، والقُوات المسلحة ، والأمن العام ، ودائرة الأرصاد الجوية . والبنك المركَزي ، ودائرة الرموز والمواصفات والمقاييس ، ثم من وزارة التربية والتعليم لمصطلحات التعليم الصّناعي والتجاري والزراعي للمرحلة الثانوية . وألَّف المجمع لكل موضوع لجنة ، دَعَمها بخبراء مختصين من مختلف الدوائِر والمؤسسات التي قدَّمت المصطلحات . . . وفرغَت هذه اللجان من أُلوف المصطلحات ، وتُعرض عادة هذه المصطلحات أولاً فأولاً على اللجنة العامة للمصطلحات ، فتعيد النظَر فيها ، مستعينة بالخُبراء أنفسهم ، فاذا ما فرغَت منها ، تُعرض على مجلس المجمع لمراجعتها بمشاركة الخُبراء ثم اقرارها ، تمهيداً لتحويلها الى اتحاد المجامع اللغوية

للعمل على دراستها وتوحيدها في الوطن العربي . ويحرصُ مجمع اللغة العربيّة الأردني على توحيد هذه المصطلحات العلميّة ، لكي تكون هنالك لغة علميّة عربية واحدة .

وأصدر مجمع اللغة العربية الأردني في المصطلحات :

١ : تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها .

٢ : مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف .

٣ : مصطلحات الأرصاد الجويّة .

٤ : مصطلحات زراعيّة ،وتشمل الانتاج النباتي والانتاج الحيواني ، متفرقات

وقد أقَّر مجمع اللغة العربية الأردني المصطلحات التالية تمهيداً لنشرها[1]:

١ : مصطلحات النقل والتموين العسكرية .

٢ : مصطلحات الصيانة العسكرية .

٣ : مصطلحات سلاح المدفَعِية .

٤ : مصطلحات سلاح اللاسلكيّ .

٥ : مصطلحات سلاح الهَندسة .

وفرغ كذلك من دراسة المصطلحات التالية بالاشتراك مع المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس :

٦ : مصطلحات المِترولُوجيا .

٧ : المصطلحات المستخدمة في المواصفات والمقاييس .

وما زال المجلس ولجانه يدرسون آلاف المصطلحات تمهيداً لإقرارها وإرسالِها إلى المجامع اللغوية واتحاد المجامع العربيّة .

وخلاصة القول ، فقد وضعتْ المجامع اللغوية العربية عشرات الالآف من المصطلحات العلميّة ، وإن الوسائل التي تَتوافر لديها

(١) المصطلحات العسكرية رقم ١ ــ ٥ نشرت في كراسات خاصة ، ما عدا مصطلحات سلاح اللاسكي التي يعمل المجمع على نشرها في كتاب مستقل .

كَفيلة بأن تقوم بهذه المُهمِة ، لكي تساير الأعداد الهائِلة من المصطلحات الحديثة التي تدخُل مجالات العلوم والمعرفة الإنسانية ، ولكن إذا لمْ يُتَّخَذ قرار بالالتزام في التطبيق ، فسيبقى هذا الجُهد الكبير عقيماً ، يراوح بين رفُوف المكتبات وبعض الأوساط العلميّة المهتمَّة .

ثالثاً : الترجمة والتعريب

إن موضوع الترجمة والتعريب يُشَكِّل رافداً مهمَّاً من روافد اللغة في زيادة ثروَتها ، وتمكينِها من التطور الخَصب في وسائل تعبيرها . ولهذا الموضوع عدة جوانب ، منها ما يتعلَّق بتعريب المصطلحات العلميّة ، ومنها ما يتعلّق بنقل أُمهات الفكر العالمي إلى اللغة العربية ، ومنها ما يتعلق بقضية تعريب التعليم الجامعي .

فأما ما يتعلق بتعريب المصطلحات ومنهجيّتها ، فقد أشرنا ، سابقا الى بعض تلك القواعد العامَّة ، التي حاولتْ من خلالها مجامع اللغة العربية أنْ تُكَوِّن منهجيّة موحدة لتعريب هذه المصطلحات ، وقد كان لمجمع اللغة العربية في القاهرة جهودٌ متميّزة في مجال الدراسات التي تتعلق بمَتْن اللغة . ومنْ جملة المشكلات التي صادفها ، وجود الطرق المختلفة بين البلاد العربيّة المعاصِرة في التعريب والترجمة ، ثم هناك طرائق اللغات الغربية فيما تضيف للألفاظ من صدور أو تلحق بها من كاسعات أو لواحِق ، تستمِدُّها غالبا من اللغتين اليونانية واللاتينية ، للدلالة على شبه ، أو مبالغة ، أو نقص ، أو سلْب ، أو

توليد ، أو قياس ، أو كشف ، أو امتِزاج ، أو غير ذلك مما تحفل به مصطلحات العلوم في العصر الحاضر .

وكان من الطبيعي أنْ تُساير اللغة العربيّـة اللغات الأخرى المتقدّمة، فتَنهل من المَعين نفسه ، ولكن دون ما تَهاون أو تفريط في قَسماتها وطبيعتها التي أضفاها عليها وخلّدها القُـرآن الكـريم ، فكان أسلوبها في ذلك أنْ تحاول أولاً وضع ترجمة عربية أصِيلة للمصطلح العلميّ الأجنبي ، على أنْ يكون في لفظٍ واحد ما أمكن ، فإن تَعذّر ذلك ، لجأتْ إلى الاستعانة بسابقةٍ أو لاحقة من أصل عربي كذلك ، كما فعلتْ في لفظ : «لاسلكي» ، فإن تعذّر ذلك أيضاً ، لجأتْ إلى انتقاء السابقة أو اللاحقة من الأصل اللاتيني السائد الاستعمال دولياً ، وألحقتها بالمصطلح اللاتيني الأصل ، حتى لا تمزج بين أصْلين مختلفَيْن لغوياً في لفظة واحدة . مثال ذلك : «بيوفيزيقا» للدلالة على علم الطبيعة الحيوية . وقد أقَرّ مجمع اللغة العربية بالقاهرة أعداداً كبيرة من مصطلحات علميّة عربية ومقابلاتها الأجنبية التي أدخلت عليهاالسّوابق واللواحق . ويمكن الرجوع إليها في مظانِّها من منشورات المجّمع .

أما ما يتعلق بنقل أُمهات الفكر العَالميّ ، فلم يتعَدَّ الأمر حدَّ الانتقاء من هنا وهناك ، كما فعلتْ اللجنة الأردنيّة للتعريب والترجمة والنّشر قبل تحوُّلِها إلى مجمع اللغة العربية الأردني ، فقد أصْدَرت في منشوراتها عدداً منَ الكتب المترجمة .

أما القضية الأخرى التي تتعلق بالتعريب ، وهي إحدى القضايا

الخَطيرة التي تشغَل بال أُمَّتِنا في الوقت الحاضر ، فهي «تعريب التعليم في الجامعات العربيّة» . فإذا استثْنَينا الجامعات في القُطر العربي السّوري ، فإن جميع الجامعات العربيّة ما زالَتْ تُدرِّس كثيرا من العلوم بلغات أجنبية . ولا شك أن واجباً كبيرا يُلقى على عاتِق المجامع اللغوية ، وربما كانت الأعباء الفنية واللغوية أخَفَّها في هذا المضمار ، إذا ما قُورنتْ بالتيارات المعادِية للتعريب . . .

وكان التعاون وثيقاً بين مجمع دمشق وعلماء جامعتها منذُ البداية ، تَدعَمُه سياسة وطنية لمْ يستطع الاستعمار الفرنسي إذ ذاك أن يغيّر اتجاهها . فكانت كلية الطب تُدَرِّس باللغة العربية ، وكذلك كليةُ الحُقوق منذُ بداية العشرينيات . ثم تكاملَت الجامعة السورية بكليّاتها المختلفة بعد الاستقلال ، وزادت الجامعات أيضاً ، وهي تشقّ طريقها المشرّف بتدريس جميع العلوم باللغة العربية .

وكان الأمر غير ذلك في مصرَ والعراقِ والأردنِ ، وغيرها من أقطار العروبة ، مع الأسف ، حيث تُزاحِم اللغاتُ الأجنبيةُ الآن اللغة العربية في عُقر دارها ، وتحرمها من السيادة في بيتها ، متذَرّعة بذرائع كثيرة واهية ، لا يمكن أنْ تصمد أمام الاختبار العلمي الموضوعي .

وقد خصَّص مجمعُ القاهرة شطراً من جهدِه في خدمةِ هذا الهدف الكبير ، وكذلك فعل المجمعُ العلميّ العراقيّ ببغدادَ .

ولعلَّ أهم ما يشغلُ بالَ مجمع اللغةِ العربية الأردني مُنذ أوائل عام ١٩٧٨م ، وبعد تأسيسه بقليل ، هو موضوعُ «تعريبِ التعليم العلميّ في الجامعات العربيَّة»، فقد شاءَ المجمعُ أنْ يقطع الطريق على المُنادين بتعليم العلوم بلغة أجنبية ، متذرعين بعدم وجود كُتُب لهذا

الغرض باللغة العربيّة ، بزعم أنَّ اللغة العربية ليست لغة علم وحضارة . وتحقيقاً لهذا الهدف السَّامي ، قرَّر المجمع أن يتبنى مشروعا علميا محددا ، لكي يخرج من حيّز النظريّة إلى حيّز العمل . فاختار البدء بتعريب الكتب العلمية التي تُدرَّس في السنة الأولى بكلية العلوم في الجامعةِ الأردنيةِ وجامعة اليرموك ، وعهد بترجمتها إلى العربيّة إلى لجان من أعضاء الهيئات التدريسية في الجامعتين . وكانت الكتب في الموادّ التالية : الرياضيات ، والفيزياء ، والكيمياء، والجيولوجيا ، والبيولوجيا . وقد صَدرت هذه الكتب الخمسة وهي :

١ ـ كتاب التفاضُل والتكامُل والهندسة التحليليّة ـ تأليف : ايرل سووكوفسكي (جزءان) .
٢ ـ كتاب البيولُوجيا ، تأليف : ريتشارد غولد سبي(جزءان) .
٣ ـ الجيولُوجيا ، تأليف : روبرت فوستر .
٤ ـ الكيمياءُ العامةُ ، تأليف : فريدريك لونغو .
٥ ـ الفيزياءُ الكلاسيكيةُ والحديثةُ ، تأليف : كينيث فورد .

وبذلك اكتملت سلسلة الكتب المترجمة للسنة الأولى . وفي سنة ١٩٨١م ، عَمدَ المجمع إلى كتب السنة الثانيّة الجامعيّة ، فألَّف لجنةاستشارية من أساتِذة الجامعتين الأردنيتين ، وطلب اليهاأنْ تقترح الكتب التي ينبغي ترجمتها ، فقدَّمت أسماء اثني عشرَ كتاباً في الفيزياء ، والكيمياء ، والرياضيات ، والبيولوجيا . واتفق المجمع مع عددٍ من الأساتذة المتخصّصين في كل فرع من الفروع العلميّة في الجامعتين الاردنيتين ، لِترجمة هذه الكتب ، ولمُراجعتها علميّا

ولغويا ، وللإشرافِ على تدقيق تجاربها .

وقد صدر من هذه الكتب ، كتاب «الجَبر المُجَرَّد ـ بطريقة التعليم الذَّاتيّ النشِط» ، تأليف نيل ديفدسون وفرانس جيوليك .

ونرجو ، انْ شاء الله ، أن يتوالى صدور بقيّة هذه الكتب ، في حملتنا المبارَكة للمشاركة في تعريبِ التعليم العلميّ الجامعيّ . هذا ومنَ الجدير بالذِكر أنَّ كتابَ «البيولوجيا» الذي ترجمه مجمعُ اللغةِ العربيّة الأردني ، قدْ حازَ على جائِزة «أحسن كتاب مترجم الى العربيّة» في «معرضِ الكتب» الذي أُقِيمَ بالكويت عام ١٩٨١ م .

وقد عقَّب الاستاذ الجَليل عبد العزيز بنعبد الله ، مديرُ عام مكتبِ تنسيق التعريبِ بالرباط ، على هذا الجهد بقوله : «وبهذا يكون المجمعُ (مجمعُ اللغة العربيّة الأردني) قدْ وضع الأساس العلميّ لاغناءِ اللغة العربيّة بالمصطلحات ، والأفكار العلميّة والتقنية معاً ، وجعلها تقف على قَدَم المُساواة مع لغات العلم في العالَم»(١)

ونحنُ نعتقد أنَّ اللغة العربية ستُصبح ، ولا شك ، لغة البحث العلميّ والتعليم الجامعيّ في مختلف مجالاته ومستوياته ، وأنَّ العوائِق التي ما زالتْ تُعيق هذه الانطلاقة التاريخية ستنهار قريبا ان شاء الله . . . ولا أدَلَّ على ذلك من أنَّ «اتحاد الجامعات العربيّة» قدْ جعل الموضوع الرئيسي لمؤتمره الرابع الذي عَقده بدمشق : «تعريب التعليم الجامعي» .

---

(١) انظر : التعريب ودوره في تَدعيم الوجود العربيّ والوحدة العربيّة ، مركز دراسات الوحدة العربيّة ، ص ١٢٥ ، بيروت ، أيّار/ مايو ١٩٨٢ م .

رابعاً : وضعُ المعجمات

بدأ علماءُ العربية بوضع المعجمات منذ عهد مبَكِّر : فوضع الخليل بن أحمد ، في القرن الثاني للهجرة «كتاب العَيْن» ، فرسم بذلك منهجاً للمعجمات الكبرى . وتنافَس مِنْ بعده اللغويون والنحاة في تأليفها. وتوالت العناية بمعجمات هذه اللغة الشريفة ، لغة القُرآن الكريم ، حتى يومِنا هذا ، وستستمر بخلود هذا التنزيل العزيز . وقد وصل إلينا معظم هذه المعجمات .

ولا شكّ أنَّ هذه المعجمات اللغوية تَتطوَّر بتطوُّر الحياة وحاجاتها : ولِذا باتَ من الواجب أنْ تكون هنالك معجمات عربية تُواجِه حاجات العصر ومقتضياته ، وتستفيد من الفن المعجمي الذي تطورَّ بتطوُّر الزمن ، وبلغَ قمته في القرن التاسع عشر ، حيثُ ظهرت آثاره واضحة في بعض المعجَمات الأوربية الكبرى ، مثل معجم «لاروس» بالفرنسيّة ، و«أكسفورد» و«وبستر» بالانجليزيّة . . . . فالمعجم أداةُبحث ، قبل كل شيء ، ومرجع سهل المأخذ ، ولذا ينبغي أنْ يكون واضحاً ، دقيقا ، مُصوراً ما أمكن ، محكم التبويب . . . وليس من المصادفَة أنْ يَنُصّ مرسومُ مجمع اللغة العربيّة بالقاهرة على أنَّ من أهم أغراضه «أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربيّة» . ولا شك أنَّ مجمعناالكبير في القاهرة مُؤهل لانجاز هذه المهمة التاريخية ، إذا ما توافَرت له الظُروف المناسبة .

وبالفعل ، كوَّن المجمع في الدورة الأولى «لجنة المعجم» ، فحَدَّدت الخطة ، ورسمَتْ المعالِم الرئيسية لما ينبغي أنْ يكون عليه المعجم العربيّ في القرن العشرين .

وإن وضع معجم تاريخي في اللغة العربية يَستلزم استقصاء نصوص النثر والشعر في مختلف العصور والبيئات ، وتسجيل ما وردَ فيها من ألفاظ ودلالات . . . وعلى كل ، فان معجماً تاريخياً في اللغة العربية أضْحى هدفاً من أهداف مجامعنا اللغوية .

وفي سنة ١٩٦٠م ، ظهر المُعجم الوسِيط في جزأين كبيرين ، وقَصر همه على اللغة قديمها وحديثها ، وتوسَّع في المصطلحات العلميّة الشائِعة ، ودَعا إلى الأخذ بما استَقرَّ من ألفاظ الحياةِ العامّة . . . ففتح باب الوضْع للمُحدثين . . . . . وعمَّم القياس فيما لمْ يُقس من قبل ،وأقَّر كثيراً من الألفاظ المولَّدة والمُعَرَّبة الحديثة ، وشدَّد في هَجْر الحوشي والغريب .

وقد شُغِل مجمع القاهرة بمعجم «فيشر» نحو عشر سنين، وكان يرجو أنْ يَتخّذ منه أساسا لما ينشره من معجم تاريخي للغة العربية . ولمَّا لمْ تُتَحْ له فرصته ، استأنف الإعداد لوضع معجم شامل يستوعب اللغة في مختلف عصورها ، واكتفى بأن يسميه (المعجم الكبير) ، تفاديا لِمَا يقتضيه المعجم التاريخي من أعمال تمهيدية لمْ تُستكمل بعد .... وقد أصدر منه الجزء الأول عام ١٩٧٠ .... وصدر الجزء الثاني عام ١٩٨١ .

وشاءَ أيضا مجمع القاهرة أنْ يُسهم في وضع معجم في ألفاظ القُرآن الكريم . وبالفعل ، وبعد تَعثُّر الفكرة عدّة سنوات ، ظهر هذا المعجم بثوبٍ قشيب في مجلديْن ، لكي يَسد فراغاً كبيراً ، ويعين الباحثين المعاصرين ، وفي الوقت ذاته يمهدُ الطريق للمعجم التاريخي المنشُود .

خامساً : تيسير تعليم اللغة العربية (في النحو والصَّرف والكتابة)

عُنيت مجامع اللغة العربية منذُ انشائها بكل ما من شأنه تسهيل تعليم اللغة العربيّة وانتشارها . وكان النحو مُستهدفاً ، سواء أكان ذلك في الدراسة العلميّة من أجل تيسير قواعده ، أمْ كان من أجل تسهيل وسائل تعليمه .

ولمْ يصادف نحو لغة من اللغات العناية التي صادفها نحو اللغة العربيّة ، ولمْ يَنَل ما نالَه من بحث ودرس . وكان طبيعيا أن يُعْنى به لأنه وسيلة لحماية اللغة من لحْن الأعاجم ، وأداة لفهم الكتاب والسُنَّة ، وخاصة من الشعوب والأمم التي دخَلت الإسلام ولمْ تكن العربية فطرتهم. لكن النحاة غلوا في فلسفة النحو ، وتفنَّنوا في العلل . . . . ووقفوا طويلا عند نظرية العامل . وقد أثارت هذه الفلسفة وتعقيد النحاة ما أثارت من نقد منذ زمن بعيد . فموقف الإمام أبي محمد بن حزم من تعقيدات النحاة معروف . . . . . ودعا من بعده ابن مضاء القُرطُبي إلى الغاء نظرية العامل في كتابه المعروف (الردُّ على النحاة) . . . . .

واقترنتْ النهضة العربية الحديثة باستنكار للعلَل النحويّة ، . . . . وأُشير إلى ضرورة تخليص النحو من فلسفته ، ودرسه في ضوء الشواهد الأدبية والعبارات الحيّة المعاصرة ، مع استنكار بعض الشواهد النحوية التي لا تخلو من صُنع وافتعال .

ولقدْ أدرك المهتمون بتعليم اللغة العربيـة مدى الحاجة الى تيسير قواعد النحو ، لكي تصبح ملائمة لحاجات العصر ومقتضياته ،

بحيث يُتاح للناشئة تعلّم اللغة في سهولة ويُسر .

ومهما يكن من أهمية درس النحو أو درس البَلاغة ، فان اللغة تُكتسب اكتسابا وتُعلم بالمران وكثرة الاستماع لها ، والتحـدث بها ، واتخاذها أداة للفهم والإفهام . . . . .

وقدْ عني مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ إنشائه ، بتيسير قواعد النحو والصّرف ، فكان يدرُس كل مسألة ، ومدى الحاجة إلى إعادَة النظر فيها ، من ناحية ، والضوابط والشرائط والأحكام ، وكان يتّخذُ منْ آراء أئمة اللغة ما يوسّع دائرة الأقيسة ، حتى تكونَ اللغةُ أداةً سهلةً ، طيّعة للتعبير عن المقاصد العلميّة وغير العلميّة .

وقدْ رأينا فيما سبق أنَّ في أعمال مجمع القاهرة ، مثلا ، كثيرا من القرارات التي تتّصل أوثَق اتصال باقيسة اللغة وأوضاعها العامة بوجه عام ، وبالأحكام النحويّة والصرفيّة بوجه خاص .

وتكوَّنت لجان لتيسير قواعد النحو والصَّرف وتسهيل تعليمها للناشئة ، وتقدمتْ باقتراحات ، وكانت حريصة في جميع الأحوال على أنْ لا تمسَّ عن قرب أو بعد أصلا من أصول اللغة . . . . ولمْ تغير فيما اتفق عليه النحاة إلا بمقدار . . . . .

ولا شك أننا جميعا نرى في الوقت الحاضر أنَّ النحو وسيلة من وسائل تقويم اللسان والفهم ، وأنه لغير المتخصصين ليس علما يقصد لذاته .

وكما شَغَل تيسير قواعد النحو المجامع اللغوية ، فقد شَغَلها أيضا موضوع تيسير الكتابة ، واقتُرِحَتْ لها حلول شتى ، تتلخص في اتجاهين أساسيين ، يرمي أولهما إلى تعديل الحروف الحالية لتدارك

ما فيها من غُموض ولَبْس ، ويحاول الثاني اختراع حروف جديدة لتحل محل الحروف القديمة . . . . . وقد عُنيت لجنة الأصول ولجنة اللهجات في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بموضوع الكتابة العربية ، وأنشأت من أجلها لجنة خاصة هي «لجنة تيسير الكتابة» . . . . وكذلك فعلتْ لجانُ الأصول في المجامع اللغوية الأخرى .

وفي سنة ١٩٥٦ م ، اشتركتْ لجنةُ تيسير الكتابة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مع لجنة أخرى كوّنتها الادارة الثقافيةبجامعة الدول العربية للغَرض نفسه من مُمَثلين للبلاد العربيّة ، وانتهتْ اللجنة المشتركة إلى القَرارات التالية :

١ ـ يُترك الآن موضوع الكتابة اليَدويّة .
٢ ـ يُقتصَر على بحث تيسير حروف الطباعة والآلات الكاتبة ، باختصار صور الحروف والاستغناء عن المُتداخل منها والمُقنطر .
٣ ـ يُلتَزَم الشكل في الطباعة ، وخاصة في كتب مراحِل التعليم العَام .
٤ ـ توضع النُقط والشكل في موضع ثابت من الحروف نفياً للاشتباه .
٥ ـ توضع علامات للدلالة على أصوات الحروف التي لا مُقابل لها في العربية .

وعرضتْ هذه القرارات على مؤتمر المجامع اللغوية الذي عُقد بدمشق في العام نفسه ، فاكتفى بقرار واحد : وهو : «التزامُ الشكل في الكتب المدرسيّة الابتدائية ، ويُخفّف منه في مرحلة التدريس الثانوي» .

وعَرَضَتْ المجامع أيضاً لمشكلة الإملاء وكتابة الأعلام الأجنبية ، ووضعتْ في ذلك قواعدَ وحلولًا .

وقدْ دُعي إلى تيسير الاملاء العربي منذ أوائل هذا القرن . . . . وعرضتْ المجامع لموضوع كتابة الأعلام الأجنبية . وقد عُني مجمع القاهرة بصورة خاصة بهذا الموضوع ، فوضع نحو ثلاث وعشرين قاعدة لتصوير الحروف الأجنبية برموز عربية ، وكتابة الأعلام بوجه عام . . . . .

ومن هنا نلاحظ أنَّ المجامع اللغوية قد تصدَّت لجميع قضايا اللغة العربية بالدراسة والتمحيص واقتراح الحلول ، ولكنها كانت وما تزال تجدُ نفسها بعيدة عن التطبيق والالتزام . فإن عشرات الالاف من المصطلحات الحديثة ما تزالُ تُراوحُ في مكانِها ، في بُطون الكتب وعلى الرُفوف ، في حين أن التطور العلميّ في تَسارُع مستمر. وهكذا فقد حِيل بين هذه الجهود العلميّة المُمتازة وبين أنْ تأخذ طريقها إلى الحياة بين جَماهير الأمة وفي أوساط العلماء .

سادساً : إحياءُ التُراث

وكان للمجامع اللغوية جهود مشكورة في مضمار تحقيق التراث ونشره . وكان لمجمع دمشق ومجمع بغداد جهودٌ متميزة في هذا المجال . ويمكن للباحث أنْ يعود إليها في فهارسها المنشورة .

خاتمة

تتميّز اللغةُ العربية بميزتين أساسيتين ، لا نعتقد أنَّ هنالك لغة تشاركها في ذلك : فالأولى كونها لغة القُرآن الكريم ، يَتعالى بها أن تكون لغة أمَّة معينة من الناس فقط . فهي لغة الإسلام ، وتخُصّ كل مسلم يؤمن بهذا الدين الحَنيف ، وهذا هو سرُّ خلودها إلى الأبد . فقد أنزلها القرآن الكريم منزلة سامية في نفوس جميع الشعوب الاسلاميّة ، وارتفع بها إلى معنى إنساني رفيع ، يتجاوز ما عهدناه ونَعهده ، في الماضي والحاضر ، حدود لغات الأمم المتغلبة على غيرها من الشعوب . فقد ساوى الإسلام بين جميع الأجناس والألوان ، عندما نادى : «الناس سواسِية كأسنان المشط» ، «ولا فضْل لعربي على أعجميّ إلا بالتقوى» ، «وكلكم من آدم ، وآدم من تراب» . . . . . ونظر إلى مختلف الشعوب نظرة التآخي والمساواة . فهي جميعها شُعوب مُتآخية في ظل الإسلام ، ولغاتها نامية مزدهرة في ظل القرآن الكريم ، الذي أنزل بلسان عربي مبين . ومن هنا فقد زال التناقض من حيث الجوهر بين اللغة العربية التي شرَّفها الله بهذا التنزيل العزيز ، وبين لغات الشعوب والأقوام التي دخلتْ الإسلام ، وحملتْ رايته لِهداية بني البشر .

وأما المِيزة الأخرى ، فإن اللغة العربيّة ـ ولا نعرف أنَّ لنا لغة عربية سوى اللغة الفصيحة ـ تصلُ الحاضر بالماضي البعيد الذي تمتدُّ جذوره في أعماق التاريخ . فإن المثقف العربي يستطيع أنْ يتصل

بأدب جميع العصور الماضية . فيتصل بالشعر الاندلسي ، والشعر العباسي ، والأدب الأموي ، والشعر الجاهلي ، ويفهمه ويتذوقه . وقد يكون بعضها أكثر سهولة وأقرب فهما من قصائد وأشعار قِيلَتْ بالأمس القريب ، في حين أنَّ المثقف الانجليزي أو المثقف الفرنسي لا يستطيع أنْ يفهم ما كُتب في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، وبعضا ممَّا تلا ذلك ، إلا إذا كتب باللغة الانجليزية الحديثة ، أو الفرنسيّة الحديثة ، للاختلاف الكبير الذي طرأ على هذه اللغات من حيثُ النحو والصَّرف والكتابة .

وإذا ما نظرنا إلى حال أمتِنا في العصر الحاضر ، نجدها مقسَّمة مجزأة، تعملُ يدُ التفرقِة جاهدةً في تقطيع أوصالِها ، ومع ذلك فإنَّ جميعَ المُؤآمراتِ الاستعماريّةِ الخَبيثةِ التي تستهدِف وحدَتها ، تَتحطَّم على وحدة مشاعرهاوانتمائِها،وإن اللغةَ العربيةَ لتُشكّلُ القاعدةَ الصلبةَ والعنصر الأساسي لهذه الوحدة . فعلى الرغم من سياسة التفرقة والقَطيعةِ ، فالمثَّقفُ العربي ببغدادَ يستطيعِ أن يفهَم بسهولة ما يُكتَب في الرباط ، وكذلك أبناءُ دمشقَ وعمانَ والقاهرةَ وصنعاءَ وتونسَ والجزائر والخرطوم . . . . . وغيرهم من الذين يفهمون العربية بين الشعوب الإسلامية وغيرها ، وهذه مِيزة أخرى أيضا . . . . ونحن إذا ما نظرنا إلى منطِق الأشياءِ ونواميسها ، نجدُ أنَّ جميع هذه الظروف تعني وجوب وجود مجمعٍ واحد لهذه اللغة الواحدة ، التي تضربُ جذورها بعيدة في أعماق التاريخ ، من ناحية ، والتي تمتدُّ في الوقت الحاضر من الأطلسي غرباً الى أواسط آسيا شرقاً ، متجاوزة جميع أسباب الفُرقة والخِلاف ، صامدة أمام أعْتى التيارات المُعادية . . . .

وقدْ أدَّت الظروف السياسية المعروفة إلى قيام مجامع لغوية متعدّدة ، لخِدمة اللغة العربية. وإذا ما رجعنا إلى قوانينها ومراسيم انشائها ، نجدها جميعا حريصة على أنْ تلتقي عند هدف واحد وغاية مشتركة . وفي سبيل هذا الهدف الأسْمَى دعتْ الجامعة العربية إلى «اتحاد المجامع اللغوية» ، وقد تأسس هذا الاتحاد في ٣٠ نيسان /ابريل/ ١٩٧٠م ، وله شخصيّة معنويّة مستقلّة ، ومقرُّه القاهرة . ويتألف الاتحاد منْ : مجمع اللغة العربية في دمشقَ ، والمجمع العلميّ العراقيّ في بغدادَ ، ومجمع اللغة العربية في القاهرة ، وانضم اليه سنة ١٩٧٧ م ، مجمع اللغة العربية الأردني .

ويهدفُ الاتحاد إلى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية والعلميّة العربيّة ، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتُراثِها اللغوي والعلمي ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارة العربية ، ونشرها .

ويُدير أعمالَ الاتحاد مجلِسٌ يسمى «مجلس اتحاد المجامع اللغوية العلميّة العربيّة» . ويتألفُ منْ عُضويْن من كل مجمع لُغويّ ، يختارهما المجمع العُضو ، لِمدة أربع سنوات قابلة للتجديد . . . . وينتخِب أعضاء مجلس الاتحاد منْ بينهم رئيساً وأميناً عاماً وأمينين مُساعِدينْ . . . ورئيس الاتحاد في الوقت الحاضر الأستاذ الجليل ابراهيم مدْكُور ، أمدَّ الله في عمره .

بدأ اتحادُ المجامع اللغويّة العربيّة أعمالَه ، وعقدَ أربع ندوات . ثم تعثرت المسيرةُ ، مع الأسف ، نتيجة هذه الزعازع الهوجاء التي تهبُّ على أمتنا ، وتستهدف الوطن والتراث واللغة .

ناقش الاتحاد في ندواته التي عقدها موضوعات لغوية مهمة . وعقد الندوة الرابعة في عمّانَ ، بضيافة مجمع اللغة العربيّة الأردني ، من ٣١/١٠ - ٣/١١/١٩٧٨ م ، وكان موضوعها «تعليم اللغة العربيّة خلالَ ربع القرن الأخير» . وكانت البحوث والمناقشات تدورُ بصورة رئيسية حول أسباب ضعفنا في اللغة العربيّة ، وتلمُّس الوسائل الفعالة لمعالجة هذا الضعف . وانتهت الندوة باتخاذ عدد من التوصيات والقرارات المهمّة ، ومن البحوث التي أُلقِيْت في هذا الموضوع :

١ : الأسباب الحقيقية والأسباب العارضة في ضعف اللغة العربيّة ، واقتراح طرق لعلاج هذا الضعف - الدكتور عمر فروخ .

٢ : اللغة العربية خلال ربع قرن في ميدان التعلُّم والتعليم : الأزمةُ وعِللها الأوائل ، واقتراحات أوليّة لمعالجتها ــ الدكتور شكري فيصل .

٣ : تعليم اللغة العربيّة في ربع القرن الأخير ــ الدكتور ابراهيم السامرائي .

٤ : عن تعليم اللغة العربيّة في ربع القرن الأخير ــ الدكتور عبد الله الطيب .

٥ : التجربةُ التونسية في نشر الفصحى وحمايتها بتونس بين ١٩٥٣ - ١٩٧٨ م . سماحةالدكتور محمد الحبيب بن الخوجة .

٦ : تعليم اللغة العربيّة في ربع القرن الأخير ــ الدكتور عبد الهادي التازي .

٧ : الأدب العربي ودراسته ـ قضايا ومقترحات ـ الدكتور محمود ابراهيم .

وان البحث في أسباب الضعف وتلمُّس طرق المعالجة من الموضوعات المهمة التي تُوليها مجامع اللغة العربية عنايتها قديماً وحديثاً .

ثم توقَّف نشاطُ الاتحاد بعد هذه الندوة ، مع الأسف ، لأسباب خارجة عن ارادة هذه المجامع ، وبفضل من الله فقد عاود الاتحاد مسيرته الخيرة ،وقرر عقد ندوة لمناقشة «مشروع الرموز العلمية» الذي وضعه مجمع اللغة العربية الأردني . وقد وزع هذا المشروع على جميع الجامعات في الوطن العربي ، كي يدرسه الخبراء . وبات من المقرر أن تعقدَ* هذه الندوة يوم الثلاثاء في ١٩٨٧/١/٢٧ بعمان وبضيافة مجمع اللغة العربي الأردني .

وإننا لنتطلّع بثقة وإيمان ، إنْ شاء الله ، إلى اليوم الذي نرى فيه هذا الاتحاد ، وقد أصبح بالفعل مجمعاً واحداً للغة العربيّة ، يَلمُّ الشَعث ، ويُقرّب بين مختلف اللهجات ، وينزل العربية منزلتها الطبيعية لكي تصبح لغة التعليم في جميع مستوياته وفي جميع فروعه ، ولغة البحث العلميّ والتأليف العلميّ ، ولغة التقنيات الحديثة . فإن القضية الكبرى التي يجب أن نضعها أمام أعيننا في مجامعنا اللغوية العتيدة ، تتركز حول جعل لغتنا العربية لغة العلم والحضارة ، لكي نستطيع أنْ نصل إلى درجة الإبداع والمشاركة في بناء الحضارة الجديدة . . . . وإنَّ فرْضَ لغة أجنبية على التدريس الجامعي ، جزئياً أو كليّاً في الوطن العربي ، يعني ، في منطق الأشياء ونواميس الطبيعة ، أنْ تبقى أمتنا تبعا للأجنبي ، بعيدة عن كل مشاركة علمية أصيلَة . . . .

* عقدت هذه الندوة فعلاً في موعدها المحدد أعلاه ، باشراف اتحاد المجامع العربية واستضافة مجمع اللغة العربية الاردني .

وخُلاصة القول : إن قضايا اللغة العربيّة مترابطة بعضها ببعض ترابطاً عُضويا ، إذ كل قضية تؤثر في القضايا الأخرى وتتأثر بها ، وإنَّ جوهر هذه القضايا يكمُن في اتخاذ قرار سياسي يعبّر عن إرادة الأمة في التحرر والتقدم والإبداع منْ خلال لغتها القومية . وإن جهود المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية ستبقى عقيمة ومتعثّرة إنْ لم تتخِذ الأمةُ قرارها السياسيّ في ذروة أجهزتها التشريعيّة والتنفيذيّة .

ونحنُ نعتقد أنَّ الوقتَ قدْ حان لكي يُصدر مؤتمر القمّة العربيّ قراراً تاريخياً سياسياً يقضي بجعل اللغة العربيّة لغة التدريس في جميع مستويات التعليم : العام منه والثانويّ ، والجامعيّ ، والعالي ، وأنْ تكون العربيةُ لغة البحث العلميّ ، ولغةَ جميع المؤسسات العامة والخاصّة في الوطن العربي ، وأنْ يصاحب هذا القرار التاريخي قرارٌ آخر يتخذه مؤتمر القمة ، يقضي بانشاء مؤسسة للترجمة والتعريب والنشر على مستوى الوطن العربيّ ، تُحْشَدُ فيها الكفاءات العلميّة ، ويكونُ هدفها تعريب العلوم والفنون والمعارف الانسانيّة منْ حيثُ هي علوم وفنون متكاملة ، وليس الاقتصار على ترجمة كتاب في هذا العلم أو مصدر في ذاك ، ويكون من مهامها أيضاً ترجمة جميع البحوث العلميّة التي تظهر في المجلاّت والدوريات العلميّة ذات الشُهرة العالميّة . . . . ونحن نعتقد أنَّ مثل هذه المؤسسة للترجمة والتعريب ، ستكون منطلقاً تاريخياً في حياة أمتنا العلميّة والحضاريّة .

المَصادر والمراجع

١ ـ ابراهيم مدْكُور ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاماً ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤م .

٢ ـ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ـ ندوة الجزائر ـ ١٩٧٦ م ، تعليم النحو العربيّ .

٣ ـ اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ـ ندوة عمان ـ ١٩٧٨م ، تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير .

٤ ـ اتحاد الجامعات العربية ، تعريب التعليم الجامعي العالي ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٥ ـ أحمد الفتيح ، تاريخ المجمع العلمي العربي ، دمشق ، ١٩٧٥هـ ـ ١٩٥٦م .

٦ ـ عبد الله الجبوري ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٨٥هـ ـ ١٩٦٥م .

١١ ـ مجمع اللغة العربية الأردني ـ التقارير السنوية حول منجزات المجمع منذ عام ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢ م .

١٢ ـ محاضر مؤتمرات مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

١٣ ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ، بيروت أيار /مايو/ ١٩٨٢ م .

١٤ ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ ادارة الثقافة ، المجلة العربية للثقافة .

مجمع اللغة العربية الأردني

تعود فكرة إنشاء مجمع اللغة العربية الأردني إلى السنوات الأولى من تأسيس إمارة شرقي الأردن. فقد نشرت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في كانون الثاني ١٩٢٤م. في الجزء الأول من المجلد الرابع على صفحتها السادسة والأربعين تحت عنوان: «مجمع علمي في شرق الأردن» ما نصه:

«جاءتنا نشرة مآلها أن سمو الأمير عبد الله أصدر أمره بتأسيس مجمع علمي في عمان، عاصمة شرق الأردن العربي، وانتخب رئيسا له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمي، وكيل الشؤون الشرعية، وأما أعضاؤه فهم العلماء رضا توفيق بك الفيلسوف التركي المشهور والشيخ مصطفى الغلاييني ورصيفنا رشيد بك بقدونس ومحمد بك الشريقي مدير جريدة (الشرق العربي) المنشأة في تلك البقعة منذ زمن قريب. وعلمنا أنه انتخب أعضاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكي باشا ورئيس مجمعنا السيد محمد كرد علي والشيخ عباس الأزهري والأب أنستانس الكرملي والسيد اسعاف النشاشيبي. وفي تلك النشرة أن المجمع سيعنى بإحياء اللغة العربية ونشر المدارس وإلقاء المحاضرات وإنشاء دار كتب وإصدار مجلة شهرية. فنرحب بهذا الرصيف الجديد.»

ولكن ، مع الأسف . لم يقدر لهذا المجمع الحياة وذلك لقلة المال والرجال ، على حدّ تعبير المرحوم الأستاذ الرئيس محمد كرد علي .

وفي سنة ١٩٦١ م أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمان اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، استجابة لأحدى توصيات مؤتمر التعريب الأول الذي عقد في الرباط في شهر نيسان من العام ذاته . وكان أول رئيس لهذه اللجنة المرحوم الأستاذ قدري طوقان وكان شرفاً لكاتب هذه السطور أن يكون عضوا فيها منذ تأسيسها . وعقدت اللجنة اجتماعها الأول في مدينة نابلس في بيت المرحوم الأستاذ قدري طوقان . ثم توالت اجتماعات اللجنة . وعلى الرغم من الظروف المادية الصعبة ، فقد قامت هذه اللجنة بأعمال كانت موضع التنويه لا سيما من الأخوة في مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

كانت فكرة إنشاء مجمع للغة العربية قد اصطدمت بالصعاب والعقبات ، ولكنها كانت تتراجع حتى تعود من جديد إلى الظهور وإلى الإلحاح .

وفي أوائل سنة ١٩٧٣ م بدأت الاستجابة الأولى لهذه الفكرة ، إذ وافق مجلس الوزراء على إرسال ثلاثة وفود من أعضاء اللجنة لزيارة مجامع دمشق والقاهرة وبغداد ، للتعارف ولدراسة أعمال هذه المجامع وأنظمتها وأساليب العمل فيها ، والاطلاع على أجهزتها العاملة ، والتعرف عن كثب على آراء أعضائها والإفادة من تجاربهم الخصبة . وكان من نصيبي زيارة مجمع بغداد بصحبة الزميل الدكتور محمود ابراهيم ، ورحب بنا الأخوة في المجمع العلمي العراقي

أجمل ترحيب ، وأفدنا من تجاربهم وآرائهم السديدة . وهنا أجد من الواجب علي أن أذكر، بالتقدير والاحترام، موقف رئيس المجمع العراقي المرحوم الأستاذ عبد الرزاق محي الدين في دعمه للمجمع الأردني ، بما كان يبديه من آراء سديدة ، منذ كان فكرة حتى زارنا وشارك في أعمال مجمعه بعمان مشاركة أصيلة ، رحمه الله رحمة واسعة .

عادت الوفود الثلاثة إلى عمان ، وقد لاقت جميعها الترحاب الكريم في المجامع الشقيقة . وجمعت آراء هذه الوفود وصيغ منها تقرير مفصل كان له الأثر الكبير في إرساء القواعد الأساسية التي قام عليها المجمع في الأردن .

وفي أواخر عام /١٩٧٣ م وافق مجلس الوزراء الأردني بصورة مبدئية على طلب وزير التربية والتعليم تأسيس المجمع . فبدأت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر بوضع مشروع نظام للمجمع . وجرت مناقشته أكثر من مرة ، قبل أن يرفع إلى مجلس الوزراء . . . . وأعيدت صياغته في ديوان التشريع ليخرج بشكل «قانون» بدلاً من النظام . فصدر قانون مجمع اللغة العربية الأردني ـ قانون مؤقت رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م (صادر في عدد الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) تاريخ ١٩٧٦/٧/١ م .

ينص هذا القانون على أن يؤسس في المملكة الأردنية الهاشمية مجمع يسمى «مجمع اللغة العربية الأردني» يتمتع بشخصية معنوية ذات استقلال مالي وإداري ، وعلى أن تتولى اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر أعمال مجلس المجمع والمكتب التنفيذي لمدة ثلاثة شهور . ويقوم وزير التربية في أثناء هذه المدة بتنسيب خمسة

أشخاص إلى مجلس الوزراء لتعيينهم أعضاء عاملين في المجمع ، ويعتبر هؤلاء الخمسة نواة لمجلس المجمع ، والمكتب التنفيذي الأول له ، على أن يقترن قرار المجلس بالإرادة الملكية السامية . ويعين أحدهم رئيساً وفقا لأحكام هذا القانون . وكان شرفاً كبيراً لكاتب هذه السطور أن يكون رئيسا لهذا المجمع . .

وبدأ المجمع يزاول أعماله بصورة رسمية منذ اليوم الأول من شهر تشرين الأول سنة ١٩٧٦ م ، بعد أن انتهى عمل اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر .

وهكذا تمت الخطوات التأسيسية الأولى للمجمع . ولكي يستطيع المجمع مباشرة أعماله ، حوّلت المخصصات المتوافرة لدى لجنة التعريب والترجمة والنشر في موازنة وزارة التربية والتعليم إلى حساب المجمع . وكان مقدارها حوالي أربعة عشر ألف دينارٍ . . . ثم جاءت موازنة سنة ١٩٧٧ م ، فقدمت الحكومة للمجمع مبلغاً وقدره واحد وستون ألف دينار ، تسلمها المجمع من وزارة المالية على أربعة أقساط خلال العام . . .

وأخذ المجمع يعمل منذ البداية على توفير مقر دائم له . فوهبته الجامعة الأردنية ، مشكورة ، قطعة أرض ، وتكلّلت جهوده بالنجاح في إنشاء مقره الدائم وقد تمّ الانتقال اليه بتاريخ ١٩٨٠/٦/١ ، وقبل أن يعدّ البناء اعداداً نهائياً . . . ونحن نعتقد أن المجمع ضرورة وطنية وقومية تقتضيها حاجة أمتنا العربية في ظروف تخلفها العلمي الراهن ، ويقتضيها الحرص على سلامة اللغة العربية ، وعلى تطويرها لتساير روح العصر لا سيما بعد أن عادت الآن لغة عالمية رسمية ، ودخلت

إلى أروقة هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها المختلفة .

وقد تحددت أهداف المجمع الأردني ووسائله لتحقيقها ، وكانت هي ذاتها التي قامت لأجلها المجامع اللغوية العربية الأخرى . فأوجزها قانون المجمع رقم (٤٠) لسنة ١٩٧٦ م في ما يلي :

المادة (٤) - يعمل المجمع على تحقيق الأهداف التالية :

أ . الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة .

ب . توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون ، ووضع المعاجم ، والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها .

جـ . إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون .

المادة (٥) - تحقيقا للغاية المقصودة من هذا القانون يقوم المجمع بما يلي :

أ - الدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية .

ب - تشجيع التأليف والترجمة والنشر ، واجراء المسابقات لذلك ، وانشاء مكتبة للمجمع .

جـ - ترجمة الروائع العالمية ونشر الكتب المترجمة إلى العربية ومنها .

د - عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها ، وإقامة المواسم والندوات الثقافية .

هـ ـ نشر المصطلحات الجديدة التي يتم توحيدها في اللغة العربية . بمختلف وسائل الاعلام ، وتعميمها على أجهزة الدولة .

و ـ إصدار مجلة دورية تعرف باسم : «مجلة مجمع اللغة العربية الأردني» .

ويتألف المجمع ، كما ينص قانونه من أعضاء عاملين وأعضاء موآزرين وأعضاء شرف . ويشترط في العضو العامل أن يكون أردنيا ، وعمره ما بين ثلاثين سنة وسبعين ، وأن تكون له كتب منشورة في أحد فروع العلم والمعرفة ، أو بحوث وترجمات معروفة . وتصدر بتعيينه ارادة ملكية سامية .

ومثله أيضا العضو المؤازر ، الا أنه يستثنى من شرط الجنسية الأردنية ، ولا تصدر ارادة ملكية سامية بتعيينه ، بل يكتفى بقرار مجلس المجمع .

وأما عضوية الشرف فتمنح بقرار من وزير التربية والتعليم ، بناء على تنسيب المكتب التنفيذي للمجمع ، لمن يقوم بخدمات جليلة للدراسات العربية ، أو للعضو العامل في المجمع عند بلوغه السبعين من العمر ، أو حين يصبح غير قادر على المشاركة في أعمال المجمع .

ويحصر قانون المجمع عدد الأعضاء العاملين بما لا يزيد على عشرين عضوا ، وأما الأعضاء المؤازرون فعددهم مفتوح ، وكذلك أعضاء الشرف .

ويبلغ الآن عدد الأعضاء العاملين في المجمع خمسة عشر عضوا ، وأصبح عدد أعضاء الشرف فيه أربعة وعشرين عضوا ، وأما الأعضاء المؤآزرون فيه فقد بلغ عددهم اثنين وخمسين عضواً ...

وقد حرص المجمع الأردني على أن يجعل من نفسه نافذة مفتوحة على النهضة الثقافية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي بعامة وفي الأردن بخاصة . وهو في ذلك كله يصدر عن فلسفة محدّدة أستطيع أن أجملها بقضيتين أساسيتين :

الأولى ايمانه بوجوب وجود مجمع واحد للغة العربية لغة القرآن الكريم ترفده جميع الأقطار العربيةبحصيلة جهود علمائها ولغوييها ، ويسعدنا في المجمع الأردني أن نكون لجنة في هذا المجمع العتيد .

وأما القضية الأخرى ، فهي الإجابة على السؤال الكبير الذي حان الوقت لكي تطرحه مجامعنا اللغوية وجامعاتنا ومؤسساتنا العلمية ، وهو : كيف يمكن أن تصبح لغتنا العربية لغة التدريس في جميع مراحل التعليم وبخاصة في التعليم العالي والجامعي ، وكيف يمكن أن تكون العربية لغة البحث العلمي والدوريات العلمية .

أما بالنسبة للقضية الأولى فقد انضم المجمع إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية سنة ١٩٧٧ م ، أي بعد إنشائه بسنة تقريبا . وقد رحبت المجامع العربية الثلاثة بقيام المجمع الأردني كل الترحيب وأصبح عضوا في اتحاد المجامع والأمل يراوده ان شاء الله ، أن يتطور هذا الاتحاد كي يصبح مجمعا واحدا . فإن الضرورة القومية والعلمية تقتضي بأن تكون هنالك لغة علمية واحدة في الوطن العربي .

وأما فيما يتعلق بالقضية الأخرى ، فقد رأى المجمع الأردني بأن يخرج من حيز الجدل والمناقشات حول صلاحية اللغة العربية وقدْرتِها على استيعاب العلوم الحديثة ، إلى حيز التطبيق العملي . فأخذ على عاتقه تنفيذ مشروع محدّد، ضمن امكانات مادية ضيقة ومحدودة جدا . فقرر أن يعرّب الكتب العلمية التي تدرس في كلية العلوم . واختار كلية العلوم ، لأنها هي الكلية الأم التي تنشأ حولها الكليات العلمية المهنية الأخرى مثل كليات الطب والهندسة والتمريض والزراعة والصيدلة . . . فكوّن لجانا من الأساتذة المتخصصين لاختيار الكتب العلمية في حقول الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلوم الحياة (البيولوجيا) وطبقات الأرض (الجيولوجيا) . فاختارت أحدث الكتب العلمية وأرقاها مستوى . . . وأخبر المجمع جميع الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالي في الوطن العربي عن عزمه على ترجمةهذه الكتب ، حتى إذا كانت هنالك جهة من الجهات تقوم بترجمة أي كتاب منها ، فيمكن أن تتحول إلى كتاب آخر وذلك من أجل التنسيق وعدم تكرار الجهد .

وإن الغاية التي يرمي إليها المجمع الأردني من وراء هذه المشاركة المتواضعة في تعريب العلوم الحديثة هي أن يبين بصورة عملية أن هذا الطريق ، على صعوبته ، ممكن إذا توافرت الإرادة الطيبة .

وبعد مضي تسع سنوات على تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني يمكن تلخيص إنجازاته بما يلي :

أولا : حرص المجمع منذ إنشائه على أن يصدر مجلته بشكل

منتظم ، وقد صدر منها ، حتى الان ، ثلاثة وثلاثون عددا وهي مجلة متخصصة تهتم بالبحوث المتعلقة بتراثنا اللغوي والأدبي والعلمي ، وتصدر مرتين في السنة .

ثانيا : معالجة أسباب ضعف العرب في اللغة العربية ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، قام المجمع بما يلي :

١ ـ عقد لقاءات مع المسؤولين في وزارة التربية والتعليم الأردنية من أجل بحث الوسائل الكفيلة بمعالجة الضعف عند الطلبة في اللغة العربية .

٢ ـ حث السلطات الرسمية على إلغاء التسميات الأجنبية للمؤسسات والشركات الأردنية والمحال التجارية ، واستبدال التسميات العربية بها .

٣ ـ التوصية بعقد دورات منتظمة للمذيعين والمنتجين في وزارة الإعلام يشارك فيها المجمع لمعالجة الضعف في لغة وسائل الإعلام .

٤ ـ عقد اتحاد المجامع اللغوية والعلمية ندوته الرابعة في مجمع اللغة العربية الأردني من ٣١/١٠ الى ١٩٧٨/١١/٣ م . وكان موضوعها «تعليم اللغة العربية خلال ربع القرن الأخير» . ومن خلال هذا الموضوع عولج موضوع «ضعف العرب في اللغة العربية» بعدد من البحوث واتخذ بشأنه عدد من التوصيات والمقررات التي خرجت بها الندوة .

٥ ـ ورأى المجمع في معالجة جميع هذه القضايا التي تخص اللغة العربية وسيادتها في وطنها ، أنه لا بد من تشريع تسنّه الدولة في أعلى أجهزتها التشريعية ، فتقدم بمشروع «قانون اللغة العربية» إلى المجلس الاستشاري سابقا وإلى المجلس النيابي في الوقت الحاضر ، وما زال يأمل أن يجد هذا التشريع المهم ، طريقه إلى الإجازة والتنفيذ .

ثالثا : إحياء التراث العربي الإسلامي ونشر فهارس المخطوطات

صدر عن المجمع في هذا المجال :

١ . كتاب رسائل أبي العلاء المعري ، في ثلاثة أجزاء ، تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

٢ . كتاب المقنع في الفلاحة لابن حجاج الأشبيلي ، تحقيق الدكتور جاسر أبو صفية ، والدكتور صلاح جرار ، واشراف الدكتور عبد العزيز الدوري . عمّان ١٩٨٢ م .

٣ . مخطوطات فضائل بيت المقدس ـ الدكتور كامل العسلي ١٩٨١ م .

٤ . فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عكا ، محمود علي عطا الله ، ١٩٨٣ م .

٥ . فهرس مخطوطات مكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي في نابلس ، ١٩٨٣ م .

٦ . فهرس مخطوطات مكتبة الحرم الابراهيمي في الخليل ، ١٩٨٣ م .

٧ . فهرس مخطوطات المكتبة الاسلامية في يافا ، ١٩٨٤ م .
٨ . فهرس مخطوطات كلية الدعوة واصول الدين في القدس
٩ . كتاب تسير العربية بين القديم والحديث للدكتور عبد الكريم خليفة .

رابعا : **تعريب المصطلحات الأجنبية**

صدر عن المجمع في هذا المجال المنشورات التالية :

١ . تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها .
٢ . مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف .
٣ . مصطلحات الأرصاد الجوية .
٤ . مصطلحات الزراعة .
٥ . مصطلحات سلاح الجّو .
٦ . مصطلحات سلاح المشاة .
٧ . مصطلحات سلاح الصيانة .
٨ . مصطلحات سلاح التموين والنقل .

خامسا : تعريب التعليم العلمي الجامعي

صدر عن المجمع في هذا المجال الكتب العلمية المترجمة التالية :

١ ـ التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ، تأليف سووكوفسكي ترجمة عدد من الأساتذة الجزء الأول .
٢ ـ التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ـ الجزء الثاني .
٣ ـ الفيزياء الكلاسيكية والحديثة ـ تأليف كينث فورد ، ترجمة همام

غصيب ، وعيسى شاهين . الجزء الأول .

٤ ـ الكيمياء العامة ، تأليف فريدريك لونغو . ترجمة عدد من الأساتذة .

٥ ـ البيولوجيا ، تأليف غولد سبي ، ترجمة عدد من الأساتذة . الجزء الأول .

٦ ـ البيولوجيا ، الجزء الثاني ، ترجمة عدد من الأساتذة .

٧ ـ الجيولوجيا ، تأليف فوستر ، ترجمة عدد من الأساتذة .

٨ ـ الجبر المجرّد ، تأليف ديفدسون وجوليف ، ترجمة ديب حسين .

٩ ـ مقدّمة للتكوين الجنيني ، تأليف ستيفن أوبنهايمر ، ترجمة رمسيس لطفي .

١٠ ـ مقدّمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة ، تأليف مايرآرندت ، ترجمة عمر الشيخ .

١١ ـ الكيمياء غير العضوية ـ الأول ـ تأليف ج أي هيوهي ، ترجمة حمد الله الهودلي ، ومنار الفياض .

١٢ ـ الكيمياء غير العضوية ـ الثاني ـ تأليف ج أي هيوهي ، ترجمة حمد الله الهودلي ، ومنار الفياض ،

١٣ ـ الكيمياء التحليلية ـ تأليف بيترزيك وفرانك ـ ترجمة : عبد المطلب جابر وسليمان سعسع .

١٤ ـ المعادلات التفاضلية ـ تأليف ديريك وغراسمان ، ترجمة أحمد سعيدان .

١٥ ـ مبادىء التحليل الرياضي ـ تأليف أي جي ماووكس ،

ترجمة وليد ديب .

١٦ - مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية العربية .

سادسا : الندوات والمحاضرات .

شارك المجمع في عدد مهم من المؤتمرات والندوات داخل المملكة الأردنية الهاشمية وخارجها .

سابعا : **المواسم الثقافية**

يقيم المجمع موسما ثقافيا سنويا منذ استقراره في مبناه الدائم ، يدعو إليه أساتذة أجلاء من خارج الأردن وداخله ، يحاضرون في موضوعات علمية وأدبيةولغوية ، والمجمع يحرص على أن ينشر المحاضرات والندوات التي يقيمها في كل موسم في كتاب خاص من أجل تعميم فائدتها . وقد صدر في هذا المجال كتاب الموسم الثقافي الأول لعام١٩٨٣ ، وصدر كتاب الموسم الثقافي الثاني لمجمع اللغة العربية الأردني لعام ١٩٨٤م . وصدر كتاب الموسم الثقافي الرابع لعام ١٩٨٦ ، وصدر كتاب الموسم الثقافي الخامس لعام ١٩٨٧ .

وكانت أغلب موضوعات الموسم الثقافي الأول تتعلق بالتراث العربي الإسلامي ومنها :

١ - تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي . ندوة شارك فيها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع والأستاذ الدكتور اسحق الفرحان ، والأستاذ الدكتور همام غصيب .

٢ ـ مساهمة المغرب في بناء الحضارة الإسلامية للأستاذ عبد الله كنون .

٣ ـ تصنيف العلوم عند العرب للأستاذ الدكتور احسان عباس .

٤ ـ تجربتي مع التراث العربي ، للأستاذ عبد السلام هارون .

٥ ـ اللغة العربية في مواكبة النهضة الحديثة ـ ندوة شارك فيها الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد والأستاذ الدكتور محمود ابراهيم ، والأستاذ عبد الرحمن بشناق .

٦ ـ مجتمعنا والحضارة المعاصرة ، لسماحة الأستاذ الشيخ المرحوم ابراهيم القطان .

٧ ـ المعاجم العربية القديمة ، للأستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي .

٨ ـ حول المعجم العربي الحديث ، للأستاذ أحمد شفيق الخطيب .

٩ ـ المعجم العربي والتعريب ، للأستاذ حسن الكرمي .

أما الموسم الثقافي الثاني فقد تضمن الموضوعات التالية :

١ ـ تجارب في التعريب ، للدكتور محمود الجليلي .

٢ ـ محاولات تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ، للدكتور شوقي ضيف .

٣ ـ تعريب العلوم الطبية ، للدكتور محمد هيثم الخياط .

٤ ـ تكنولوجيا اللغة والتراث العربي اللغوي الأصيل ، للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح .

٥ ـ ندوة دور المجامع اللغوية في الحياة العلمية العربية المعاصرة ، شارك فيها الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع ، والأستاذ الدكتور اسحق الفرحان والاستاذ الدكتور محمد أحمد سليمان .

أما الموسم الثقافي الثالث فقد تضمن الموضوعات التالية :

١ ـ علم الفلك عند العرب للدكتور عبد الرحيم بدر .
٢ ـ العمارة الإسلامية وتخطيط المدن للدكتور المهندس رزق شعبان .
٣ . الرياضيات عند العرب للدكتور أحمد سعيدان .
٤ ـ بين العبادي والرازي في تاريخ تراث العلوم الطبية ومصطلحاتها ، للدكتور سامي خلف حمارنة .
٥ ـ دور التراث العلمي في نهضتنا الحديثة . ندوة شارك فيها الدكتور عبد الكيم خليفة، رئيس المجمع ، والدكتور عبد المجيد نصير ، والدكتور عادل جرار .

أما الموسم الثقافي الرابع فقد تضمن الموضوعات التالية :

١ ـ دور الحاسوب في تعريب العلوم للاستاذ الدكتور محمود مختار .
٢ ـ التركيب والانشاب في علم الفلاحة عند العرب للاستاذ الدكتور محمد زهير البابا .
٣ ـ تعريب تعليم الزراعة في الوطن العربي بين الواقع والتطلّع ندوة أدارها رئيس المجمع وشارك فيها الدكتور عبد اللطيف

عربيات والدكتور محمد علي حميض والدكتور سليمان عربيات والدكتور عبدالله جرادات .

٤ ـــدور عضـو هيئة التدريس في تعريب التعليم العلمي الجامعي للدكتور إحسان عباس .

٥ ـــتعريب العلوم الانسانية في الجامعات العربية ، ندوة ادارها رئيس المجمع وشارك فيها الدكتور محمود ابراهيم والدكتور محمد صقر والدكتور ابراهيم زيد الكيلاني والدكتور عمر الشيخ .

أما الموسم الثقافي الخامس فقد تضمن الموضوعات التالية :

١ ـــالتقنيات الحديثة واللغة العربية ، للدكتور محمد ظافر الصّواف .

٢ ـــاللغة العربية في مواجهة اللغات الأجنبية للاستاذ أنور الجندي .

٣ ـــالمشافي والتمريض في التراث الطبي الاسلامي . للدكتور أكرم منيب الدجاني .

٤ ـــكتابة التاريخ عند العرب الفكرة والمنهج للدكتور عبد العزيز الدوري .

٥ ـــندوة «دور وسائل الاعلام في إشاعة اللغة العربية الفصيحة» شارك فيها الدكتور محمود ابراهيم والاستاذ محمود الشريف والاستاذ أحمد العناني .

ثامناً : مكتبة المجمع :

لدى المجمع مكتبة متخصصة تضم أمهات المصادر والمراجع في التراث العربي الإسلامي وتبلغ محتوياتها من الكتب نحو عشرة الاف وخمسمئة كتاب ، أما فيما يتعلق بالمخطوطات فلدى مكتبة المجمع غرفة حصينة أنشئت خصيصاً ، وألحقت بالمكتبة من أجل حفظ المخطوطات النادرة والمهمة ، وهي الآن في طور الأعداد ، وسينتهي العمل فيها قريباً ، ثم يقوم المجمع بجمع ما يراه ضرورياً ومناسبا لتحقيق أهدافه من المخطوطات الأصلية والمصورة ، وقد تشكلت لجنة من أعضاء المجمع تدعى (لجنة المخطوطات) لهذا الغرض .

وفي هذه النظرة الشاملة لمجمعنا الفتي وانجازاته المتواضعة ، من خلال امكانات مادية محدودة وضيقة ، وقد لا تتعدى كثيراً المبلغ الذي أشرنا اليه في موازنة السنة الأولى ، أود أن أشير الى موضوعين مهمين : أما الأول فهو : « مشروع مجمع اللغة العربية الأردني للرموز العلمية » . وقد كان هذا المشروع ثمرة جهد متواصل لجماعة من زملائنا الخبراء المتخصصين بالرياضيات والفيزياء والكيمياء ، برئاسة الزميل الجليل الأستاذ : الدكتور أحمد سعيدان عميد كلية العلوم سابقاً . واستغرق من الوقت حوالي ثلاث سنوات . وهو على حد ما نعلم أول مشروع متكامل للرموز العلمية باللغة العربيّة . وقد قرر مجلس اتحاد المجامع اللغوية عقد ندوة خاصة لمناقشة هذا المشروع في مجمع اللغة العربية الأردني في نيسان سنة ١٩٨٦ . وقد صدر بالفعل هذا المشروع بكتاب من منشورات المجمع ، ووزع على جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي لموافاتنا بملاحظاتهم فضلاً عن أن اتحاد المجامع قد كلّف عددا من الأساتذة الخبراء دراسة هذا المشروع توطئة لمناقشته في الندوة المخصصة لهذا المشروع .

وأما الموضوع الآخر ، فقد تمخض عنه مؤتمر التعريب الخامس الذي كان لمجمع اللغة العربية الأردني شرف استضافته . وابتدأ هذا المؤتمر الكبير من يوم السبت في ١٩٨٥/٩/٢١ حتى مساء الاربعاء في ١٩٨٥/٩/٢٥ في عمل متواصل . وأضفى الشرعية على معجمات مهمة تشملُ نحو خمسين ألف مصطلح ، بعد أن أعدت خلال الأعوام الأربعة السابقة ، وألقيت فيه أبحاث مهمة تدور جميعها حول تعريب العلوم . وصدرت عدة توصيات ، من أهمها :

١ ـ إن اللغة العربية مقوم رئيس من مقومات وجود الأمة العربية ، وكلّ ضعف أو اضعاف يصيب اللغة هو خطر يتهدد الكيان العربي ووجوده .

٢ ـ إن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغتها ، ولذلك فإن لحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة ، ومواكبته لها ، ومشاركته فيها ، يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع مراحل التعليم وإعداد المصطلحات العلمية الموحدة المناسبة لذلك .

٣ ـ إن تأصيل اللغة لا يقتصر على الأخذ بها في مرحلة تعليمية دون مرحلة ، وإنما يجب أن يساير مراحل التعليم كلها ، منذ بدايته وحتى المراحل العليا من البحث العلمي ، بحيث يتيسر لأبناء هذه الأمة أن يعايشوها معايشة كاملة ، تساعد على تطويعها وتطويرها .

٤ ـ إن اللغة العربية قد دللت في مختلف مراحل تاريخها المديد وبحكم خصائصها أنها لغة حضارة ذات أبعاد إنسانية وعالمية ، وهي بهذا قادرة كليا على أن تكون لغة العلم الحديث تدريساً وتأليفاً وبحثاً وتوليداً للمصطلح .

٥ ـ إن ما يهدف إليه التعريب هو بالدرجة الأولى توحيد المصطلح العلمي وتطبيق هذا المصطلح ، واستعماله ، وتداوله في كلّ مجالات حياتنا أداءً وإبلاغا .

٦ ـ ويعرب المؤتمرون عن ارتياحهم للتقدم الفعلي الذي حققه التعريب حتى الآن في الوطـن العربي ، وهم إذ يقدرون ما

أسهم به العلماء والاختصاصيون العرب وما قدموا من جهود كبيرة في تعريب فروع كثيرة من فروع المعرفة والعلم ، فإنهم يؤكدون مرة أخرى على أن جهودهم لا تؤتى ثمراتها كاملة إذا لم تتخّذ الأمة العربية قرارها ، ومن أعلى مستويات المسؤولية ، بإلزام تداول ، واستعمال هذه المصطلحات على صعيد الوطن العربي كله ، وفي الوقت نفسه بإلزام مؤسسات التعليم العربية كلها بأن يكون التعليم فيها تأليفا وتدريسا وبحثا باللغة العربية .

ونحن في مجمع اللغة العربية الأردني نتطلع إلى التعاون الوثيق مع أشقائنا وزملائنا في الوطن العربي من أجل توطيد دعائم العربية لغة القرآن الكريم ، لغة العروبة والاسلام ، وإعلاء شأنها كي تستعيد سيادتها في أوطانها ، وقد أقصيت عن مواقعها الطبيعية في أكثر الجامعات العربية ، وفي الكليات العلمية والمهنية كالطب والهندسة والصيدلة . . . . وغيرها على الخصوص ، لأسباب لا علاقة لها ـ والحق يقال ـ باللغة العربية من حيث هي لغة ، ولكنها مرتبطة بسياسات القهر والهيمنة التي تمارسها الدول الأجنبية على أمتنا العربية في تاريخها المعاصر .

الفصل الثاني

تعريب التعليم الجامعي والبحث العلمي

١ . تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير في الأردن

٢ . تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي

٣ . تأهيل أعضاء هيئة التدريس الجامعي للتدريس بالعربية

تعريب التعليم العالي والجامعي في ربع القرن الأخير بالأردن

تمثل لغتنا العربية جوهر وحدة أمتنا في تاريخها عبر القرون وفي امتدادها الجغرافي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي ، وتتعدى هذه الحدود الجغرافية إلى حدود أوسع وأرحب في أقطار دار الإسلام . ونحن أمة العرب ، ليست لنا لغة سوى اللغة الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، فهو الذي حفظ هذه اللغة وأصبحت لغة خالدة بخلود هذا الكتاب العزيز ، ولولاه لأصاب اللغة العربية ما أصاب لغات الأمم الأخرى من فناء أو تحوّل إلى لغات أخرى . ولولاه أيضا لما كانت هنالك أمة تسمى أمة العرب في حضارتها وقيمها وتاريخها . وان واقع التمزق والتشتت السياسي والاجتماعي والفكري الذي تعيشه أمتنا في حاضرها الرديء لشاهد على ذلك . . . فاللغة العربية في الوقت الحاضر ، من حيث كونها وسيلة للتعبير ومن حيث ما تحمله في ذاتها من قيم إنسانية ومفاهيم إسلامية سامية ومناهج أصيلة

للتفكير ، إنما هي لغة أمة واحدة قد مزقها الاستعمار وبعثرتها الأطماع الشخصية والقبلية والاقليمية والطائفية الى دول كثيرة ، متنازعة متباغضة يكيد بعضها لبعض ، والأجنبي يغتصب البلاد ، ويشتت الأهل والأشقاء ، ويستبيح الحرمات ويدنس المسجد الأقصى ويحرقه ، ويهدده بالخراب ولا من مغيث ولا من مستجيب . . ! !

فلا عجب إذا رأينا ! والحالة هذه ، اللغة العربية الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ولغة الإسلام عبر العصور تتعرض إلى ما تتعرض اليه أمة العرب ، في دولها المتعددة ، من إذلال وامتهان وانتقاص لسيادتها في وطنها . وإلا كيف يمكن أن تفهم حال العربية في هذا الحاضر المظلم ، وكيف تُقصى عن أن تكون لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتقنيات الحديثة في الوقت الذي نرى فيه لغات ، ليس لها تاريخ لغتنا العربية ، تصبح لغة العلم والحضارة والبحث العلمي مثل اللغات اليوغسلافية والبلغارية والفنلندية والفارسية دون أن نسمي لغات أخرى .

وإنني سأنطلق في الحديث عن التعريب في الأردن من هذا المنطق التاريخي والواقعي من حيث إننا أمام لغة واحدة لأمة مزقتها السياسات إلى دول متعددة .

وغني عن البيان أن الأردن بتسميته الحديثة ، كان عبر القرون من تاريخنا الإسلامي يشكل جزءاً من ولاية الشام . وعند انهيار الحكم العثماني سنة ١٩١٨ م ، كانت اللغة التركية ، لغة جميع دوائر الدولة ومؤسساتها المختلفة . وفي أثر ذلك أعلن استقلال سوريا والمناداة بالملك فيصل الأول ملكا عليها . وكانت الأردن جزءاً من

هذه الدولة العربية . وعلى الرغم من أن هذه الدولة العربية لم تدم أكثر من عشرين شهرا ، إذ سقطت في تموز سنة ١٩٢٠ إثر معركة ميسلون الشهيرة ، فقد استطاعت أن تعرِّب جميع دوائر الدولة وجميع مؤسساتها الاجتماعية والعلمية والثقافية . فأصبحت العربية لغة التعليم في جميع مراحله . . بل أصبحت اللغة العربية لغة التدريس في كلية الطب التي تأسست سنة ١٩١٩م بدمشق ، ولغة معهد الحقوق الذي تأسس في ذلك الوقت في دمشق أيضا . وان التاريخ ليسجل هذا الإنجاز العظيم الذي سرعان ما امتدت جذوره عميقة . فقد عجز الاستعمار الفرنسي مدة خمس وعشرين سنة عن أن ينال من منجزات التعريب هذه في الشام ، حصن العروبة والاسلام . وبقي معهد الطب العربي ومعهد الحقوق يدرسان باللغة العربية حتى زال الاستعمار ودخلت البلاد عهد الاستقلال والحرية ، وتكاملت الدراسات الجامعية والإنسانية باللغة العربية ، منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا . . .

أما الأردن فقد وقع بعد معركة ميسلون سنة ١٩٢٠ تحت الانتداب البريطاني ، وما لبث أن نودي بالمغفور له **الأمير عبد الله** بن الحسين أميرا على الأراضي الواقعة شرقي نهر الأردن . . . وكانت سياسة التعريب ، التي أرست أساسها الدولة العربية في بلاد الشام خلال تلك الفترة القصيرة ، قد امتدت جذورها عميقة وأصيلة ، ووجدت واحة خصبة في هذه الإمارة الناشئة ورعاية خاصة من أميرها المغفور له عبد الله بن الحسين . فقد كان رحمه الله شاعراً وأديباً ولغوياً بارعاً وأصبح الأردن موئلاً لكثير من رجالات العرب وشعرائها

ومفكريها وسياسييها في تلك الفترة العصيبة من حياة أمتنا .

وفي كانون الثاني سنة ١٩٢٤ نشرت مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في الجزء الأول من المجلد الرابع على صفحتها رقم (٤٦) تحت عنوان : «مجمع علمي في شرق الأردن» ما نصه : «جاءتنا نشرة مآلها أن سمو الأمير عبد الله أصدر أمره بتأسيس مجمع علمي في عمان ، عاصمة شرقي الأردن العربي ، وانتخب رئيسا له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمي وكيل الشؤون الشرعية . وأما أعضاؤه فهم العلماء رضا توفيق بك الفيلسوف التركي المشهور والشيخ مصطفى الغلاييني ورصيفنا رشيد بك بقدونس ومحمد بك الشريقي مدير جريدة (الشرق العربي) المنشأة في تلك البقعة منذ زمن قريب .

وعلمنا أنه انتخب أعضاء شرف له العلماء الرصفاء أحمد زكي باشا ورئيس مجمعنا العلمي السيد محمد كرد علي والشيخ عباس الأزهري والأب أنستاس الكرملي والسيد إسعاف النشاشيبي . وفي تلك النشرة أن المجمع سيعنى بإحياء اللغة العربية ونشر المدارس وإلقاء المحاضرات وإنشاء دار كتب وإصدار مجلة شهرية . فنرحب بهذا الرصيف الجديد» .

ولكن شاءت الظروف الصعبة أن لا يستمر هذا المجمع ، لقلة المال والرجال ، على حد تعبير الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي بدمشق .

وكان التعريب سياسة واقعية ومقررة منذ نشأة الدولة الأردنية . فاللغة العربية لغة الدولة الرسمية ، ولغة التعليم في مراحله التي كانت

تقتصر على المراحل الأولية والابتدائية والثانوية . . . وهي لغة جميع دواوين الدولة ومؤسساتها ، ولغة تدريس جميع المواد العلمية والأدبية . . . والكتب المدرسية في معظمها إما مصرية وإما سورية . . . والمعلمون وكثير من الموظفين من رجالات الشام الأحرار الذين طاردتهم السلطات الفرنسية . . . . واناشيد المدارس عربية تنطلق بها حناجر التلاميذ في المدن والقرى صباح كل يوم منادية بالوحدة العربية من بغداد إلى تطوان !!! . . . . ولم يستطع الانتداب البريطاني أيضا أن يغير في واقع التعريب شيئا . . . فكان التعريب ممارسة وواقعاً وسياسة وطنية مكتسبة ، وإن وجود المستشارين الانكليز والخبراء في بعض دوائر الدولة ولا سيما في الجيش العربي الأردني ، قد أشاع استعمال كثير من المصطلحات بلفظها الأعجمي ، ولكنّه لم يستطع أن يؤثر في موضوع التعريب من حيث المبدأ . . . فاللغة العربية هي لغة الدولة كما ينص عليها الدستور الأردني .

وبعد أحداث سنة ١٩٤٨ في فلسطين طرأت على الأردن تطورات وتغيرات مهمة من حيث ازدياد عدد السكان وتوحيد ضفتي الأردن ، وما تبع ذلك من تطورات في المؤسسات التربوية والثقافية والاجتماعية ودواوين الدولة . . . فانتشر التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي بخطوات متسارعة . . . وأنشئت أيضا المدارس المهنية من تجارية وزراعية وصناعية ، وكذلك تأسست دور للمعلمين والمعلمات باعتبارها معاهد عالية . . . وبطبيعة الحال ، بل ومن قبيل تحصيل الحاصل ، فقد كانت اللغة العربية لغة التدريس في جميع هذه المدارس والمعاهد ، وفي جميع المواد . . هذا إذا استثنينا عددا قليلا

من المدارس الأجنبية التي بدأت تعمل في الأردن بعد سنة ١٩٤٨ ، وبعضها كان موجودا في القدس وفي الضفة الغربية زمن الاحتلال البريطاني ، اذ استمر تدريس المواد العلمية فيها باللغة الإنجليزية . .

ويمكن القول : إن الترجمة والتعريب في الأردن يصدران عن واقع سياسي وثقافي واجتماعي ، وضمن إمكانات دولة صغيرة ، وموارد مادية شحيحة . فالترجمة إلى اللغة العربية تخضع لمبادرات شخصية والعناية باللغة العربية الفصيحة وسلامتها تخضع أيضا للنزعات الفردية من حيث الكفاءة العلمية والتوجه الوطني والقومي والإسلامي ، دون أن تكون هنالك سياسة مرسومة مقننة أو مؤسسات خاصة ترعى اللغة العربية وتنظم مسيرة التعريب وتحد من الفوضى التي عبثت وما زالت تعبث في هوية هذا البلد العربي الأصيل ومظاهر العمران في شوارعه وأسواقه ومحلاته التجارية والصناعية ومؤسساته الخاصة والعامة . . .

ويتميز ربع القرن الأخير في مجال التعريب والثقافة في الأردن بظهور مؤسسات علمية مهمة إلى جانب التوسع الكبير في مجال التعليم الإلزامي والثانوي . ومن أهم هذه المؤسسات :

١ . اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب والنشر
٢ . الجامعة الأردنية
٣ . الجمعية العلمية الملكية
٤ . جامعة اليرموك
٥ . مجمع اللغة العربية الأردني
٦ . كليات المجتمع ـ معاهد عالية

٧ . جامعة مؤتة

٨ . جامعة العلوم والتكنولوجيا .

وربما كان أقرب إلى التحديد أن نستعرض الجهود التي بذلت وما زالت تبذل في مجال التعريب من خلال هذه المؤسسات العلمية والثقافية واللغوية ، ولا سيما وأن قضية لغة التدريس الجامعي قد طرحت بصورة واقعية وتشريعية لأول مرة في تاريخ الأردن الحديث بعد نشوء الجامعات الأردنية ، بكلياتها وأقسامها المختلفة .

تأسست اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في وزارة التربية والتعليم الأردنية استجابة لإحدى توصيات مؤتمر التعريب الأول الذي عقدته الإدارة الثقافية ـ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اليوم ـ في مدينة الرباط في شهر نيسان سنة ١٩٦١ م . واستمرت هذه اللجنة في عملها حتى نهاية أيلول سنة ١٩٧٦ م ، حينما بدأ مجمع اللغة العربية الأردني يمارس مهامه ويطور مجال عمله في خدمة لغتنا العربية .

وعلى الرغم من الظروف الصعبة والإمكانات المادية المحدودة ، قامت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، بنشاط مرموق في مساعدةالمكتب الدائم لتنسيق التعريب في الرباط في حقل المصطلحات العلمية ، ولا سيما في مجال المصطلحات في التعليم الزراعي والتجاري والصناعي . وكانت لها مشاركة متواضعة في مجال الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية . فكان من منشوراتها ما يلي :

١ . آثار الأردن ـ تأليف لانكستر هاردنج ، وترجمة سليمان موسى ، صدر سنة ١٩٦٤ .
٢ . طاغور ـ تأليف كريشنا كريجلاني ، وترجمة حسني فريز (بتصرف) صدر سنة ١٩٦٤م .
٣ . من القصص العالمي ـ ترجمة عيسى الناعوري ، صدر سنة ١٩٦٨م .
٤ . ابن سينا ـ تأليف بارون كاراديفو ، وترجمة عادل زعيتر ، صدر سنة ١٩٧٠ م .
٥ . الاهدار التربوي ، تأليف برايمر ويادلي ، وترجمة صادق عودة ـ صدر سنة ١٩٧٤ م .
٦ . التربية عام ٢٠٠٠ م ، تقرير وضعه ت . هيوسن السويدي للمجلس الوطني للتربية في السويد ، ترجمة السيدة احسان ابو غربيّة ، صدر عام سنة ١٩٧٤ م .

وربما كان من الصعب أن نميز بين حركتي الترجمة والتعريب ، في مسيرتهما التاريخية ، فهما متداخلتان من حيث الآثار والنتائج ، ولكنهما مختلفتان من حيث الأهداف والوسائل . ولذا فنحن نلاحظ من مسيرة اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر أن قضية التعريب ، كان ينظر إليها من خلال الترجمة ، ولا سيما من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية وأن دور اللجنة ، كما كان يراه أعضاؤها اذ ذاك ، قد لا يخرج عن «مساعدة مكتب تنسيق التعريب في الرباط» في مجال المصطلحات . . . فكانت تحاول ، من خلال إمكاناتها المادية المحدودة ، أن تولي حركة الترجمة عناية خاصة ، إذ كانت الترجمة

حركة فردية ، خلال الأربعين سنة التي سبقت إنشاء هذه اللجنة . . . . واستمرت أيضا المبادرات الفردية ، وازدادت نشاطاً وازدهاراً بعد نشوء الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى .

لم تكن قضية تعريب التعليم العالي والجامعي ، من القضايا الملحة التي تطرحها اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر ، إذ كان التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي معربا منذ نشأته في الدولة الأردنية، وكذلك دور المعلمين والمعلمات والمدارس المهنية التجارية والصناعية والزراعية التي كان يطلق عليها اسم المعاهد العالية ، حيث كان يتجاوز مستوى التعليم فيها مستوى التعليم الثانوي بسنة واحدة أو بسنتين .

وحتى بعد انشاء الجامعة الأردنية بعمان سنة ١٩٦٢م ، لم تكن قضية تعريب التعليم الجامعي من القضايا التي تطرح على بساط البحث . فقد نص قانون الجامعة الأردنية على أن لغة التدريس هي اللغة العربية ، ولكن مع الأسف ، أدخل فيه بصورة وبأخرى الاستثناء المعهود «ولكن يجوز استعمال لغة أخرى في حالات . . .» ولم يكن لهذا الاستثناء أو التحفظ أي أثر في ذلك الوقت . . . . إذ تأسست الجامعة الأردنية بكلية الآداب فقط ، واشتملت على أقسام : اللغة العربية واللغة الأنجليزية والتاريخ والآثار والجغرافية وعلم النفس وعلم الاجتماع والتربية . . .

وإذا استثنينا قسم اللغة الانجليزية ، فقد كانت اللغة العربية لغة التدريس في جميع هذه الأقسام وبدون استثناء . وبعد عدة سنوات بدأت الجامعة الأردنية تستكمل كلياتها ، فتأسست كلية الاقتصاد

والتجارة . وكانت اللغة العربية لغة التدريس في جميع أقسامها في المحاسبة والاقتصاد والعلوم السياسية والادارة العامة . . . . الخ ثم جاء تأسيس كلية العلوم بأقسامها الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا . . . فطرحت قضية تدريس العلوم باللغة الإنجليزية ، والاتكاء على الاستثناء الذي أشرنا إليه سابقا في قانون الجامعة الأردنية متذرعين بشتى الذرائع ، منها ما يخص أعضاء هيئة التدريس ومنها ما يخص المراجع والمصادر إلى غير ذلك . . . وبعد سنة ١٩٧١ ، بدأت الجامعة الأردنية تستكمل جميع الكليات ، في الطب والهندسة والزراعة والصيدلة والتمريض وطب الأسنان . . . . الخ وأصبحت اللغة الإنجليزية لغة التدريس ، في جميع هذه الكليات العلمية . ومنها كلية الزراعة أيضاً !!!

وفي أواسط السبعينيات تأسست جامعة اليرموك في مدينة إربد ، وعلى الرغم من أنها جامعة وطنية رسمية ، شأنها في ذلك شأن الجامعة الأردنية ، إلا أننا نجدها مع الأسف ترتّد إلى الخلف في مجال تعريب التعليم الجامعي . فعلى الرغم من أن قانونها ينص على أن اللغة العربية لغة التدريس ولكن يجوز استعمال لغة أخرى . . . . كما هو الحال في قانون الجامعة الأردنية ، أقول نجدها ترتد ، وإذا بها تدّرس مع الأسف باللغة الانجليزية جميع المواد ، ما عدا اللغة العربية(بطبيعة الحال) !!! وهذا يعني أنها تدرس باللغة الإنجليزية جميع العلوم الإنسانية التي كانت تدرسها الجامعة الأردنية بعمان منذ تأسيسها باللغة العربية مثل علم النفس ، وعلم الاجتماع والتربية وعلم الجغرافية ، والعلوم السياسية والإدارية والمحاسبة والاقتصاد . الخ

وهكذا بدأ موضوع تعريب التعليم الجامعي يتخذ أهمية خاصة في الأردن في الأوساط العلمية والثقافية واللغوية ، بل وأصبح ينظر إلى هذا الموضوع الخطير من زواياه المتعددة السياسية والقومية والعلمية . . . الخ .

وفي ١/١٠/١٩٧٦ بدأ المجمع عمله ، بعد أن صدرت الإرادة الملكية بالموافقة على قانون مجمع اللغة العربية الأردني . وحدّدت المادة الرابعة من هذا القانون أهداف المجمع على النحو التالي :

المادة (٤) يعمل المجمع على تحقيق الأهداف التالية .

أ . الحفاظ على سلامة اللغة العربية وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة . .

ب . توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون ، ووضع المعاجم والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها .

جـ- إحياء التراث العربي والاسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون .

وكان أول ما صرف المجمع إليه جهده هو القيام بحملة واسعة لأجل تعريب التعليم العلمي الجامعي في الجامعات العربية ، والعمل على توطيد دعائم اللغة العربية في وطنها وجعلها لغة البحث العلمي والتعليم الجامعي في جميع مجالاته ومراحله . . . وقد رأى أن يتجاوز مرحلة المناداة بالمبادىء ، والحوار والمناقشة حول أهلية اللغة العربية

وقدرتها على استيعاب العلوم الحديثة وتقنياتها ، إلى مرحلة التطبيق العملي . فقرّر أن يتبنى على الرغم من امكاناته المادية المحدودة ـ ترجمة جميع الكتب العلمية التي تدرس في كلية العلوم بالجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . واختار كلية العلوم بالذات ، لأنها الكلية الأساس التي تقوم حولها جميع كليات العلوم التطبيقية ، مثل الطب والصيدلة والهندسة والزراعة . . . . الخ .

وقد وجد هذا المشروع ترحاباً من أكثر علمائنا في هاتين الجامعتين ، وغني عن البيان أن أقول ، إن كثرتهم الكاثرة من الأردنيين الذين تخصصوا في أشهر الجامعات الأجنبية . . .

بدأ المجمع تنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ، وتشتمل هذه المرحلة على ترجمة الكتب العلمية للسنة الأولى في حقول : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا . وبعد أن تم اختيار الكتب العلمية ، على أساس أحدث الكتب العلمية وأعلاها مستوى ، قام المجمع بتعميم هذه القائمة على جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، يشرح لها مشروعه ويعلمها عن عزمه ترجمةهذه الكتب إلى اللغة العربية ، وأنه إذا كانت هنالك أية جهة تقوم بترجمة بعض هذه الكتب ، فسيقوم المجمع باختيار كتب أخرى وذلك سعياً وراء تنسيق العمل وعدم تكرار الجهد .

وبعد أن تلقى المجمع إجابات مشجعة ، قام باختيار لجان علمية متخصصة ، وحرص على أن يكون معظمها من أعضاء هيئة التدريس الذين يتولون تدريس هذه المواد في الجامعتين الأردنية واليرموك .

وشارك معهم أعضاء متخصصون من مجمع اللغة العربية الأردني . ووضع المجمع بين أيدي اللجان ، التي كلفها بالترجمة ، جميع ما أنتجته مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد ، من مصطلحات علمية ، وكذلك جميع ما أنجزته مؤتمرات التعريب والمؤسسات العلمية في الوطن العربي في هذا المجال ، وأباح لهم الاجتهاد على أن ينتهي كل كتاب بقائمة بالمصطلحات العلمية التي استخدمت في ذلك الكتاب ومقابلاتها باللغة العربية، وان ترتب ترتيباً هجائياً وذلك لكي تطرح في مؤتمرات التعريب وأمام المجامع اللغوية العربية ، بغية توحيدها . فإن حرصنا على تعريب جميع العلوم لا يوازيه سوى حرصنا على توحيدجميع هذه المصطلحات ، كي تكون لنا لغة علمية عربية واحدة .

درج المجمع على تكوين لجنة لترجمة كل كتاب ، ويحرص في غالب الأحيان أن يشرك أكبر عدد ممكن من ذوي الكفاءات العلمية ، ولا يلجأ إلى مترجم واحد إلا نادرا وعند الضرورة القصوى . ويقسم العمل بين الزملاء أعضاء اللجنة التي تتولى الترجمة ، وذلك بالاتفاق فيما بينهم . إذ يقوم كل عضو بترجمة الجزء الذي يخصه ويتولى مهمة الإشراف أحد الأخوة المتخصصين من أعضاء اللجان وأحيانا من أعضاء المجمع ، وذلك للمحافظة على وحدة الكتاب . واستفدنا من تجاربنا المتواضعة ، فأصبحت الترجمة النهائية يجيزها مراجع علمي ، ثم مراجع لغوي ، تكون مهمته فقط تصويب الأخطاء اللغوية والنحوية ، ونحرص على أن يتولى المترجم ذاته إن أمكن ـ الإشراف على الطباعة . . . وتدقيق تجاربها .

وقد أنجز المجمع المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي وصدرت من منشوراته الكتب التالية :

١ . كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ـ تأليف ايرل سووكوفسكي ، وصدر في جزئين .

٢ . كتاب الجيولوجيا ـ تأليف روبرت فوستر، وصدر في جزء واحد .

٣ . كتاب البيولوجيا ـ تأليف ريتشارد غولد سبي ، وصدر في جزئين .

٤ . كتاب الكيمياء العامة ـ تأليف فريدريك لونغو ، وصدر في جزء واحد .

٥ . كتاب الفيزياء الكلاسيكية والحديثة ـ تأليف كنيث فورد ، وهو في ثلاثة أجزاء صدرت في ثلاثة مجلدات كبيرة .

ورأى المجمع أن يقوم بعملية تقويم لهذه المرحلة ، قبل أن ينتقل إلى المرحلة التالية . فطلب إلى عضوين من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك ، وهما من المتخصصين بالتقويم التربوي ، أن يقوما بدراسة علمية وميدانية لتقويم هذه المرحلة . وقاما بهذه الدراسة سنة ١٩٨١م ، وقدمت إلى مجمع اللغة العربية تحت عنوان : «تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي التي يتبناها مجمع اللغة العربية الأردني» .

وتقع هذه الدراسة في خمس وثلاثين صفحة وثلاثة ملاحق تقع في تسع وثلاثين صفحة . وقد حدّدت هذه الدراسة المشكلة وألقت الضوء على أهميتها ، وشملت طلبة السنة الأولى في الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درسوا باللغة العربية كتب الرياضيات والأحياء

والجيولوجيا التي تمت ترجمتها من اللغة الإنجليزية إلى اللغة العربية في العام الجامعي سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ . وقد شملت الدراسة أعضاء هيئة التدريس في الجامعتين الأردنية واليرموك والمترجمين وعملية الترجمة منهجاً وأسلوباً .

وكانت من النتائج التي توصلت إليها الدراسة أن نسبة الرسوب في مادة الأحياء هبطت من ٣٥٪ الى ٣٪ عندما درس الطلبة باللغة العربية ، كما أنهم درسوا مادة أوسع وبصورة أعمق . . . وعلى الرغم من هذه النتائج الباهرة ، فقد عاد المسؤولون ، مع الأسف في العام الجامعي التالي إلى التدريس باللغة الإنجليزية !!! وتمخضت هذه الدراسة القيمة عن التوصيات التالية :

١ . مشاركة الغالبية العظمى ممن لهم علاقة في عملية التدريس في الجامعات الأردنية في اختيار الكتب العلمية الجامعية للترجمة ، وإتاحة الفرصة للمتخصصين في موضوعات هذه الكتب ولمن لهم خبرة في مجال الترجمة لمشاركة مدرسي الجامعات في عملية التعريب على أن توضع معايير محددة لاختيار تلك الفئات .

٢ . تشجيع مجمع اللغة العربية الأردني على مواصلة تبني عملية تعريب التعليم العلمي الجامعي في الأردن بالتعاون مع إدارات الجامعات الأردنية والأقسام المختصة ، وخاصة عند اتخاذ قرارات اختيار الكتب المنوى تعريبها ، بحيث يكون ذلك الاختيار لتلك الكتب ولمترجميها في ضوء معايير محددة وواضحة يتفق عليها المعنيون بالأمر .

٣ . ترك الحرية للمترجمين للتصرف في ترجمة بعض الأمور التي لا بد لهم من التصرف في ترجمتها ، وعدم التمسك بالترجمة الحرفية ، وبخاصة عندما يلاحظ هؤلاء المترجمون قصور الترجمة الحرفية عن إعطاء المعنى الحقيقي باللغة العربية كما هو باللغة الانجليزية .

٤ ـ تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى الجهات التي لها خبرة جيدة في الطباعة والإخراج وأن تتولى عملية تدقيقها فئات متخصصة في موضوعات الكتب التي يتم تعريبها .

٥ . مراعاة مجمع اللغة العربية الأردني للمعايير التي أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التي ستترجم ، وكذلك المعايير التي حددوها لاختيار المترجمين .

٦ . مواصلة السعي لاستصدار قرار سياسي لتعريب التدريس الجامعي بأكمله ، ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية في الجامعات الأردنية .

٧ . مواصلة عملية تقويم تعريب التدريس الجامعي وترجمة الكتب العلمية الجامعية في الجامعات الأردنية باستمرار .

وقد أولى المجمع عناية كاملة للنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة . وفي ضوء ذلك انتقل المجمع إلى المرحلة الثانية من مشروعه في تعريب التعليم الجامعي . وتقضي هذه المرحلة ترجمة جميع الكتب العلمية في مستوى السنة الثانية . وبالفعل فقد جرى اختيار هذه الكتب ، وفق معايير محددة . وفرضت طبيعة هذه المرحلة العلمية المتقدمة تعدد الكتب في مجال التخصص الواحد .

وظهر حتى الآن من كتب المرحلة الثانية الكتب التالية :ـ

١ . الجبر المجرّد ، تأليف ديفد سون وجوليف .

٢ . مقدمة للتكوين الجنيني ، تأليف ستيفن اوبنهاير .

٣ . مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة ، تأليف مايرآرندت .

٤ . الكيمياء غير العضوية ـ الأول ـ تأليف ج أي هيوهي .

٥ . الكيمياء غير العضوية ـ الثاني ـ تأليف ج أي هيوهي .

٦ . الكيمياء التحليلية ـ تأليف بيترزيك وفرانك .

٧ . المعادلات التفاضلية ـ تأليف ديريك وغراسمان .

٨ . مبادىء التحليل الرياضي ـ تأليف اي جي مادوكس .

وسيصا ر قريبا ان شاء الله عدد آخر منها .

ويمضي مجمع اللغة العربية الأردني في مشروعه هذا وفق خطته ، وضمن إمكانات ماديةمحدودة ، غير زاعم القدرة على إنجاز هذه المهمة الجليلة ، ولكنه يأخذ على عاتقه تعميق هذا الاتجاه واعطاء المثل العلمي للقدرة على التعريب . . . ولذا يقوم المجمع بإهداء جميع الكتب التي يترجمها إلى جميع الجامعات والمؤسسات العلميةالعالية في الوطن العربي وإلى جميع وزارات التعليم العالي أيضا ، ويبيع بقية الكتب بسعر التكلفة . . . . ومع ذلك كله كان الحصار ، مع الأسف ، يضرب على كتبه التي يترجمها بشتى الطرق ، ومنها أنه أعيد تصوير جميع هذه الكتب في بيروت وأغرقت بها الأسواق العربية ، وقد اشترينا نسخا من هذه الكتب المصورة من أسواق عمّان ووضعت بيد النائب العام لكي يقيم دعوى ضد مجهول . . . . ولو لم يؤد ذلك إلى تكديس كتبنا في مستودعات

المجمع ، وإعاقتنا بالتالي عن الانتقال ، من الناحية المادية ، إلى ترجمة كتب أخرى ، لأعطينا أولئك الذين يساعدون على تعميم هذه الكتب المترجمة جائزة . . . !!

وإن أهم قضية تواجهنا في عملية تعريب الكتب العلمية الجامعية، تتمثل في موضوع تقرير المصطلح الواحد والشكل الواحد والرمز الواحد حتى يصل هذا الشكل أو المصطلح أو الرمز بصورة واحدة إلى جميع الطلاب وفي جميع العلوم ومن جميع المدرسين وفي جميع الكتب . . .

فالمصطلحات والرموز العلمية يتداخل بعضها في بعض،وبخاصّةٍ في الرياضيات والفيزياء والجيولوجيا والأحياء . فإن ترحيد المصطلحات المشتركة مثلا بين الفيزياء والرياضيات تصبح ضرورة بالغة حتى تكون لغة الرياضيات هي نفسها في الفيزياء والألكترونيات . . .

وإن طرح هذه القضايا العلمية ، من خلال هذه التجربة المتواضعة يقودنا إلى الوقوف أمام حقيقة الترابط اللغوي الوثيق بين العلوم الطبيعية ، باعتبارها جميعا هي جوانب مختلفة لتفسير طبيعة الوجود .

واتخذ المجمع مبادرة مهمة ، فألف لجنة خاصة من خيرة العلماء المتخصصين في الرياضيات والفيزياء والكيمياء ، لوضع نظام كامل ومتكامل لتعريب الرموز العلمية في هذه العلوم . وبدأت اللجنة عملها . وحدّدت فلسفتها بأن لا يلجأ دارس العلوم المختلفة باللغة العربية إلى استخدام حروف أجنبية فقدت إيحاءاتها بالنسبة له . وتحرص كذلك على أن لا تطلب من القارىء العربي تعلم حروف

جديدة . ويسرني أن أعلن أن اللجنة قطعت شوطا بعيدا في عملها[1] وأن هذا النظام المعرّب للرمز سيكون ، على حد تعبير الخبراء ، أفضل من النظام الحالي الذي يستعمل الحروف اللاتينية ، من حيث شموله ودقته وقابليته للنمو والتطور .

وفي مجال المصطلحات العلمية ، قام المجمع منذ تأسيسه بتوجيه رسائل إلى مختلف وزارات الدولة في الأردن ومؤسساتها ودواوينها ، لموافاته بالمصطلحات التي تستخدمها . وقام المجمع بدراسة هذه المصطلحات ووضع المقابلات العربية لها . ويسلك المجمع في دراسة هذه المصطلحات منهجا معينا ، إذ يشكل لجنة يشارك فيها خبيران اثنان على الأقل من المتخصصين في هذا الحقل ويحرص على أن يكونا من المؤسسة التي تستخدم هذه المصطلحات ويضيف إليهما عضوا أو أكثر من أعضاء المجمع . وبعد دراسة هذه المصطلحات في لجنة الخبراء هذه ، تقدم إلى لجنة المصطلحات في المجمع ، فتناقشها بمشاركة الخبراء المتخصصين أيضا ، وبعد الانتهاء منها تقدمها إلى مجلس المجمع الذي يناقشها بمشاركة جميع الخبراء ، وهو الذي يضفي عليها الشرعية ، وبعد ذلك تنشر في كراسات ، وترسل إلى المؤسسات صاحبة العلاقة وإلى جميع المجامع اللغوية العربية واتحاد المجامع وإلى مكتب تنسيق التعريب ، كي تُقدّم باعتبارها مشروعا مدروسا إلى مؤتمرات التعريب

(١) أنجز هذا المشروع المهم ، وقد وزع على جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي لإبداء ملاحظاتهم . وقرر اتحاد المجامع اللغوية العربية عقد ندوة في مجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ ١٩٨٧/١/٢٧ لمناقشة هذا المشروع . وقد عقدت الندوة في موعدها المحدد ، وأقرت المشروع بعد ادخال التعديلات التي رآها المتخصصون ، وستصدر أعمال هذه الندوة وتوصياتها في كتاب مستقل عن اتحاد المجامع اللغوية العربية .

التي تعقد مرة كل أربع سنوات من أجل توحيد هذه المصطلحات في الوطن العربي . . . .

وكان تجاوب هذه المؤسسات ممتازا . وتعاونت بحماس وفعالية مع المجمع من أجل انجاز هذه المهمة السامية ، وأخص بالذكر هنا مشاركة الخبراء والمتخصصين في مختلف أسلحة الجيش العربي الأردني . فقد أنجز تعريب كثير من أسلحة الجيش المختلفة في اللاسلكي والأسلحة الآلية والمدفعية والطيران . . . وقد نشرت في كراسات خاصة . وكان عمل المجمع في ذلك يصدر عن اعتبار «المعجم العسكري الموحد» ، الذي صدر عن الجامعة العربية في السبعينيات، منطلقاً مع إضافة ما استجد من مصطلحات في هذا المجال الواسع ، والإبقاء على باب الاجتهاد في تصويب ما تراه اللجان خطأ . . . .

وقد أصدر المجمع كراسات تحتوي على كثير من هذه المصطلحات ومنها : مصطلحات المواصفات والمقاييس ومصطلحات الأرصاد الجوية ومصطلحات الزراعة ومصطلحات التجارة ومصطلحات الصناعة وعدد من الكراسات في مصطلحات أسلحة الجيش . . . .

وحرص المجمع على دعم خطته في ترجمة الكتب العلمية ووضع المقابلات العربية للمصطلحات في مختلف مؤسسات الدولة باقامة الندوات العلمية المتخصصة والمشاركة الفعالة في المؤتمرات العلمية من أجل تعريب التعليم الجامعي .

ويرى المجمع أنه من الضروري اصدار قانون يحسم هذا الموضوع الخطير يسمى «قانون اللغة العربية» ، يمثل القرار السياسي

للدولة بأن تكون اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي أيضا في جميع الجامعات والمعاهد العالية وفي جميع التخصصات . . . .

وكان من نتائج هذه الاتصالات أن تقدم أحد أعضاء المجلس الوطني الاستشاري الى رئاسة المجلس اذ ذاك بمذكرة يقترح فيها «وضع قانون يحمي لغتنا العربية» . وربما كان من المفيد ، أن أثبت الرسالة التي وجهها مجمع اللغة العربية الأردني الى الأخ عضو المجلس الاستشاري الذي اتخذ هذه المبادرة ، واستقطب وراء هذه المذكرة تسعة عشر عضوا ، وذلك من أجل إلقاء الضوء بصورة شاملة على طبيعة الأنشطة في هذا المجال . وجهت الرسالة بتاريخ ٢٣/شعبان/ ١٤٠٠ هـ الموافق ٦ تموز سنة ١٩٨٠ الى الأخ الدكتور احمد ابو قورة عضو المجلس الوطني الاستشاري ، وهذا نصها :

معالي الأخ الدكتور أحمد أبو قورة المحترم
عضو المجلس الوطني الاستشاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

يسرني أن أبعث اليكم باسم أعضاء مجمع اللغة العربية الأردني وباسمي بجزيل الشكر ، ووافر الامتنان ، وأصدق مشاعر الاحترام والتقدير .

لقد كان لمذكرتكم الكريمة ، التي تفضلتم ، مشكورين ، فتقدمتم بها إلى رئاسة المجلس الوطني الاستشاري الموقر ، أعظم الأثر في نفوس أعضاء مجمعنا الأردني ، وأعمقه حيث جسدتم فيها مطلباً شريفاً ، وشرطاً أكيداً من شروط المواطنة الصالحة لبلدنا

وأمتنا ، باقتراحكم وضع قانون يحمي لغتنا العربية ، ويعزز مكانتها في عقر دارها ، ويعيد لها عهدها أيام كانت لغة العلم والحضارة الانسانية لقرون طويلة ، ويحفظ كرامتها في نفوس أبنائها ، فيتخلون عن التسميات الأجنبية للمحال التجارية والمصانع والفنادق ، الى تسميات عربية آصيلة يشعر معها المواطن في بلدنا ، والزائر لها ، أنه يعيش في بلد عربي يعتز أهله بلغتهم ، ويحترمونها ، ويحافظون عليها .

ولا شك أن موقفكم الكريم هذا نابع من غيرتكم الصادقة على لغتنا العربية لغة القرآن الكريم ، والحضارة الإسلامية المجيدة ، ومعبر عن حرصكم الأكيد على كرامتها ، والعمل المخلص لتعزيز مكانتها في دارها ، من أجل أن تؤدي دورها الحضاري والإنساني على خير وجه .

وأود أن أعلم الأخ الفاضل أن مجمع اللغة العربية الأردني ، كان قد بعث برسالتين الى أمانة العاصمة، وبنُسَخٍ عنهما إلى دولة رئيس الوزراء ، ووزير الداخلية ووزير الإعلام ، يناشدهم فيها العمل على اصدار قانون يمنع مثل هذه الظاهرة ، ويحمي كرامة الأمة ، ويضفي على بلدنا الحبيب طابعه العربي الأصيل ، ويسعدني أن أبعث اليكم بصورة عن هاتين الرسالتين مع كتابي هذا .

ونحن إذ نشكر لكم حسن اهتمامكم ، وموقفكم الأصيل من هذه القضية الوطنية الهامة ، لنأمل أن تجد دعوتكم هذه أثرها البعيد ، وصداها العميق في نفوس إخواننا أعضاء المجلس الوطني الاستشاري الموقر .

وفقنا الله جميعا لخدمة لغتنا العربية الشريفة وتراثنا العربي الإسلامي المجيد .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

نسخة / إلى معالي رئيس المجلس الاستشاري المحترم .

وتقدم مجلس المجمع بمشروع قانون اللغة العربية ، وقد رفعه وزير التربية والتعليم بتاريخ ١٤٠١/٧/٢٣ هـ الموافق ١٩٨١/٥/٢٦م الى دولة رئيس الوزراء برسالة هذا نصها :

دولة رئيس الوزراء الأفخم

الموضوع : مشروع قانون اللغة العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

أرفع إلى دولتكم مشروع قانون اللغة العربية الذي وضعه مجمع اللغة العربية الأردني . وأقره مجلس المجمع .

إن هذا القانون يهدف إلى دعم مكانة اللغة العربية في هذا البلد الذي يعتزّ بأصالة عروبته وعراقتها . وأرجو أن يتفضل دولتكم بالعمل على وضع هذا القانون موضع التنفيذ في مدة قريبة .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي

وزير التربية والتعليم

الدكتور سعيد التل

برفقة الرسالة مشروع القانون وهذا نصه :

قانون رقم (   ) لسنة ١٩٨١ م
قانون اللغة العربية
(صادر بموجب المادة الثانية من الدستور)

المادة الأولى : يسمى هذا القانون(قانون اللغة العربية رقم لسنة ١٩٨١م) ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة الثانية : تلتزم الوزارات وما يتبعها من الدوائر الرسمية ، والمؤسسات والمصالح والشركات ، وكذلك النقابات ، والجمعيات ، والمنظمات ، والمصانع باعتماد اللغة العربية السليمة في وثائقها ومعاملاتها وتسمياتها .

المادة الثالثة : على المؤسسات التعليمية ، في كلّ مراحل التعليم العام والعالي والجامعي اعتماد اللغة العربية لغة للتعليم . والحرص على سلامتها لفظاً وكتابة ، وتنشئة الطلاب على حسن التعبير والتفكير بها .

المادة الرابعة : تلتزم وسائل النشر والإعلام جميعها بالحرص على سلامة اللغة العربية : ألفاظا وتراكيب ونطقا وكتابة ، سواء في برامجها أو في الاعلانات التي تنشرها أو تبثّها . ولا يجوز لها استعمال العامية إلا عند الضرورة .

المادة الخامسة : يجب أن تسمى بأسماء عربية :

١ ـ المؤسسات التجارية والصناعية والعلمية والاجتماعية والترفيهية والسياحية وغيرها .

٢ ـ المصنوعات والمنتجات الأردنية .

المادة السادسة : يجب أن تكتب بالعربية السليمة :

١ ـ الكتب الصادرة عن المؤسسات الرسمية ، وشبه الرسمية ، الصناعية والتجارية والعلمية والتعليمية وغيرها .

٢ ـ السجلات والوثائق والمعاهدات والاتفاقات .

٣ ـ البيانات والمعلومات المتعلقة بالمصنوعات والمنتجات الأردنية . ويجوز أن ترافق ما ورد في هذه المادة ترجمة بلغة أجنبية ، على أن تكون العربية هي المعتمدة . كما يجوز أن تكتب بلغة أجنبية المراسلات الموجهة الى أجانب خارج الأردن .

المادة السابعة : ويجب أن تكتب بالعربية كذلك :

١ ـ لافتات المؤسسات الأردنية الرسمية وغير الرسمية .

٢ ـ رؤوس أوراق المؤسسات الأردنية الرسميةوغير الرسمية ومطبوعاتها داخل الأردن وخارجه .

٣ ـ أوراق النقد والمسكوكات والطوابع والمداليات الأردنية .

٤ ـ تسجيل العلامات التجارية .

ويجوز أن تضاف الى الكتابة العربية في كل ما تقدم، ترجمتها بلغة أجنبية ، بشرط أن تكون العربية أكبر حجما وأبرز مكانا .

المادة الثامنة : على الوزارات والدوائر والمؤسسات أن تنشىء أجهزة لها من المتخصصين باللغة العربية ، تعنى بسلامة العربية في وثائقها ومعاملاتها بما يكفل حسن تطبيق هذا القانون .

المادة التاسعة : يستشار مجمع اللغة العربية الأردني في وضع المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى الأجهزة المعنية الرجوع إليه في ذلك .

المادة العاشرة : كل من يخالف المواد من الثانية الى السابعة ، يعاقب بغرامة لا تزيد على (٥٠٠) خمسمئة دينار وتضاعف الغرامة في حالة تكرر المخالفة . وتجبى هذه الغرامات لمجمع اللغة العربية الأردني .

المادة الحادية عشرة : يصدر مجلس الوزراء الأنظمة اللازمة لتنفيذ احكام هذا القانون .

المادة الثانية عشرة : يلغى أي تشريع آخر إلى المدى الذي يتعارض فيه مع أحكام هذا القانون .

المادة الثالثة عشرة : يجري الالتزام بهذا القانون خلال ثلاثة أشهر من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

المادة الرابعة عشرة : رئيس الوزراء والوزراء مكلفون بتنفيذ أحكام هذا القانون .

ولكن مع الأسف لم يعرض مشروع القانون على المجلس الوطني الاستشاري إذ ذاك ، ولم تجر مناقشته والتصويت عليه ، وأصدر دولة رئيس الوزراء بلاغا رسميا بتاريخ ١٩٨٣/٨/٢١ م . هذا نصه :

بلاغ رسمي رقم ٢٥ لسنة ١٩٨٣

انطلاقا من أحد المبادىء الأساسية التي نص عليها الدستور وهي أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة الأمر الذي يقتضي معه ترجمة هذا المبدأ الأساسي على كافة الصعد ومختلف مناحي الحياة ترجمة عملية بالتزام كافة الأجهزة الحكومية والمؤسسات الرسمية والشعبية وغرف التجارة والصناعة وغيرها بتطبيقه من خلال جميع أوجه نشاطاتها .

ولا ريب في أن إيلاء اللغة العربية الاهتمام الذي تستحقه في سائر مناهج حياتنا الرسمية والعامة الثقافية والتعليمية والإعلامية ، وتخليصها من مظاهر السيطرة الأجنبية ومؤثراتها ، أمر يحتاج من الجميع بذل جهده ودوره الفعال لانجاح ذلك والالتزام به التزاما دينيا ووطنياً وقومياً .

لذا أرجو أن أؤكد على أهمية التوجه لحماية اللغة العربية والتشدد في سيادتها وتعلمها باعتبارها لغة القرآن الكريم ودعامة الحفاظ على الهوية الوطنية وضرورة الوقوف في وجه العوامل التي تؤثر عليها بما في ذلك شيوع استعمال الاسماء والاصطلاحات الأجنبية .

٢١/٨/ ١٩٨٣م

رئيس الوزراء

مضر بدران

وكانت هذه خطوة مهمة ومؤشراً على الطريق القويم من أجل العناية بلغتنا وتعريب التعليم الجامعي والبحث العلمي في جميع مجالاته . . . وأرسل مجمع اللغة العربية الأردني بتاريخ ١٤٠٣/١٢/٧ هـ الموافق ١٩٨٣/٩/١٣ م رسالة الى رئيس المجلس الوطني الاستشاري اذ ذاك هذا نصها :

معالي رئيس المجلس الوطني الاستشاري المحترم

الموضوع : اللغة العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

إشارة إلى البلاغ الرسمي رقم (٢٥) لسنة ١٩٨٣ ، الذي أصدره دولة رئيس الوزراء الأفخم لدعم اللغة العربية وتعزيزها في الوزارات والدوائر والمؤسسات الرسمية والشعبية : الثقافية منها ، والتعليمية ، والإعلامية ، وغيرها .

فقد جاءت هذه البادرة الخيرة نتيجة للوقفة الكريمة التي وقفها المجلس الوطني الاستشاري دفاعا عن اللغة العربية ، وعن كرامتها التي هي من كرامة الأمة وكرامة الوطن ،

وإنني باسم المجمع واسمي لأتقدم إليكم وإلى جميع أعضاء المجلس الوطني الكرام بخالص الشكر والتقدير على موقفكم المشرّف ، وغيرتكم على لغة القرآن الكريم ، ولغة العرب وتراثهم المجيد ، راجيا أن يظلّ هذا الموقف قدوة ومثالا لكلّ من يغار على لغته وكرامة أمته .

وإن المجمع ليتطلّع إلى تطبيق ما جاء في البلاغ الرسمي المشار إليه ، باتخاذ الخطوات التالية :

١ - تعيين منشئين في كلّ وزارة ودائرة ومؤسسة ممّن يتقنون اللغة العربية لضبط ما يصدر عنها من رسائل أو تقارير أو مذكرات أو معاملات باللغة العربيّة .

٢ - التدريس باللغة العربية في الجامعات الأردنية الأربع بجميع كلياتها وأقسامها .

٣ - تعريب لافتات الأماكن التجارية في الأردن .

وإن أمل المجمع في حرصكم على تنفيذ ذلك كلّه لكبير .

وتفضلوا بقبول خالص التقدير والاحترام

رئيس المجمع

الدكتور عبد الكريم خليفة

ومنذ ثلاثة اعوام تقريبا ، تقدم ثمانون من أعضاء هيئة التدريس في الدوائر العلمية في جامعة اليرموك ، بمذكرة إلى المسؤولين في الجامعات الأردنية وإلى رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ، يعربون فيها عن إيمانهم بالتعريب وعزمهم على التدريس باللغة العربية ، ويقدمون في مذكرتهم هذه مشروع خطة لتعريب التعليم الجامعي في جميع مجالاته . ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الوثيقة تحمل تواقيع ثمانين عضو هيئة تدريس من أصل مئة وعشرين من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك من الأردنيين . وجميعهم في الذروة من حيث تخصصاتهم

العلمية . وكان من بينهم جميع رؤساء الدوائر العلمية ، وعميدان أيضا من أصل ثلاثة عمداء .

وربما كان من المفيد أن نورد نص هذه المذكرة الصادرة عن هذا العدد الكبير من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك .

بسم الله الرحمن الرحيم

دولة رئيس اللجنة الملكية الخاصة لجامعة اليرموك الأكرم

دولة رئيس مجلس أمناء الجامعة الأردنية الأكرم

سيادة رئيس مجلس أمناء جامعة مؤتة الأكرم

الأستاذ الدكتور رئيس جامعة اليرموك الأكرم

الاستاذ الدكتور رئيس الجامعة الأردنية الأكرم

الأستاذ الدكتور رئيس مجمع اللغة العربية الأردني الأكرم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فنحن أعضاء الهيئة التدريسية في الكليات العلمية في جامعة اليرموك المؤمنين بأن التعريب الشامل للتعليم الجامعي شرط أساسي للقضاء على تخلف أمتنا العلمي وتأكيد لاستقلالنا كأمة عربية ذات سيادة ، وتمشيا مع بلاغ دولة رئيس الوزراء رقم (٢٥) لعام ١٩٨٣ المنشور في صحيفة الدستور الأردنية الصادرة بتاريخ ١٩٨٣/٨/٢٦ والذي يدعو إلى «إيلاء اللغة العربية الاهتمام الذي تستحقه في سائر مناهج حياتنا الرسمية والعامة والثقافية والتعليمية والإعلامية وتخليصها من مظاهر السيطرة الأجنبية ومؤثراتها ، ويؤكد على أهمية التوجه لحماية

اللغة العربية والتشدد في سيادتها باعتبارها لغة القرآن الكريم ودعامة الحفاظ على الهوية الوطنية» . وتطبيقا لقوانين الجامعات الأردنية التي تنص على أن اللغة العربية هي لغة التدريس فيها ، وانطلاقا من شعورنا بالمسؤولية الملقاة على عاتقنا كأساتذة في أحد معاقل الأردن الثقافية ، فإننا نرى ضرورة الإسراع بتنفيذ خطة متكاملة تؤدي إلى تعريب التعليم الجامعي في جميع الكليات والدوائر معا حيث تكمل هذه الكليات والدوائر بعضها بعضا .

لقد تميز الأردن بموقعه المتوسط في الوطن العربي وبتأثيره الإيجابي والرائد في كل ما يؤدي إلى تقدم هذا الوطن ، وهو قادر على أن يكون مركزا للاشعاع العلمي ولطباعة ونشر الكتب العلمية القيمة ، وخاصة الجامعية منها ، وعلى القيام بدوره في نقل العلوم من لغات العالم المختلفة إلى اللغة العربية (تعريب العلوم) . وإيمانا منا بالدور الريادي لجامعاتنا الأردنية ولمجمع اللغة العربية الأردني ولثقتنا الكبيرة بقياداتها فان الامال معقودة عليها لممارسة دورها الأساسي في عملية التعريب الشامل .

ويسرنا أن نقدم لكم تصورنا لخطة عمل تؤدى بإذن الله إلى التعريب الشامل للعلوم . ووفقا لهذه الخطة تشكل لجان عمل ميدانية من المؤمنين بأهمية التعريب ينبثق عنها لجنة للتنسيق، وتتعاون هذه اللجان مع لجنة التعريب في مجمع اللغة العربية الأردني للوصول الى الأهداف المرجوة . وإننا إذ نقدر أن خطة للتعريب كهذه تحتاج إلى التعاون المستمر بين الجميع وإلى زمن ليس بالقصير لتنفيذها ، فإننا نتوقع أن يستغرق تنفيذ هذه الخطة من ٤ إلى ٨ سنوات .

إن تكاليف تنفيذ هذه الخطة ليست بالباهضة كما قد يتوقع كثيرون ، فعلى افتراض أن هناك خمسا وعشرين دائرة علمية في جامعاتنا وأنه يلزم لكل منها عشرون كتابا علميا مختلفا لتنفيذ خطتها الدراسية فإنه لو كانت تكاليف طباعة ألفي نسخة من الكتاب الواحد خمسة الاف دينار لكانت تكلفة تعريب هذه الكتب مجتمعة ٢,٥ مليون دينار . وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن برنامجا للتعريب كهذا يحتاج إلى مدة تتراوح بين ٤ و٨ سنوات لكانت تكلفة المشروع في السنة الواحدة أقل من نصف مليون دينار ، هذا لو وزعت الكتب الجامعية على ألفي طالب في كل تخصص بالمجان !

نبين فيما يلي خطتنا المقترحة راجين أن تتكرموا بدراستها واعطائها ما تستحقه من عناية .

مشروع خطة لتعريب التعليم في الجامعات الأردنية

أولا : تشكل الدوائر العلمية المختلفة في الجامعة الواحدة لجانا ميدانية متخصصة من أعضاء هيئة التدريس ممن يؤمنون بأهمية التعريب ، وممن تتوافر فيهم الكفاءة لأداء هذا العمل .

ثانيا : تشكل لجنة تنسيق لعملية التعريب في الجامعة الواحدة مرة كل سنتين من ممثلين عن اللجان الميدانية في تلك الجامعة تنتخبهم تلك اللجان بواقع ممثل واحد عن كل منها .

ثالثا : تقوم اللجان الميدانية باقتراح الكتب القيمة المناسبة ترجمتها أو بتبني تأليف الكتب ورفع ذلك للجنة التنسيق المنبثقة عن هذه اللجان الميدانية لدراسة إمكانيةإقرارهذه الكتب بالتعاون مع لجنة التعريب في مجمع اللغة العربية الأردني .

رابعا : تنتخب لجنة التنسيق الواحدة هيئة إدارية لها مكونة من ثلاثة إلى خمسة أعضاء للقيام بالمهام الإدارية . ينتخبون من بينهم رئيسا يمثل اللجنة في الاتصالات مع الجهات المعنية .

خامسا : تعقد لجنة التنسيق اجتماعات شهرية أو حسب الحاجة وتقوم الهيئة الإدارية بالدعوة إلى هذه الاجتماعات وبتحضير جدول أعمال لها يوزع على أعضاء اللجنة قبل موعد الاجتماع بثلاثة أيام على الأقل .

سادسا : يناط بلجنة التنسيق متابعة أعمال اللجان الميدانية والعمل كحلقة وصل بينها وبين لجنة التعريب في مجمع اللغة العربية الأردني .

سابعا : بعد تبني لجنة التنسيق ترجمة كتاب معين يقوم المجمع بإجراء الاتصالات اللازمة مع الجهات ذات العلاقة داخل الأردن وخارجه للتأكد من عدم ترجمة هذاالكتاب من قبل جهة أخرى لتجنب الازدواجية في العمل .

ثامنا : تقوم لجنة التعريب في المجمع بالإشراف على مراجعة وتقويم ما يتم إنجازه من كتب ترفع لها من قبل لجنة التنسيق .

تاسعا : يقوم المجمع بالتعاون مع الجامعة ذات العلاقة بنشر ما يؤلف أو ما يترجم من كتب من قبل اللجان الميدانية وذلك على نفقة المجمع أو الجامعة أو تحت إشرافهما في حالة النشر في دور النشر التجارية .

عاشرا : يعمل المجمع على اطلاع الجامعات العربية والمؤسسات التعليمية ذات العلاقةعلى كل ما يتم إنجازه من مؤلفات وترجمات وعلى ما هو قيد التنفيذ منها لضمان تسويقها على أوسع نطاق .

حادي عشر : يتولى المجمع بالتعاون مع لجان التنسيق وضع معاجم المصطلحات العلمية والتنسيق مع الجهات المماثلة في الوطن العربي لتحديث هذه المعاجم بشكل دوري ، ويزود المجمع لجان التنسيق بكل ما يجد من مصطلحات .

ثاني عشر : يعمل المجمع والجامعات مستقبلا على تأسيس دار للترجمة مزودة بالكوادر المؤهلة لترجمة الدوريات في المواضيع المختلفة .

ثالث عشر : تعمل الجامعات على وضع الحوافز والمكافآت المناسبة لتشجيع العاملين على التعريب .

رابع عشر : تقوم لجنة التعريب بالتشاور مع لجان التنسيق في الجامعات لعقد مؤتمر سنوي في مجمع اللغة العربية الأردني يشارك فيه أعضاء اللجان الميدانية في الجامعات وذلك لمناقشة الصعوبات التي تواجه عملية

التعريب ولوضع التوصيات والحلول المناسبة لها .

خامس عشر : يقوم المجمع بحملة اعلامية مستمرة على كافة الأصعدة لبيان أهمية التعريب الشامل في تدعيم لغتنا العربية التي هي ركيزة أساسية في استقلالنا وفي القضاء على التخلف العلمي في الوطن العربي .

سادس عشر : يوجه المجمع الدعوة المستمرة الى الجهات الرسمية ذات العلاقة لاستصدار قانون حماية اللغة العربية ولانتهاج سياسة التعريب الشامل .

والله ولي التوفيق

(تواقيع ثمانين عضواً من أعضاء هيئة التدريس)

ولا شك أن هذه الأصداء الخيرة ، كانت نتيجة وعي عميق وتحسس صادق لخطورة قضية تعريب التعليم الجامعي ، في جوانبها القومية من ناحية وجوانبها العلمية من حيث الأصالة والتقدم والإبداع .

وما زالت هذه الجهود الخيرة ، تبذل في جميع المجالات ، وفي ظروف مادية صعبة ومحدودة من أجل تعزيز مكانة اللغة العربية وجعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس الجامعي ، ولغة التقنيات الحديثة . وقد هدتنا خبرتنا الطويلة ودراستنا الموضوعية ، وتجارب الأمم التي سبقتنا في هذا المضمار ، إلى أن هذا الهدف لن يتحقق إلا باستصدار قانون ، تقره الدولة في أعلى أجهزتها التشريعية ويكون من واجب الحكومة بأجهزتها المختلفة السهر على تنفيذه .

ومن هذا المنطلق وبعد إعادة المجلس النيابي الأردني إلى ممارسة مهامه الدستورية ، فقد رأى مجلس المجمع أن يتقدم مرة أخرى بمشروع قانون اللغة العربية ، كما اقترحه سابقا . وقام وزير التربية والتعليم برفعه الى دولة رئيس الوزراء بتاريخ ١٤٠٤/١١/٢١ هـ الموافق ١٩٨٤/٨/١٨ م . في رسالة هذا نصها :

دولة رئيس الوزراء الأفخم

الموضوع : مشروع قانون اللغة العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإن رئيس مجمع اللغة العربية الأردني ، بناء على قرار مجلس المجمع بتاريخ ١٩٨٢/٨/١٢ م ، يرجو أن يعيد طرح مشروع قانون اللغة العربية ، الذي كان قد وضعه المجمع ورفع إلى دولتكم بتاريخ ١٩٨١/٥/٢٦م ، راجيا أن يتفضل دولتكم باتخاذ الاجراءات التي ترونها مناسبة حيال هذا الموضوع .

وتفضلوا بقبول فائق احترامي . .

وزير التربية والتعليم

حكمت الساكت

وخلاصة القول فإننا نمضي قدما ، بإذن الله ، في جهودنا المتكاتفة ، ما بين مجمعيين وأعضاء هيئة تدريس وخبراء متخصصين ، من أجل خدمة اللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، لغة العروبة والإسلام ، معتقدين جازمين بأن الوقت قد حان لكي تصبح اللغة

العربية لغة التعليم الجامعي والبحث العلمي في جميع مستوياته ومجالاته ، ولكي تتحول قضية تعريب العلوم في الجامعات العربية من مجرد مناقشات وكلام ينشر في الكتب ، إلى ممارسات عملية في جميع الجامعات ومؤسسات البحث العلمي في الوطن العربي .

تجربة مجمع اللغة العربية الأردني في تعريب التعليم العلمي الجامعي "١"

كم هو صعب أن يختار المرء هديته عندما تكون المناسبة جليلة القدر، تشيع في أجوائها شذى الحب والاحترام والولاء . فلم أجد تحية أجمل وقعا على نفسي ولا أصدق تعبيرا ، أقدمها بين يدي المجمع الشيخ بالقاهرة ، في عيده الخمسيني ، غير باقة ترمز إلى مشاركة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني في خدمة لغتنا العربية الخالدة ، لغة القرآن الكريم ، لكي تستعيد قدرتها على استيعاب مطالب العلوم والفنون في تقدّمها . ونحن مجامع وشعوباً ننتمي إلى هذه اللغة وهل هنالك أسمى من الانتماء إلى هذه اللغة الشريفة وكتابها الخالد ، وهل هنالك علاقة أسمى من علاقة الشقيق بشقيقه والتلميذ بشيخه .

فإذا تحدثنا عن مجمعنا الشيخ بالقاهرة في عيده الخمسيني ، فنحن نتحدث عن هوية حددت بدايتها الزمنية وثيقة ميلاده ، أي مرسوم تأسيسه ، ولكن إذا نظرنا إليه من حيث هو فكرة ومدرسة في خدمة العربية وتراثها فإن جذوره تضرب بعيدا في أعماق تاريخنا

(١) بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة بمناسبة عيده الخمسيني من عمره المديد .

العربي الإسلامي . ولا شك أن تاريخ العناية باللغة العربية ، وتاريخ نشوء مدارسها ومجامعها في مصر الشقيقة يعكس مسيرة هذه الأمة في التقدم والتحرر .

انطلق مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، بعلمائه الأفذاذ ، يبحث كل ما له شأن في تقدّم اللغة العربية والحفاظ على سلامتها ، وقد أدرك منذ البداية وعلى حدّ تعبير رئيسه الجليل الأستاذ الدكتور مدكور : «انه لا يمكن أن تتحقق نهضة علمية بدون نهضة لغوية واصطلاحية تسير معها جنبا إلى جنب» . وكان للبحوث العلمية التي قدمها علماؤنا وأساتذتنا في مجمع القاهرة ، دور أساسي في تلمسه وسائل النهوض بمتن اللغة لا سيما في مجال الوضع واطلاق القياس وتحرير السماع من قيود الزمان والمكان والتسليم بالتعريب والاعتداد بالكلمات المولدة وتسويتها بالأصلية . وبذلك فقد أرسى قواعد أساسية يمكن أن تشارك في صياغة منهجية علمية موحدة لنقل العلوم والمعارف والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ، وإلى أيجاد لغة علمية عربية موحدة وكان لمجمعنا الزاهر بالقاهرة ، جهود متميزة في مجال المصطلحات العلمية ، فاضحى بحق حجة في هذا الباب إذ أخرج منذ سنة ١٩٤٢ ، حوالي عشرين مجموعة اشتملت على أكثر من خمسين ألف مصطلح في العلوم المختلفة .

وقد شاءت السياسة الاستعمارية أن تمزق أمتنا إلى كيانات سياسية ودول منفصلة ورثنا حدودها ، كما رسمها لنا الأجنبي ، وبتنا مع الأسف ، نستميْت في التجزب لها والدفاع عنها في عهود ما يسمى بالاستقلال والتحرر من الاحتلال الأجنبي المباشر . وبقيت اللغة

العربية ، وقد حفظها القرآن الكريم ، صامدة أمام هجمات الاستعمار وأعوانه ومؤامراتهم من أجل النيل من وحدة أمتنا وهويتها . . . وقد نتلفت حولنا ، في كثير من الأحيان ، وقد ادلهمت الخطوب واكفهرت الأجواء بين الأشقاء ، فلا نجد سوى القرآن الكريم ولغته العربية الخالدة ، سياجا يحفظ وحدة أمتنا في مشاعرها وصفاء انتمائها ، وإرادتها في البقاء أمة حية معطاءة بين الأمم ، تشارك كما شاركت عبر القرون في صنع الحضارة العالمية وتقدم المعرفة الإنسانية .

ولا شك أن هذه المفاهيم السامية التي تتغلغل في ضمير أمتنا وتمتد جذورها بعيدة في تراثها عبر القرون ، هي القوة الكامنة التي تدفع أبناء العروبة وعلماءها في أقطارهم المختلفة ، لكي ينهضوا نحو خدمة اللغة العربية والإسهام في تقدمها والعمل على احترامها ورفعة شأنها .

ومن خلال هذه المفاهيم ، فقد انطلقنا في مجمع اللغة العربية الأردني ، لكي نشارك بجهد متواضع في خدمة العربية التي نعتبرها جوهر هويتنا والرابط المتين في وحدتنا . وإننا نعتبر مجمعنا في الأردن ، رمزا للتعبير عن إرادة هذا البلد العربي الأصيل ، بامكاناته المادية المحدودة ، من أجل خدمة اللغة العربية ، لغة العروبة والإسلام ، ولا أدلّ على ذلك من ظهور مجمع اللغة العربية الأردني ، لأول مرة سنة ١٩٢٤ مصاحبا لظهور الكيان السياسي الأردني . . . . وعين رئيسه وأعضاؤه ، وكان منهم الشيخ سعيد الكرمي ، ومحمد كرد علي ، ومحمد اسعاف النشاشيبي والأب انستانس الكرمي ، ولكن شاءت الظروف أن لا يستمر هذا المجمع ،

لقلة المال والرجال ، على حد تعبيـر الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي بدمشق ، مجمع العروبة الرائد .

وفي سنة ١٩٦١ م أنشئت اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في وزارة التربية والتعليم ، واستمرت هذه اللجنة في عملها حتى نهاية شهر أيلول سنة ١٩٧٦م حين بدأ مجمع اللغة العربية الأردني عمله . ومنذ البداية ، كان لنا شرف الانضمام إلى اتحاد المجامع العربية ، وإن النظرة التي ينطلق منها مجمع اللغة العربية الأردني ، تتحدد بوجوب وجود مجمع واحد للغة العربية ، واننا نتطلع إلى ذلك اليوم القريب إن شاء الله ، الذي يتطور فيه اتحادنا هذا لكي يصبح مجمعا واحدا ، ترفده أقطار العروبة في مختلف أصقاعها بجهود علمائها وباحثيها ، من أجل أن تلحق أمتنا بركب الحضارة وتشارك مشاركة أصيلة في بنائها .

وقد رأى مجمع اللغة العربية الأردني ، أن القضية الكبرى التي يجب أن تطرح أمام اتحاد المجامع العربية ، هي قضية تعريب التعليم الجامعي في جميع مجالات المعرفة وفي مختلف مستوياته . وبعبارة أخرى فقد حان الوقت لكي تصبح القضية الأولى أمام المجامع اللغوية والمؤسسات العلمية العربية ، قضية وجوب جعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي في جميع مجالاته ومراحله .

فإن تعريب التعليم الجامعي وجعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ضرورة حتمية تقتضيها مصلحة الأمة العربية ، وتمليها المواطنة الصادقة المخلصة والغيرة على شخصية الأمة وتراثها المجيد ، وتفرضها الإرادة من أجل النهوض بالأمة

واللحاق بركب الحضارة الإنسانية والمشاركة المبدعة في بنائها .

ولهذه الأسباب جميعها ، فقد رأى مجمع اللغة العربية الأردني أن يتجاوز مرحلة المناداة بالمبادىء ، والحوار والمناقشة حول قدرة اللغة العربية وأهليتها وتجاربها التاريخية إلى مرحلة التطبيق العملي . فقرر أن يتبنى ـ على الرغم من امكاناته المادية المحدودة ـ مشروعا محددا في مجال تعريب التعليم العلمي الجامعي ، ويشتمل هذا المشروع على ترجمة جميع الكتب العلمية التي تدرس في كلية العلوم في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، واختار كلية العلوم ، لأنها الكلية الأساس التي تقوم حولها جميع كليات العلوم التطبيقية ، مثل الطب والصيدلة والهندسة والزراعة . . . . الخ .

ومن أجل تنفيذ هذا المشروع ، بدأ المجمع اتصالاته . فاتصل بأعضاء الهيئة التدريسية المختصة بكليتي العلوم في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك ، وقد وجد هذا المشروع ترحابا من أكثر علمائنا في هاتين الجامعتين . وغني عن البيان أن أقول : إنهم جميعا في الذروة في مجالات تخصصاتهم ، وهم أيضا من خريجي أشهر الجامعات الأجنبية .

بدأ المجمع بتنفيذ المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ، ويقضي بترجمة الكتب العلمية المقررة بكليتي العلوم في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك للسنة الأولى في حقول : الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأحياء والجيولوجيا .

وبعد أن تم اختيار الكتب العلمية المقررة ، على أساس أحدث الكتب العلمية وأعلاها مستوى ، قام المجمع بتعميم هذه القائمة على

جميع الجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، يشرح لها مشروعه ويعلمها بنيته ترجمة هذه الكتب العربية ، وأنه إذا كانت هنالك أية جهة تقوم بترجمة بعض هذه الكتب فسيقوم المجمع باختيار كتب أخرى وذلك لكي يتم التنسيق ولا يتكرر الجهد .

وبعد أن تلقى المجمع إجابات مشجعة ، قام باختيار لجان علمية مختصة وحرص على أن يكون معظمها من أعضاء هيئة التدريس الذين يتولون تدريس هذه المواد في الجامعتين الأردنية واليرموك . وشارك معهم أعضاء متخصصون من مجمع اللغة العربية الأردني ، وقد حرص المجمع على أن يستفيد من تجارب المجامع والجامعات العربية في هذا المجال ، فوضع بين أيدي اللجان المختصة ، التي كلّفها بالترجمة ، جميع ما انتجته مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد من مصطلحات علمية وكذلك جميع ما أنجزته مؤتمرات التعريب والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، في هذا المجال وفتح لهم أيضا باب الاجتهاد ، على أن ينتهي كل كتاب بقائمة المصطلحات العلمية التي استخدمت ومقابلاتها باللغة العربية وأن ترتب ترتيبا هجائيا . وذلك لكي تطرح أمام اتحاد المجامع العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي بغية توحيدها. فإن حرصنا على تعريب جميع العلوم لا يوازيه سوى حرصنا على توحيد جميع هذه المصطلحات وبالتالي أن تكون لنا لغة علمية عربية واحدة . فإنه لخطر كبير أن تنشأ لغات علمية عربية ويصبح الباحث العربي في قطر لا يفهم ما يكتبه عالم في قطر آخر نتيجة اختلاف المصطلحات والرموز العلمية . . . . وهكذا فنحن نعتبر وحدة اللغة العلمية قضية

أساسية لا يمكن التهاون بها .

كان المجمع يختار لكل كتاب لجنة من المتخصصين ، ويحرص في غالب الأحيان أن يشرك أكبر عدد ممكن من ذوي الكفاءات ، ولا يلجأ إلى مترجم واحد إلا عند الضرورة القصوى . وكان العمل يقسم بين الزملاء ، أعضاء اللجنة التي تتولى الترجمة ، بالاتفاق فيما بينهم ، إذ يقوم كل عضو بترجمة الجزء الذي يخصه ، ويتولى مهمة الإشراف أحد الأخوة المختصين من أعضاء اللجان وأحيانا من أعضاء المجمع ، وذلك للمحافظة على وحدة الكتاب والحرص على وحدة المصطلحات العلمية المستعملة في الكتاب الواحد . . .

وقد استفدنا من تجاربنا المتواضعة ، فأصبحت الترجمة النهائية يجيزها مراجع علمي ، ثم مراجع لغوي ، تكون مهمته فقط تصويب الأخطاء النحويّة والتراكيب اللغوية ، ونحرص على أن يكون المترجم ذاته - إن أمكن - هو الذي يشرف على الطباعة . . . . وتدقيق تجاربها . . . .

وقد أنجز المجمع المرحلة الأولى من مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي وصدرت من منشوراته الكتب التالية ، وقد توخى أن تكون من أفضل الكتب العلمية وأحدثها وهي :

١ . كتاب التفاضل والتكامل والهندسة التحليلية ، تأليف سووكوفسكي ، وصدر الكتاب في جزأين .
٢ . كتاب الجيولوجيا العامة ، تأليف روبرت فوستر ، وصدر في جزء واحد .

٣ . كتاب البيولوجيا ، تأليف غولد سبي ، وصدر في جزأين .
٤ . كتاب الكيمياء ، تأليف فردريك لونغو ، وصدر في جزء واحد .
٥ . كتاب الفيزياء ، تأليف فورد ، وهو في ثلاثة أجزاء .

وفي المنهجية التي يتبعها المجمع ، رأى أن يقوم بتقويم هذه المرحلة ، قبل أن ينتقل إلى المرحلة الثانية ، وبالفعل فقد طلب إلى عضوين من أعضاء هيئة التدريس في جامعة اليرموك ، وهما من المتخصصين (بالتقويم) ، أن يقوما بدراسة علمية موضوعية لتقويم هذه المرحلة . وقد قاما بهذه الدراسة سنة ١٩٨١ م ، وقدمت إلى مجمع اللغة العربية الأردني تحت عنوان : «تقويم المرحلة الأولى في تعريب التعليم العلمي الجامعي التي تبناها مجمع اللغة العربية الأردني» وتقع هذه الدراسة في خمس وثلاثين صفحة وثلاثة ملاحق تقع في تسع وثلاثين صفحة . وكانت هذه الدراسة على غاية الأهمية ، فقد حددّت المشكلة وألقت الضوء على أهميتها وشملت الدراسة طلبة السنة الأولى في الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا التي تمت ترجمتها من اللغة الانجليزية الى اللغة العربية في العام الجامعي ١٩٨٠ - ١٩٨١[١] .

---

(١) على الرغم من النتائج الباهرة لعملية التدريس باللغة العربية ، إذ نزلت نسبة الرسوب مثلا في مادة الأحياء من ٣٥٪ عندما كانوا يدرسون باللغة الانجليزية إلى ٣٪ عندما درس الطلبة باللغة العربية ، في حين أن الطلبة على حد تعبير أساتذتهم درسوا باللغة العربية مادة أوسع وبصورة أعمق وأدق ، وعلى الرغم من هذا كله ، فقد عاد المسؤولون في العام الجامعي التالي إلى التدريس باللغة الانجليزية .

وكذلك شملت الدراسة أعضاء هيئة التدريس في الجامعتين الأردنية واليرموك الذين درّسوا كتب الرياضيات والأحياء والجيولوجيا التي ترجمت من اللغة العربية . وقد دّرست باللغة العربية لطلاب السنة الجامعية الأولى في العام الجامعي سنة ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ، وكذلك شملت المترجمين وعملية الترجمة منهجا وأسلوبا .

وتمخضت هذه الدراسة القيمة عن التوصيات التالية :

١ . مشاركة الغالبية العظمى ممن لهم علاقة في عملية التدريس في الجامعات الأردنية في اختيار الكتب العلمية الجامعية للترجمة ، واتاحة الفرصة للمتخصصين في موضوعات هذه الكتب ولمن لهم خبرة في مجال الترجمة لمشاركة مدرسي الجامعات في عملية التعريب على أن توضع معايير محددة لاختيار تلك الفئات .

٢ . تشجيع مجمع اللغة العربية الأردني على مواصلة تبني عملية تعريب التعليم العلمي الجامعي في الأردن بالتعاون مع إدارات الجامعات الأردنية والأقسام المختصة , وخاصة عند اتخاذ قرارات اختيار الكتب المنوى تعريبها بحيث يكون ذلك الاختيار لتلك الكتب لترجمتها في ضوء معايير محددة وواضحة يتفق عليها المعنيون بالأمر .

٣ . ترك الحرية للمترجمين للتصرف في ترجمة بعض الأمور التي لابد لهم من التصرف في ترجمتها ، وعدم التمسك بالترجمة الحرفية وبخاصة عندما يلاحظ هؤلاء المترجمون قصور الترجمة الحرفية في إعطاء المعنى الحقيقي باللغة العربية كما هو باللغة الانجليزية .

٤ . تحويل طباعة الكتب بعد عملية ترجمتها إلى الجهات التي لها خبرة جيدة في الطباعة والأخراج وأن تتولى عملية تدقيق الكتب بعد عملية ترجمتها فئات متخصصة في موضوعات الكتب التي يتم تعريبها .

٥ . مراعاة مجمع اللغة العربية الأردني للمعايير التي أوردها المترجمون والمدرسون لاختيار الكتب العلمية التي ستترجم ، وكذلك المعايير التي حددوها لاختيار المترجمين .

٦ . مواصلة السعي لاستصدار قرار سياسي لتعريب التدريس الجامعي ومواصلة ترجمة الكتب الأجنبية إلى اللغة العربية في الجامعات الأردنية .

٧ . مواصلة عملية تقويم تعريب التدريس الجامعي وترجمة الكتب العلمية الجامعية في الجامعات الأردنية باستمرار .

وقد أولى المجمع عنايته الكاملة للنتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ، فوضع معظم هذه التوصيات موضع التنفيذ . وفي ضوء ذلك انتقل المجمع إلى المرحلة الثانية من مشروعه في تعريب التعليم الجامعي . وتقضي المرحلة الثانية بترجمة جميع الكتب العلمية في مستوى السنة الثانية وبالفعل فقد جرى اختيار هذه الكتب ، وفق معايير محددة ، وأن طبيعة هذه المرحلة العلمية المتقدمة قدفرضت تعدداً في مجال الاختصاص الواحد .

وبالفعل ظهر من كتب المرحلة الثانية :

١ . الجبر المجرد ، تأليف ديفد سون وجيوليك

٢ . مقدمة للتكوين الجنيني ، تأليف ستيفن اوبنهايمر
٣ . مقدمة للبصريات الكلاسيكية ، تأليف جرجين ماير

وسيصدر قريبا ، ان شاء الله عدد آخر منها . وأما الكتب الأخرى فمازال بعضها بين أيدي المترجمين وبعضها الآخر بين أيدي المراجعين العلميين والمراجعين اللغويين . . .

ويمضي مجمع اللغة العربية الأردني في مشروعه هذا وفق خطته ، وضمن إمكانات مادية محدودة ، غير زاعم لنفسه القدرة على إنجاز هذه المهمة الجليلة ، ولكنه يأخذ على عاتقه تعميق هذا الاتجاه ، وإعطاء المثل العلمي للقدرة على التعريب . . . فإن الهدف الذي يجب أن تسعى إليه أمتنا ، هو تعريب العلوم من حيث هي علوم . . وليس ترجمة كتاب في الرياضيات من هنا وترجمة كتاب في الفيزياء هناك . . . ووضع مئات من المصطلحات في هذا المجال العلمي أو ذاك . . .

قضايا ومشكلات :

كان مجمع اللغة العربية الأردني يعلم يقينا مدى حجم المهمة عندما تبنى في مجالات عمله ، مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ، ويعلم كذلك أن هنالك صعوبات ومشكلات مهمة تحتاج إلى الجهد والصبر والأناة من أجل التغلب عليها .

انطلق المجمع بالترجمة من حيث هي نقل مادة الكتاب من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية ، ولكن الهدف الذي يسعى إليه هو تعريب العلوم ، لا ترجمتها فقط . ومن هذا فقد سمّى مشروعه : «تعريب التعليم العلمي الجامعي» وليس «ترجمة الكتب

العلمية الجامعية» ، فالمجمع يحرص في النهاية على تحويل المادة العلمية من مادة غريبة عن العقل العربي واللسان العربي والتداول اليومي إلى مادة قادرة على التمازج مع الفكر العربي واللسان العربي ، وذلك من خلال تفاعل حقيقي وخصب بين المادة العلمية واللغة ، ولا غرو إذا جعل جهوده في الترجمة تتضافر مع جهوده على جميع المستويات لكي تصبح ، اللغة العربية لغة التدريس الجامعي ، وأن يحقق نقل هذه الكتب إلى اللغة العربية التفاعل بين اللغة العربية والعلم . فيتداولها الطلبة وأساتذتهم في محاوراتهم ومحاضراتهم وتجاربهم ومختبراتهم . . . ويتعدى مجال هذا التداول إلى أصحاب المهن والحرف وغيرهم في المجتمع . وإن هذا هو السبيل الوحيد لتأصيل الفكر العلمي في مؤسساتنا العلمية بصورة خاصة وفي مجتمعنا العربي بصورة عامة . فاللغة العلمية شأنها شأن اللغة الأدبية ، لا تحيا إلا بالاستعمال والتداول ولا تحيا ببقائها في بطون الكتب أو في مجلدات من المصطلحات العلمية تتجمع على رفوف مكتبات المجامع اللغويّة والجامعات . . . وسوف لا أتطرق في هذا البحث إلى المشكلات والصعوبات المادية التي واجهها المجمع في عمله هذا من حيث مشكلة اختيار المترجمين من ذوي الكفاءات العلمية واللغويّة العالية ، أو فيما يتعلق بسير الترجمة والانضباط الزمني أو في عملية الطباعة وغير ذلك من الصعوبات المادية ، ولكنني سأقف عند بعض القضايا التي طرحتها تجربتنا المتواضعة في مجمع اللغة العربية الأردني . لاسيما فيما يتعلق بالدقة في الترجمة وبموضوع التنسيق في الأسلوب والحرص على وحدة الكتاب المترجم والوقوف أيضا عند أهم هذه القضايا وهي قضية الرموز والمعادلات

والمصطلحات العلمية .

حرص المجمع على الدقة في الترجمة ، فاشترط على المترجمين ، أن تتوافر في ترجماتهم الأمانة العلمية والدقة المتناهية . فكان المجمع مضطرا في بعض الأحيان إلى رفض بعض الترجمات التي لا ترقى إلى المستوى العلمي المطلوب ، ويكلف خبراء آخرين إعادة ترجمتها من جديد .وقد يكتشف أيضا وجود أمور غير كاملة بعد دفع الكتاب إلى المطبعة فيضطر المجمع إلى إصلاحها . . . وإن الدقة في الترجمة تفرض ولا شك أن تكون اللغة صحيحة التركيب واضحة الأسلوب ، وأن تؤدي الحقيقة العلمية بشكل واضح ومفهوم ، وأن تستعمل مصطلحات علمية موحدة . . . فكان يشترط على من يعهد إليهم بالمشاركة في ترجمة كتاب واحد ، أن ينسقوا فيما بينهم وأن يوحدوا مصطلحاتهم ومع ذلك فكان يضطر في بعض الأحوال إلى ندب أحد الأساتذة المتخصصين بالمادة لصياغة الكتاب من جديد حرصا على وحدة الكتاب ، أسلوبا ومنهجا . . . .

وإن أهم قضية تواجهنا في عملية تعريب الكتب العلمية الجامعية ، تتمثل بموضوع تقرير المصطلح الواحد والشكل الواحد والرمز الواحد حتى يصل هذا الشكل أو المصطلح أو الرمز بصورة واحدة إلى جميع الطلاب وفي جميع «العلوم» ومن جميع «الأساتذة» وفي جميع الكتب .

اشترط المجمع أن ينتهي كل كتاب بثبت بالمصطلحات العلمية التي استخدمت فيه ويوضع مقابلاتها باللغة العربية ، وقد لاحظ أن هذه المصطلحات كان كثير منها جديدا أو مغايرا لبعض ما

هو وارد في المجموعات التي أصدرتها المجامع اللغوية والمعاجم المختصة ولذا قام المجمع بدراستها واقرارها ، وفق منهجه في العمل ، لكي يلتزم بها المترجمون في الترجمات التالية تجنبا لنشوء أكثر من لغة علمية واحدة في مشروع واحد ، وتوطئة لدراستها في اتحاد المجامع اللغويّة ومؤتمرات التعريب ، لا سيما وأن مؤتمر التعريب الخامس ، ستعقده المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في مجمع اللغة العربية الأردني سنة ١٩٨٤ كما هو مقرر . . . . فالمصطلحات والرموز العلمية يتداخل بعضها في بعض ولا سيما في الرياضيات والفيزياء والجيولوجيا والأحياء . فان توحيد المصطلحات المشتركة مثلا بين الفيزياء والرياضيات تصبح ضرورة بالغة حتى تكون لغة الرياضيات هي نفسها في الفيزياء والألكترونيات .

وإن طرح هذه القضايا العلمية ، من خلال هذه التجربة المتواضعة يقودنا إلى الوقوف أمام حقيقة الترابط العضوي الوثيق بين العلوم الطبيعية ، باعتبارها جميعا هي جوانب مختلفة لتفسير طبيعة الوجود . وهكذا فلا يمكن تعريب الفيزياء بانفصال عن تعريب الرياضيات وتعريب الكيمياء بانفصال عن تعريب الفيزياء وبالتالي فإن المؤهلين لمناقشة مصطلحات ورموز ورسوم وأشكال الكيمياء ليسوا فقط الكيميائيين ، بل هم أيضا الرياضيون والفيزيائيون والجيولوجيون . . . . الخ .

وهكذا فإننا إذا ما تعدينا حدود الترجمة إلى التعريب بمعناه الواسع نواجه مشكلات أساسية بعضهايتعلق بالمصطلحات العلمية والرموز وبعضها يتعلق بوسائل النهوض بمتن اللغة في مجال الاشتقاق

* عقد مؤتمر التعريب الخامس في رحاب مجمع اللغة العربية الأردني في ١٩٨٥/٩/٢١ ولمدة اسبوع بحضور ممثلين عن معظم أقطار العالم العربي .

والقياس والنحت والوضع والتعريب . . . وقد كان لمجمعنا الشيخ بالقاهرة جهود خيرة يسجلها تاريخ نهضة هذه الأمة بالاعتزاز والفخر، فقد يسر المجمع مثلا من أمر الاشتقاق وفكّ بعض قيوده . . . وجعله أداة طيعة في أيدي الأدباء والعلماء . . . . وأغنى علماؤه الأفذاذ لغتنا بأبحاث لغوية أصيلة تحتل مكان الصدارة في الاحتجاج بالحديث ، وذلك سعيا لجعل هذه اللغة الشريفة ، وافية بمتطلبات العلوم والفنون في تقدمها وملاءمتها لحاجات الحياة في العصر الحاضر .

وإذا كان مجمع اللغة العربية الأردني قد استطاع وضع مشروع لتوحيد المصطلحات العلمية التي استعملت في الكتب العلمية المترجمة مستعينا بجهود مجامعنا اللغوية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وبما أنتجته مؤتمرات التعريب ، فضلا عما يجتهده ، فقد رأى فيما يتعلق بالرموز العلمية أن يؤلف لجنة خاصة من خيرة العلماء في الرياضيات والفيزياء والكيمياء لوضع نظام كامل ومتكامل لتعريب الرموز العلمية في هذه العلوم . وقد بدأت هذه اللجنة عملها ، وحددت فلسفتها التي تصدر عنها ، وهذه الفلسفة تتلخص بأن لا يلجأ دارس العلوم المختلفة باللغة العربية إلى استخدام حروف أجنبية فقدت ايحاءاتها بالنسبة له ، كما أنها تحرص على أن لا تطلب من القارىء العربي تعلم حروف جديدة . ويسرني أن أعلن أنها قطعت شوطا بعيدا في هذا المضمار ، وأن هذا النظام المعرّب للرموز سيكون ، على حدّ تعبير الخبراء ، أفضل من النظام الحالي الذي يستعمل الحروف اللاتينية ، من حيث شموله ودقته وقابليته للنمو والتطور .

أصداء ونتائج :

جعل مجمع اللغة العربية الأردني من مشروعه في تعريب التعليم العلمي الجامعي ، أحد الحقول المهمة في مجالات عمله . فأولاه منذ البداية اهتماما كبيرا . وقد كان لإنجازاته المتواضعة في هذه الفترة القصيرة من عمره ، أصداء ونتائج طيبة . فإلى جانب الدراسة التقويمية التي قام بها المجمع للمرحلة الاولى من مشروع التعريب ، ظهرت دراسات قيمة قام بها عدد من الباحثين ومنها دراسة ميدانية قام بها أحد الباحثين الشباب من قسم الفيزياء في الجامعة الأردنية وقدّمها إلى المؤتمر الثاني للفيزيائيين والرياضيين العرب الذي عقد في عمان في أيار سنة ١٩٨١ ، تحت عنوان : «تعريب التعليم العلمي الجامعي في الأردن» . وفي حديثه عن كتاب الجزء الأول من كتاب الفيزياء الذي ترجمه المجمع ، يستعرض أهم ركائز المنهجية التي اتبعها المترجم بقوله : «إننا بذلنا جهدا كبيرا في انتقاء وابتداع المصطلحات العلمية اللازمة ، وحققنا في أصل كثير منها ، كما حاولنا إرساء الأسس التنظيرية لعملية التعريب برمتها . مستهلين هذه العملية بوضع إطار شامل في غاية المرونة لتعريب رموز وحدات النظام الدولي . على أن يكون الهدف الرئيسي في هذه المرحلة هو إرساء الأساس الذي تقوم عليه عملية التعريب ، تراكم عليه شيئا فشيئا ، بحيث تستطيع أن تستعمل فصلا منطقيا حادا تبتر كل فائض دخيل ، وثمة هدف آخر لايقل أهمية ، يكمن في إحياء تراثنا العلمي كما يجب أن يكون الإحياء : بمعنى أن ننطلق من الحاضر ، وأن

نستخدم أفضل ما في بطون الكتب ـ كتب التراث ـ في بحوثنا المعاصرة ، وهذه أفكار بحاجة إلى صقل وتهذيب . والقصد من ذلك ألا ندرس التراث العلمي من حيث هو تاريخ علوم فقط . . . »

ولا شك أن هذه الإشارات ترسم الملامح العامة لمنهجية المجمع في الترجمة والتعريب. وذكر الباحث في دراسته هذه، تحت عنوان «الإبداعات التي قدمتها التجربة» ، وقال : «ولكن هذه التجربة ـ تجربة مجمع اللغة العربية الأردني ـ على الرغم من أنها واجهت الكثير من الصعوبات والمشكلات ، إلا أنها قدمت لنا بعض الإبداعات التي برزت في كتاب الفيزياء . . . ومن الأمور التي عني بهاالمشرف، الترجمة الأمينة الكاملة للكتاب، بمافيه ظلاله المتفاوتة وإيماءاته المتباينة حيث أورد بالبنط الأسود ما كان أصلا بالبنط المائل ، وأبقى تبويب الكتاب وترتيبه على حالهما بقدر الإمكان ، كما حافظ على زج الأسلوب ما وسعه ذلك ، فلم يحجم عن إضافة كلمة هنا وكلمة هناك ، توخيا للبيان والتبيين . كما قام بترقيم الأشكال الواردة في ختام كل باب ، بخلاف الأصل الذي تركها عائمة هائمةبدون أرقام . وصحّح حفنة من الأخطاء البسيطة الواردة أصلا في بعض الوحدات والرموز ، كما استخدم إطارا عربيا شاملا لرموز وحدات النظام الدولي الذي أخذه بتصرف طفيف من المشروع الذي نشره المجمع عام ١٩٧٩م ، كما قام بتذييل المتن بعدد من الحواشي والهوامش أكبر بكثير مما هو مألوف في مثل هذا العمل ، وترد هذه في ثلاثة أصناف :

الأول : علمي بحت يفسر ما استغلق من أمور المَتْن أو يعلق على

مدلول رموز علمية غير مألوفة ، ويربط المادة بمايجري الآن من بحوث وفرضيات .

الثاني : تراثي ، بمعنى أنه يعود إلى الجذور والأصول محللا وشارحا .

الثالث : لغوي بحت ، يلقي الأضواء على أصل أحد المصطلحات أو يحيي كلمة علمية جميلة من تراثنا العلمي . . .

وكان لهذه الدراسة وغيرها من الدراسات العلمية البناءة في تقويم أعمال المجمع ، دور كبير في مسيرة المجمع العلمية وتلمسه الوسائل التي تعينه على تحقيق أهدافه .

وقبل ظهور كتاب الفيزياء ، هذا، كان المجمع قد اشترك بمنشوراته في معرض الكتاب العلمي الذي أقامته بالكويت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي في الفترة الواقعة من ٤ ـ ١٣ تشرين الثاني سنة ١٩٨١ ، وبتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣ تلقى مجمع اللغة العربية الأردني رسالة من مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، تفيد أن كتاب «البيولوجيا» وهو أحد الكتب العلمية التي قام المجمع بترجمتها ونشرها ضمن مشروعه الرامي إلى تعريب التعليم العلمي الجامعي ، قد فاز بجائزة معرض الكتاب العربي السابع لأحسن كتاب مترجم في العلوم ، وذلك بناء على توصية لجان التقويم .

وقد حرص المجمع على دعم خطته في ترجمة الكتب العلمية ، بإقامة الندوات العلمية المتخصصة والمشاركة في المؤتمرات العلمية من أجل تعريب التعليم الجامعي .

وفي برنامج المؤتمر العلمي العـربي الثاني للفيـزياء والرياضيات ، عقدت ندوة حول تعريب العلوم في الجامعات العربية يوم الخميس بتاريخ ١٩٨٢/٥/٧ . وقد أكد المشاركون في الندوة أن قضية التعريب لا تنحصر في كونها قضية لغوية ، وإنما تتعدى ذلك لتشكل قضية سياسية ، تفرض تحديا قويا على الأمة العربية ، وخيارا بين البقـاء في حالة من التبعية أو النهوض بالحضارة العلمية العربية من جديد ، لتتمكن الأمة العربية من مجابهة تحديات العصر العلمية . ودعا المشاركون إلى إقامةمؤسسة علمية عربية تحشد فيها خبرة العلماء والمتخصصين العرب ، وتكون مهمتها نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية لتشكل القاعدة الأساسية لبناء نهضة مقاربة علمية عربية عن طريق الترجمة والتأليف والإبداع العلمي .

ولذا حرص المجمع على أن يقوم بإهداء نسخة من كل كتاب يترجمه إلى جميع وزارات التعليم العالي والجامعات والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، وكان لهذا العمل المتواضع أصداء طيبة في الخارج والداخل .

واستمر مجمع اللغة العربية الأردني في خطته وفي عمله الدؤوب يمد الخزانة العربية بالكتب العلمية المترجمة إلى العربية ، ويستثير همة أبناء هذه الأمة من علمائها الذين يعتزون بتراث أمتهم ولغتهم العربية ، لغة العروبة والاسلام . وبتاريخ ١٩٨٣/٨/١٢ ، علقت احدى الصحف المحلية على كتاب «مقدمة للبصريات الكلاسيكية والحديثة» فقالت :

«ضمن مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي، ومن منشورات مجمع اللغة العربية ، صدر مؤخرا كتاب هام في الفيزياء وهو «مقدمة للبصريات الكلاسيكية الحديثة» . . . وبعد أن يستعرض الكاتب قيمة الكتاب العلمية والأغراض التي يحققها يقول : «ولعل أهم ما يميز الكتاب، عدا عن قيمته العلمية الهامة، ذلك الجهد الواضح جدا الذي بذل في ترجمته وإخراجه ، ويبرز هذا من اللغة العلمية الدقيقة الملاحظة في الكتاب ، ومن سلاسة العبارات والحرص على استعمال المصطلحات العربية المناسبة ، وعلى تشكيل الكلمات ، هذا إضافة لتلك الأشكال والصور الواضحة والمتقنة . . . إن كتابا من هذا النوع ، يعد بحق من أفضل ما صدر عن مجمع اللغة العربية الأردني ، ومن أفضل ما ترجم إلى اللغة العربية من كتب علمية ، ولا يساويه في ذلك إلا القليل جدا من الكتب سواء أكان ذلك على مستوى العالم العربي أم على مستوى منشورات مجمع اللغة العربية الأردني . . . »[١]

لا أريد في هذا المقال أن أمحص هذه الأحكام ، وليس من هدفي أيضا أن أستقصي ما كتب ونشر في تقييم منشورات مجمع اللغة العربية ، ولكنني أود أن أشير إلى أن هذه الجهود المتواضعة قد أثمرت ، وكان لها أصداء طيبة ، وربما كان من المفيد أن نقف عند بعض المؤشرات ذات الدلالة العلمية والسياسية التي بدأنا نلمسها في جامعاتنا العربية ، وعلى الخصوص في الجامعات الأردنية . ففي

(١) انظر: جريدة الرأي (الأردنية في عددها رقم (٤٨١٢) الصادر بتاريخ ١٩٨٣/٨/١٢ .... تحت زاوية «المكتبة العلمية» .

مقال نشره أحد الأساتذة في دائرة الفيزياء بجامعة اليرموك ، في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ١٩٨٣/٩/٩ يقول :

«ومن خلال تدريسي لمادة الكهرومغناطيسية في دائرة الفيزياء باللغة العربية في الفصل الماضي ـ الفصل الصيفي ـ والتي كنت قد درستها باللغة الانجليزية في فصول سابقة لمست الفرق الشاسع في تحصيل الطلبة العلمي . فقد ارتفعت نسبة النجاح في هذه المادة من حوالي ٥٠٪ عند تدريسها بالانجليزية الى حوالي ٨٧ ٪ عند تدريسها باللغة العربية . وأصبحت المادة مرغوبة جدا لدى الكثير من الطلبة بعد أن كانت شبحا يخشون الاقتراب منه . وقد اتضح هذا من كتابات الطلبة في نماذج تقويم المساق التي وزعت عليهم في الحالتين ، والتي توزع بانتظام على الطلبة في دائرة الفيزياء ، وقد تكونت ملاحظات مماثلة لدى زملائي الآخرين في دائرة الفيزياء ، عند مرورهم بتجربة تدريس بعض مواد السنة الأولى للغتين العربية والإنجليزية» .

وفي هذا المقال ذاته ، يقول الكاتب :«وادراكاً من دائرة الفيزياء في جامعة اليرموك لأهمية استخدام ، اللغة المناسبة والمفهومة لدى الطلبة في التدريس ، فقد بدأت الدائرة بتدريس مواد السنة الأولى باللغة العربية ، ضمن خطة موضوعة لتعريب تدريس الفيزياء في جامعة اليرموك . . »

ومنذ أيام قلائل ، تقدم ثمانون من أعضاء هيئة التدريس في الدوائر العلمية في جامعةاليرموك ، بمذكرة إلى المسؤولين في الجامعات الأردنية وإلى رئيس مجمع اللغة العربية الأردني يعربون فيها

عن إيمانهم بالتعريب وعزمهم على التدريس باللغة العربية ، ويقدمون من خلالها مشروع خطة التعريب التعليم في جميع مجالاته . ومن الجدير بالذكر أن هذه الوثيقةتحمل تواقيع ثمانين عضو هيئة تدريس من أصل مئة وعشرين من أعضاء هيئة التدريس الأردنيين . وجميعهم في الذروة من حيث تخصصاتهم العلمية . وكان من بينهم جميع رؤساء الدوائر العلمية ، وعميدان أيضا من أصل ثلاثة عمداء .

ولا شك أن هذه الأصداء الخيرة ، كانت نتيجة وعي عميق بين الأساتذة والطلبة الجامعيين. وهذا أستاذ آخر في الرياضيات في الجامعة ذاتها - وجميع هؤلاء الأساتذة ، هم في الذروة في تخصصاتهم العلمية وقد تخرجوا جميعا من أحسن الجامعات الأجنبية - يقول :

أشارت نتائج استبيان شارك فيه خمسمائة طالب في دائرة الفيزياء في جامعة اليرموك الى أن ٩٥,٣٪ من الطلبة يتفقون على ضرورة أن يكون التدريس باللغة العربية لتسهيل نقل الأفكار العلمية ، كما أشارت الى أن ٨٩,٥٪ منهم يؤيدون عملية التعريب . . .

وتتوالى الأبحاث والمقالات في هذا المجال لتؤكد جميعها بأن التدريس الجامعي بأية لغة غير اللغة العربية ، من العوامل الأساسية في ضعفنا العلمي والحضاري . . . وأن العربية قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية وأن التعريب مطلب حضاري ، يحفظ للأمة تاريخها وشخصيتها ويضعها على قدم المساواة مع الأمم المتحضرة للمشاركة الفعالة الأصيلة في بناء الحضارة الإنسانية ، لا سيما أن جميع الدلائل تشير إلى أن الأنسان يخطو نحو فجر حضارة عالمية جديدة منطلقا من هذا العصر الذي تتفجر فيه المعارف العلمية وتتطور بسرعة

لا تجدي معها الوسائل التقليدية ولا البقاء في التبعية الفكرية والعلمية خارج نطاق التراث والجوهر ، وأن لغتنا العربية هي التي تعطي لهذه الأمة هويتها وتمدها بأسباب الحياة .

وخلاصة القول ، فإن مجمع اللغة العربية الأردني يمضي قدما ، باذن الله ، في جهوده المتواضعة في خدمة اللغة العربية ، يحدوه الإيمان ، بأن الوقت قد حان لكي تصبح اللغة العربية لغة التعليم الجامعي والبحث العلمي في جميع مستوياته ومجالاته ، ولكي تتحول تجربة تعريب العلوم في الجامعات العربيةمن مجرد كلام ينشر في الكتب إلى ممارسات عملية في الجامعات ومؤسسات البحث العلمي ، تنعكس آثارها في جميع مرافق الحياة .

وإن الفلسفة التي ننزع عنها في المجمع الأردني ، تتمثل بإيماننا بوحدة أمتنا ووحدة لغتها ، ونعتبر أنفسنا لجنة من مجمع لغوي عربي واحد ، وأن العمل الذي نقوم به ليس سوى رافد من روافد هذا النهر الكبير الذي نرجو أن يسقي الوطن العربي ويمده بالخصوبة والخير والبركة وإنه لمن طبائع الأشياء أن يكون للغة الواحدة مجمع واحد ، ولا نعلم أن لنا لغة سوى اللغة الفصيحة لغة القرآن الكريم ، لغة العروبة والإسلام .

وأخيرا فالتحية العاطرة أزجيها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، حصن العربية ورمز مجدها الشامخ ، في عيده الخمسيني من عمره المديد ، والاحترام العميق إلى رئيسناالجليل الأستاذ ابراهيم مدكور حفظه الله وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها ، الذائدين

عن حياضها والعاملين في سبيل رفعة شأنها ، جزاهم الله عن العروبة والإسلام خير الجزاء .

تأهيل أعضاء هيئة التدريس بالعربية

قرّر مجلس اتحاد الجامعات العربية ، أن يكون الموضوع الرئيسي للمؤتمر العام الرابع للاتحاد هو «تعريب التعليم الجامعي» ، فكان هذا القرار معبرا عن النتائج والتوصيات التي انتهت إليها المؤتمرات والندوات العربية حول تعريب التعليم الجامعي .

منذ حوالي ثمانية عشر عاما ، وعلى وجه التحقيق في المدة الواقعة بين الثالث إلى العاشر من شهر أيار (مايو) سنة ١٩٦١ ، اجتمع ممثلو الدول العربية في حلقة لدراسة مشكلات التعليم الجامعي في مدينة بنغازي ، وكان لي شرف المشاركة فيها، وكنا إذ ذاك ، في الأردن ، نكافح من أجل تأسيس جامعة وطنية في بلدنا .

وقد صدر عن الحلقة توجيهات وتوصيات مهمة ، نتيجة دراسات موضوعية ، وبروح الانتماء إلى أمة واحدة ، تكون اللغة العربية الفصيحة مقوّما أساسيا من مقومات وجودها . وأود هنا أن أقف عند بعض الإشارات فيما يتعلق بالتوصيات حول التعريب الجامعي ، فالإشارة الأولى تتمثل بالمبدأ ، إذ قررت الحلقة آنذاك أن التعريب وتدريس العلوم باللغة العربية ضرورة علمية ، علاوة على أنه ضرورة قومية . . . إلى أن تقول : «هذا إلى أن الفكر الأصيل لا يخلق في الأمة إلا إذا كانت تعلّم بلغتها ، وتكتب وتؤلف بلغتها أيضا . . . .»(١) .

---

(١) انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية , الحلقتان الأولى والثانية ص ٥٣ ـ ٥٨

والاشارة الثانية التي أود أن أقف عندها أيضا ، هي اتفاق الحلقة بالإجماع على مبدأ تعريب التعليم الجامعي والعالي ، ثم خلصت من ذلك إلى توصيات تتناول وسائل التنفيذ . وها أنذا أشير إلى توصيتين من التوصيات الخمس ، فقد نصَّت التوصية الأولى على ما يلي :

«أنْ تسرع الجامعات العربية بتعريب التعليم في كلياتها المختلفة . . . .» وجاء في التوصية الخامسة ما يلي :

«العمل على توفير أمهات المراجع باللغة العربية ، وكذلك الدوريات العلمية ، وإصدار المجلات الخاصة لنشر مختصرات عربية لكل البحوث الأجنبية المهمة»(١) وتوالت المؤتمرات والندوات العلمية لدراسة مختلف مشكلات التعليم الجامعي والعالي وكان الرأي دائما متفقا على تعريب التعليم الجامعي والعالي في جميع كلياته .

ومنذ ذلك التاريخ أيضا تسارعت حركة تأسيس الجامعات في الوطن العربي ، ففي تلك الحلقة التي عقدت سنة ١٩٦١ ، لم يكن عدد الجامعات العربية المشتركة فيها يزيد عن عدد أصابع اليد الواحدة إلاّ قليلا . وفي الحلقة الثانية التي عقدت ببيروت سنة ١٩٦٤ ، شاركت سبعَ عشرة جامعة عربية من مختلف أرجاء الوطن العربي . وهكذا أخذ التعليم الجامعي يحتل مكانة حية في البناء الثقافي والاقتصادي في البلاد العربية ، في دور تحرّرها من نير

---

(١) انظر : مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية ، الحلقتان الاولى والثانية ص٥٣ ـ ٥٨ .

الاستعمار المباشر . فازداد عدد الجامعات العربية . وقد بلغ أربعين جامعة ، كما ورد في دليل اتحاد الجامعات العربية المنشور سنة ١٩٧٦ . . .

إن وطننا العربي بحاجة شديدة إلى أعداد اخرى كثيرة من الجامعات والمعاهد ومؤسسات البحث العلمي، ولكنني أود أن أتساءل فيما إذا كانت المستويات العلمية والانجازات المبدعة قد سايرت هذه الحركة المباركة من الانتشار الأفقي في التعليم الجامعي والعالي في وطننا العربي ، وهو يخوض كفاحا مريرا للتغلب على مخلفات الاستعمار ، ومراكز نفوذه ، ومصالحه في مجال الثقافة والاجتماع ، وكذلك في مجال الاقتصاد والسياسة !

لا شك أن المستويات العلمية العالية والإنجازات المبدعة التي يجب أن يحققها التعليم الجامعي في الوطن العربي ما زالت بعيدة عن الواقع ، وأن من أهم أسباب هذه النتائج ، هو التردد والتلكؤ حتى الوقت الحاضر في تعريب التعليم العالي والجامعي .

فإذا نظرنا إلى جوهر هذه القضية الحيوية ، التي تتصل اتصالا عضويا بكيان أمتنا ونهضتها العلمية الأصيلة ، وجدنا أنها تتوقف على عاملين أساسيين : العامل الأول هو سياسة الدولة وإدراكها أهمية التعريب في بنيانها السياسي والاقتصادي والعلمي ، ولذا فإن الدولة مدعوّة إلى اتخاذ قرار في أعلى مؤسساتها التشريعية ، يجسّد ارادتها السياسية في تعريب التعليم الجامعي والعالي ، في جميع ميادينه ومستوياته ، وأن تكون العربية الفصيحة لغة العلم والتقنيات والحضارة الحديثة .

أما العامل الثاني ، فهو عضو هيئة التدريس ، بل الإنسان المعلم ، الركيزة الأساسية في بناء الأمة . فقد أصبح من البَدَهيّات القول أن التقدم يعتمد بصورة كبيرة على مميزات وقابليات أعضاء هيئة التدريس ، سواء أكانت مميزاتهم الانسانية أم التربوية والعلمية أم التقنية .

ونحن إذا اعتبرنا التربية حياة ونمواً ، تمتد بالإنسان من المهد إلى اللحد ، وتهدف دائما إلى تطوير الشخصية الإنسانية ، وتسعى إلى التقدم الروحي والخلقي والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع ، نجد الإنسان المعلّم محور هذه العملية . وأن من عوامل هذا التقدم في مجتمعنا العربي استخدام اللغة القومية للتعبير عن جميع حاجاتنا الحضارية ، وعن حصيلة ما وصل إليه الإنسان في جميع مجالات العلوم والتقنيات الحديثة . وسنقتصر في بحثنا هذا على جانب مهم واحد من جوانب هذه القضية الخطيرة ، وهذا الجانب يتمثل بكيفية تأهيل عضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغة العربية في التدريس والتأليف والبحث .

ربما كان من المفيد أن ننطلق من واقعنا في الجامعات العربية ، لكي نستشرف المستقبل ، مستفيدين من تجاربنا وخبراتنا ، وكذلك من تجارب الأمم الأخرى التي سبقتنا في هذا المضمار .

فإذا أخذنا إحصائية ١٩٧٦ ، كما وردت في دليل اتحاد الجامعات العربية ، وجدنا أن ثّمة أربعين جامعة عربية ، تفرّدت من بينها الجامعات السورية ، وعلى رأسها جامعة دمشق منذ أكثر من خمسين عاما ، بتدريس جميع العلوم والفنون في مختلف الكليات

الجامعية باللغة العربية ، وأن العلوم الإنسانية قد سجّلت نجاحا كبيرا في التعريب في كثير من جامعاتنا ، وإن كان الأمر لا يخلو من نكسات مؤسفة ، لا يمكن أن نجد لها مبررا في مجال العلم والمنطق والمصلحة الوطنية . أما من حيث اللغة العربية . فإخالنا قد اتفقنا منذ زمن بعيد على أن القضية لا تتعلق باللغة العربية من حيث هي لغة ، ولكنها تتعلق بعوامل أخرى غريبة عن مصلحة الأمة ، كما هي غريبة عن لغتها وتراثها .

إن نظرة شاملة للكفايات العلمية العالية التي يتمتع بها كثير من علمائنا من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات العربية ، تشير إلى تعدد المصادر الثقافية والعلمية التي تشارك في التكوين العلمي والثقافي لكثير من هؤلاء العلماء ، فثمة أعضاء هيئة تدريس أنهوا دراساتهم في جامعات أمريكية وروسية وبريطانية وفرنسية والمانية وايطالية ، فضلا عن الجامعات الاخرى من اسبانيّة ورومانيّة وبولونيّة ويوغسلافيّة وغيرها . .

فإذا كانت الفترة الاستعمارية حتى الحرب العالمية الثانية وبعيدها بقليل ، قد جعلت مشرق البلاد العربية منطقة مغلقة على اللغة الانجليزية ، ومغربها منطقة مغلقة على اللغة الفرنسية ، مع انعكاس هذا الوضع على لغة التعليم الجامعي وغيره ، فإن هذا الأمر لم يعد قائما ، بل أصبح كثيرا ما يدعو للسطحية والسخرية . فكيف نطلب من خريج هذه الجامعات المشهورة في ألمانيا أو روسيا او غيرها أن يدرّس باللغة الانجليزية ، مثلا ، معتمدا على ما تبقى عنده من تعلّمه في المرحلة الثانوية . . في حين يفترض فيه العجز سلفا في

التعبير بلغته القومية التي رضعها مع لبان أمه ، وتعلّمها وتعلّم بها في كثير من مراحل التدريس . . . ؟

بل قد يصل الأمر إلى حال من السخرية عجيبة . . فكيف يمكن لهذا المدرس الجامعي الذي نال جميع شهاداته باللغة البولونية أو الروسية أو الألمانية ، مثلا ، أن يدرّس بالإنجليزية !!! ولكي يعيّن للتدريس بكلية تدرّس باللغة الانجليزية ، توفده هذه الجامعة أو تلك إلى بلد ناطق بالإنجليزية لكي يعود ليدرس باللغة الإنجليزية !. في حين تنكر عليه حقّ التعبير بلغته القومية التي نشأ وترعرع في أحضانها!!

نريد من هذه الإشارة العابرة أن نخلص إلى القول أن مصادرنا في تكوين أعضاء هيئة التدريس في جامعاتنا باتت متعددة ومتنوعة ، وأن الحلّ الوحيد الذي لا ثاني له في مواجهة هذا الوضع هو جعل «اللغة العربية» لغة البحث والتدريس في جميع هذه الجامعات ، وبين جميع هؤلاء العلماء من أعضاء هيئة التدريس .

فإذا سلّمنا بالقيمة التي يشغلها الإنسان من حيث هو محور كل عملية تربوية ، فإن من أهم العوامل التي تُعيق الانطلاق في عملية «التعريب الجامعي» هي هذه الحرب النفسية التي تشنّها وسائل الإعلام المختلفة من الخارج والداخل ، تدعمها سياسات معينة تكون نتيجتها إيحاء عدم الثقة بالنفس ، وتكون العقدة أمام تفوق الأجنبي ، فتنعكس هذه القيم على ضعف عضو هيئة التدريس باللغة العربية ، أو كسله ، وهو المختص بمادته العلمية ، عن بذل الجهد في التعريب ، واتصاله بالجذور التاريخيّة لهذه العلوم الحديثة ، من خلال التعرّف على نصوص هذا التراث العلمي . وربما دفعته هذه الحال من عدم

الثقة بالنفس إلى استعلائه على مواطنيه ، بهجره لغتهم إلى التحذلق بكلمات وتعابير أجنبية .

إن القناعة بضرورة التعريب ، ووجود الدوافع الكافية بين أعضاء هيئة التدريس في التعليم العالي والجامعي ، من أجل بذل الجهد اللازم للتعريب ، شرطان أساسيّان لكي نضمن نجاح أي برنامج يهدف إلى جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع مجالات العلوم . ولذا فإن عقد المؤتمرات ، وإقامة الندوات ، وإثارة الحوار حول قضايا التعريب ومشكلاته ووسائله ، في جميع الأقطار العربية ، بل في جميع المؤسسات العلمية والجامعية ، يساعد كثيرا في التغلب على هذه الرواسب النفسية .

وإن معظم هذه الحرب النفسية يَتّجه إلى طبيعة المستوى العلمي ، وإطلاق التحذيرات من ضعفه ، والانحدار في هاوية التخلف إذا ما انتقل عضو هيئة التدريس إلى التعليم باللغة العربية .

إن عضو هيئة التدريس الذي يستوعب مادة تدريسه ، ويحقق مستوى علميا ممتازا في تدريسه الجامعي بلغة أجنبية ، سيرتفع مستوى تدريسه عندما يعبِّر باللغة العربية ، لغته القومية . والسبب في ذلك انه بحاجة أولا إلى استيعاب المضمون في مصادره الأجنبية ، وفهمه وهضمه ، ثم التعبير عنه باللغة العربية .

فكيف يمكن أن يهبط المستوى إذا كان الشخص نفسه ينتقل من التدريس بلغة أجنبية إلى التدريس بلغته العربية ؟ فهو في مثل هذه الحال يرى أن من واجبه أن يستوعب المصطلحات والمفاهيم التي وردت عند المؤلف ، وأن يستبدل بها صيغاً بلغته العربية ، وفي ذلك

ما فيه من عملية ذهنية نشطة مبدعة ، في حين أن عضو هيئة التدريس الذي يدرّس بلغة أجنبية ، قد تجذبه المادة الجاهزة ، ويميل به الكسل إلى تكرارها دون أن يتفهم دقائقها تفهما عميقا . ونحن إذ نتحدث في هذا الباب عن «تعريب التعليم الجامعي» فإننا نعني به العمق والأصالة ، وننأى به عن أن يكون مجرد ترجمة سريعة رديئة قد يقوم بها غير المؤهلين لممارستها .

ويطيب لي في هذا الصدد أن استشهد بتجربة خاصة في العلوم الهندسية خاضها الأستاذ الدكتور علي محمد كامل ، وسردها في حديثه عن «تعريب العلوم الهندسية في جامعة عين شمس» ، الذي ألقاه في مؤتمر تعريب التعليم الجامعي المنعقد في بغداد من الرابع الى السابع من شهر آذار ١٩٧٨ . والاستاذ ـ حيّاه الله ـ كان قد حصل على الدكتوراه في الهندسة من انجلترا ، يقول :

«مضى عليّ عقد من الزمان وأنا أزاول التدريس بالخليط العربي الانجليزي ، قبل أن أستجمع عزيمتي ـ وقد أصبحت أستاذ المادة التي أدرّسها ، ورئيس القسم الذي أعمل به ، وهو قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس في القاهرة ـ واستندت إلى نصّ قانون الجامعة الذي يعتبر العربية لغة التدريس ، ما لم تكن هناك عقبات في سبيل ذلك . وخطوت نحو التعريب الكامل للمحاضرة ، فلم أجد العقبات التي كان بعض الناس يتصورّها .

فكثير من المصطلحات كان متداولا ، وإن احتاج بعضه إلى شيء من التهذيب ، وغيرها كانت تحتويه المعاجم ، وإن اعتراه بعض التشتيت ، أما الباقي فقد أفادتني خبرة التدريس لعشر سنوات خلت

في الوثوق من معناه إلى درجة تؤدي في يسر إلى اختيار اللفظ العربي الصالح لتأديته .

وكان عليّ أن أتعود اتباع الأسلوب العلمي الصارم في التعبير . . حتى أصل من أقرب الطرق وأوضحها إلى أذهان الدارسين ، فأنقل إليهم المفاهيم في ترتيب منطقي سلسل . »(١)

وثمة تجارب أخرى كثيرة في هذا الصدد . وإن أكبر مثال وأوضَحه تلك التجربة الجماعية الخصبة التي توفّرها لنا جامعة دمشق وأساتذتها منذ أكثر من خمسين عاما . فقد انطلق هؤلاء الأساتذة الأعلام ، بمجهوداتهم الفردية والجماعية أحيانا ، وفي إطار ظروف صعبة وإمكانيات مادية محدودة ، للتعريب في محاضراتهم الجامعية ، وفي ترجماتهم ومؤلفاتهم وبحوثهم . . . هذا مع العلم أنهم قد تكوّنوا في الأصل علميا في جامعات أجنبية .

لا أحد يزعم أن هؤلاء الرواد في النهضة الحديثة لم يواجهوا مشكلات حقيقية ، بل على النقيض من ذلك ، فقد واجهوا وما زالوا يواجهون تحدّيات صعبة في مجال إلقاء المحاضرات باللغة العربية . والمحاضر في حقيقة الأمر يقوم بنقل العلم من اللغة التي تَعَلَّمَهُ بها إلى اللغة العربية ، من خلال عملية ترجمة فكرية ، ومجهود علمي عقلي مبدع في اختيار الصِّيَغ ، وتركيب الجُمَل باللغة العربية ، لتأدية تلك المعارف والمفاهيم ، وبالتالي للوقوع على المصطلحات العلمية .

---

(١) تجربة في العلوم الهندسية ، الدكتور علي محمد كامل ، ص٣ ـ ٤ .

لا شك أن ممارسة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية، هي الطريق الوحيدة التي يضعنا على بداية الطريق في تنفيذ سياسة التعريب التي يجب أن تتبناها الدولة . فمن خلال هذه الممارسة يستطيع أعضاء هيئة التدريس ايجاد المصطلحات العلمية ، والوصول إلى الصِيَغ اللغوية العلمية ، مستفيدين من الإنجازات العظيمة التي بُذِلت في بعض الجامعات العربية وفي المجامع اللغوية العربية . وثمة تجربة متواضعة قام بها مجمع اللغة العربية الأردني : فقد قام ، ضمن امكانياته المادية المحدودة ، بمشروع ترجمة الكتب العلمية الأساسية التي تُدَرَّس في السنة الأولى في الجامعة الأردنية وجامعة اليرموك . فاختار أحدث الكتب العلمية التي تُدَرَّس في الجامعات الأجنبية في مجال الرياضيات والكيمياء والأحياء والجيولوجيا والفيزياء ، وشكّل لجانا من أعضاء هيئة التدريس المتخصصين الذين يقومون بالتدريس الجامعي في هاتين الجامعتين ، وجميعهم من الأساتذة النابهين الذين تخصصوا في الجامعات الأجنبية . وخلال بضعة أشهر أنجزت الترجمة ، ودفعت معظم المشاريع إلى الطباعة . وقد استفاد هؤلاء الأخوة من جميع الجهود الخيّرة التي بُذلت في الجامعات والمجامع اللغوية العربية ، ومن المؤلفات والترجمات التي وُضِعت باللغة العربية . حدثني أحد هؤلاء المتخصصين النابهين ، وقد أتّم جميع دراساته الجامعية في الفيزياء في انجلترا ، أنه وقف أمام بعض المصطلحات ، ولم يكن أمامه الا أن يأخذ اللفظة الأعجمية بأصواتها الناشزة كما هي ، أو أن يأخذ ترجمة التعبير الى اللغة العربية . ثم قال : وفي أثناء مطالعاته لمقال

في هذا المجال في مجلة «المقتطف» ١٩٣٠ . . . كانت فرحته عظيمة حين وجد كاتب المقال يستعمل لفظة «حَشَكَ» للتعبير عن المدلول المطلوب ، فاستعملها هو . . . لقد حدثني بذلك للتندر ، لأن هذه اللفظة ، بمدلولها المحدَّد ، شائعة وذائعة في لغة العامة عندنا . . . وعلى كلّ فهي كلمة معجمية فصيحة .

وتجربة مجمعنا تجربة متواضعة ، نرجو أن تكون بداية طريق للنجاح في تعريب التعليم الجامعي ، وبالتالي جعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث والتأليف دون تأخير ودون تردد .

لقد أوردتُ هذه الأمثلة السابقة لكي أخلُصَ إلى القول : إنّ عملية تعريب العلوم ، وجعل اللغة العربية لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي والتأليف المبدع ، إنما هي عملية تنمو وتتقدم عبر الممارسة الفعلية والتنسيق المستمر بين ذوي الاختصاص العلمي في جميع الجامعات العربية ، ومؤسسات البحوث العلمية ، والمجامع اللغوية العربية .

كلُّ ذلك يجري في تفاعل مستمرّ من أجل التهذيب والتشذيب والتصحيح ، من أجل مسايرة اللغة العربية لجميع متطلَّبات الحضارة الإنسانية الحديثة . فهي عملية حيَّة نامية ، وسرُّ حياتها يكمُن في الاستعمال والتطبيق والممارسة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، وتنمو بالتطبيق والممارسة ، ولا تحيا في بطون الكتب وفهارس المعجمات . وفي هذه العملية يمثّل عضو هيئة التدريس المكانة الأولى من حيث الفاعلية والتطبيق .

الثورة العلمية والتعريب

لقد أصبح من الحقائق الثابتة القول : إنَّ العلاقة بين التنمية والتربية والتعليم العالي والجامعي عميقة وجوهرية : وإن كل توسع في هذا المجال من التعليم يجب أن يَتمَّ في ضوء حاجات القوى العاملة ، وحاجات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر وفى المستقبل ، وذلك ضمن الأهداف الإنسانية الرفيعة التي تهدف إلى رُقيّ الفكر الإنساني والحضارة الإنسانية في جميع جوانبها .

وقد رأينا كثيرا من الدول الحديثة التي اجتازت مرحلة التخلُّف ، ودخلت مضمار الثورة العلمية ، كاليابان ، في أوائل القرن العشرين ، والصين الحديثة في النصف الثاني من القرن العشرين ، قد رفعت لواء العلم للتنمية وللمجتمع . ومن البَدهيات أن تدخل هاتان الأمتان وغيرهما من الأمم الحديثة مضمار هذه الثورة العلمية من خلال اللغات القومية . وما كان من الممكن مطلقا أن تصل اليابان إلى ما وصلت إليه من ذروة العلم والتقنيات الحديثة إلاّ من خلال لغتها اليابانية ، وكذلك القول في الصين ، وقد ورثت قرونا ثقيلة من التخلّف ، تراكمت على إرثها القديم من حضارة إنسانية عريقة في القدم .

وكانت هذه الأمم قد أعادت النظر في جميع أنظمتها الجامعية والتربوية ، ووضعت خططا بعيدة المدى وأ ىرى قصيرة المدى ، آخذة بعين الاعتبار ما تتطلبه التحوّلات الجذرية في الثورة العلمية ، سواء منها ما يتعلق بسيطرة الآلة والتسيير الذاتي ، أم ما يتعلق بالمكانة

الخاصة التي يحتلّها البحث العلمي ، من حيث هو عنصر أساسي في زيادة الإنتاجية . ولا شكّ أن هذا الاتجاه الجديد يحتّم على النظام التربوي أن يُعدَّ أنماطا جديدة من الاختصاصيين والفنيين ، وفي طليعة هؤلاء يأتي الاختصاصيون بالصناعات الإلكترونية ، والعلماء الباحثون في ميادين الكيمياء وعلم الحياة والذرّة بصورة خاصة ، وكذلك الفنيون الخبيرون بالوسائل الحديثة في الإدارة والتسيير والتنظيم بصورة عامة[1] .

وفي جميع الأحوال كانت اللغة القومية المنطلق الأساسي الذي تنطلق منه هذه الأمم جميعها في ثورتها العلمية . فما كان لشعار «العلم للتنمية وللمجتمع» أن يكون له معنى خارج اللغة القومية ، باعتبارها وسيلة للتعبير ، ومقوِّما من مقومات فكرها الإبداعي وهُويتها المميزة . ولذا رأينا التأهيل اللغوي لأعضاء هيئة التدريس وغيرهم من الباحثين والفنيين في مجال التخطيط يحتلّ مكانة خاصة في برامج الإعداد والتدريب المستمر .

وهكذا نستطيع القول : إن الثورة العلمية قد أدّت إلى تعميق مفهوم التربية المستمرة أو الدائمة في حياة الإنسان ، وفي حياة الجامعات والمؤسسات العلمية والحضارية المختلفة .

وما كان لهذا المفهوم التربوي ، أن تكون له آثاره العلمية والحضارية بمعزل عن اللغة القومية .

---

(١) انظر : التربية في البلاد العربية ، الدكتور عبد الله عبد الدائم ، ص٢٢٣ .

ونحن إذا وجّهنا نظرنا صوب مجتمعنا العربي ، وبصورة خاصة صوب جامعاتنا العربية ، حيث يكوّن أعضاء هيئة التدريس جوهر وجودها ، وجدنا أننا بالفعل أمام ثورة علميّة لا بد قادمة ، لكي تزيل ما تراكم من غبار القرون في التخلف والجهل ، وتصهر من جديد ما تراكم من مخلفات الاستعمار ، لكي تزيل الأوشاب ، ويظهر من جديد عنصر هذه الأمة سليما نقيّا ، لكي تعاود مسيرتها المبدعة في ركب العلم والحضارة الإنسانية .

إن التعريب ، أو استعمال اللغة العربية في التدريس الجامعي في جميع مستوياته ومجالاته ، وفي البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، هو القاعدة الأساسية التي تُبنى عليها ركائز هذه الثورة العلمية المقبلة إن شاء الله . ومن دون ذلك يصبح كل تخطيط لا معنى له ، لأنه يكون قد خالف طبائع الأشياء ، ونواميس التقدم والرقي . وفي مجال هذا التخطيط ، يهمّنا في هذا البحث جانب واحد من جوانب قضية التعريب ، هو الجانب الذي يتعلق بكيفية الوصول بعضو هيئة التدريس في جامعاتنا العربية ، ولا سيما في الكليات العلمية ، إلى المستوى اللغوي اللائق ، لكي يستطيع أن يتكلّم ويكتب بلغته العربية بشكل سليم ، وإن كان الهدف البعيد الذي يجب أن تسعى إليه جامعاتنا العربية هو أن يكون المتخصص في أي علم من العلوم على معرفة واسعة باللغة العربية ، إلى جانب اتقان لغة أو لغتين من اللغات العالمية الحية .

لا بد لكل تخطيط ناجح يهدف إلى تأهيل أعضاء هيئة التدريس وجَعلهم قادرين على استعمال اللغة العربية في محاضراتهم

وأبحاثهم ، ان يرتكز على منطلقات الواقع وما يستشرفه من مستقبل يتطلّع إليه ، سواء أكان ذلك في مجال بناء خطّة بعيدة المدى ، أم خطة قصيرة الأجل ، تهدف إلى معالجة قضايا التحول وفترات الانتقال . وربما كان من المفيد أن لا ندخل في جزئيات هذا التخطيط ، الذي لا بد أن يتأثر بالظروف والأحوال المختلفة في كل قطر من أقطار العروبة ، وإنما نعالج الموضوع من حيث المنطلقات العامة التي تُقيدها مبادىء وأهداف ، أصبحت تعتبرها أُمَّتنا من المسلّمات التربوية في بنائها الحضاري والقومي والانساني .

يمكن أن ننظر إلى موضوع إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا على مرحلتين : فالمرحلة الأولى تشمل إعدادهم قبل العمل الجامعي ، والمرحلة الثانية تتناول إعدادهم في أثناء الخدمة والعمل الجامعي .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا قبل العمل الجامعي :

لا يخفى على كل مهتمّ بقضايا اللغة العربية أن يسجِّل حقائق محزنة في مجال ضعف المثقفين العرب ، والمتخصصين ، منهم في شتى العلوم في لغتهم العربية . وقد يصل هذا الضعف ، مع الأسف ، إلى بعض المتخصصين في اللغة العربية ، وليس من مهمتنا في هذا البحث أن نستبين أسباب الضعف وطرق العلاج ، فقد أقيمت ندوات في هذا الموضوع ، وَوُضعت توصيات مهمة ، ولكنها ، مع الأسف ، تنتظر طريقها إلى التنفيذ . . . ولكن ما نودّ أن نشير إليه ،

هو أننا لا نستطيع أن نبحث في ضعف أعضاء هيئة التدريس الجامعيين في اللغة العربية بمعزل عن ضعف طلابهم في لغتهم القومية ، وبمعزل عن أسباب الضعف المتراكمة في تعليم هذه اللغة منذ الطفولة ، وعبر المدرسة : بمراحلها الابتدائية والاعدادية والثانوية . بل لا نستطيع أن نبحث في ضعف أعضاء هيئة التدريس باللغة العربية بمعزل أيضا عن ضعف الطلبة الجامعيين في هذه اللغة .

وهكذا لا بد من إعادة النظر بصورة جذرية في تعليم اللغة العربية في جميع مراحل الدراسة ، من حيث أساليب تدريس اللغة العربية ، واستخدام التقنيات الحديثة في التربية ، ومن حيث الكتاب المدرسي ، مادة وطباعة وإخراجا ، ومن حيث المنهاج في مرونته وشموله وقابلياته لمسايرة حجم المعارف الأساسية المتسارعة في نموِّها . . . . وقبل ذلك كله ، العمل على إعداد المعلم الناجح إعدادا خلقيا وعلميا ومهنيا .

إن مرحلة الإعداد الأولى هذه تتطلب ، من حيث الأساس ، رعاية اللغة العربية في مراحل الطفولة ، نطقا وتعبيرا وتذوُّقا ، وأن تكون هذه الرعاية إحدى المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها سياسة الدولة التربوية . فلو ألقينا نظرة على مدارسنا الابتدائية والإعدادية والثانوية ، في الأقطار العربية التي درجت على التعليم باللغة العربية في جميع هذه المراحل ، ومنذ خمسين عاما تقريبا . . . وسألنا أنفسنا : هل نحن نعلّم حقيقة باللغة العربية في هذه المراحل . . . ؟ ونحن إذ نتحدث عن اللغة العربية لا نعني بطبيعة الحال سوى اللغة

الفصيحة ، لغة القرآن الكريم ، العامل الأبدي في وحدة أمتنا ووجود كيانها .

وفي الجواب عن هذا السؤال ، نسارع فنقول : مع الأسف كلّا ، فإن اللغة التي نعلّم بها جميع المواد في هذه المراحل المعرَّبة قانونا وعرفا ، هي خليط من اللغة الفصيحة والعامية ، وقد يتعدّى الأمر ذلك في بعض الأحيان ، لكي نرى مدرسي اللغة العربية يدرّسون (النحو) باللغة العامية ، أو بهذا الخليط المستهجن من المفردات والتعابير . . . فرعاية اللغة العربية في المراحل التعليمية الثلاث : الابتدائية والإعدادية والثانوية ، والاهتمام بتطوير برامجها التدريسية ووسائلها التعليمية ، ضرورة أساسية ، يجب أن توضع في مقدمة الموضوعات التي يجب أن تهتم بها الدولة في سياستها التربوية والتعليمية . ولا شك أن العناية باللغة العربية على هذه الشاكلة ، واستخدام اللغة الفصيحة في تدريس جميع المواد ، وفي تلك المراحل التعليمية التي تسبق التعليم الجامعي ، ضرورة أساسية في البناء اللغوي السليم لجميع الذين ينهون الدراسة الثانوية ، سواء منهم الذين يخرجون للحياة العملية أم أولئك الذين يلتحقون بالمعاهد المهنية أو الجامعات .

فالإعداد اللغوي في هذه المرحلة قبل التعليم الجامعي ، يشكل الأساس المهم في تأهيل هؤلاء الذين سيواصلون دراساتهم ، وبالتالي يصبحون في المستقبل الهيئة التدريسية في الجامعات . ونحن نُولي هذه المرحلة أهمية كبرى في الإعداد اللغوي ، وذلك لأهمية المرحلة التربوية التي يجتازها الفرد في تكوينه العقلي

والعاطفي ، ولأن بعض هؤلاء النابهين قد يلتحقون مباشرة بجامعات أجنبية في الخارج ، حيث يحصلون على جميع درجاتهم العلمية . وفي مثل هذه الحال يصبح إعدادهم اللغوي حتى نهاية المرحلة الثانوية ، ركيزة سليمة في نقل العلوم والمعارف التي يتعلمونها باللغة الأجنبية إلى اللغة العربية .

أما المرحلة الثانية في الإعداد اللغوي لأعضاء هيئة التدريس ، فتتمثل في التركيز على ضرورة رفع مستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ، وذلك عن طريق وضع مناهج متطورة وبرامج تدريسية لتعلم اللغة ، والتركيز على قواعدها الأساسية ، وجعل محور هذا البرنامج الممارسة الفعلية في مجالات التخصص العلمي بكفاية وفعالية . فمعظم أعضاء هيئة التدريس سيكونون ممن أنهوا دراساتهم الجامعية الأولى في جامعات عربية ، وحصلوا على درجاتهم الجامعية العليا المتخصصة من جامعات أجنبية . ولذا فإن الاهتمام برفع مستوى الطالب الجامعي ، بصورة عامة ، باللغة العربية ، هدف أساسي يجب أن تحققه جامعاتنا العربية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا التعليم الجامعي هو الذي يُمِدّ التعليم الإعدادي والثانوي ، غالبا ، بالمدرسين . ومن هنا نرى مدى العلاقة الجوهرية بين التعليم الثانوي والتعليم الجامعي والعالي ، لا سيما في مجال التعريب والعناية باللغة العربية .

فالتعريب ، من حيث هو استخدام اللغة العربية لغة للتدريس في جميع العلوم ، والعناية باللغة العربية السليمة ، من حيث الممارسة وفهم قواعدها النحوية والصرفية الأساسية ، واستيعاب

متطلباتها كل ذلك يكوّن وحدة متكاملة توفّر للطالب الجامعي الحد الأدنى لفهم الحقائق العلمية ، وإدراك المعارف المختلفة ، والتعبير عنها بسهولة ويسر . وفي جميع الأحوال ، نحن نعتقد أن دراسة النصوص العربية المختارة يجب أن تكون محور هذه الدراسة في جميع الكليات والأقسام العلمية .

ونحن في هذا البحث لا نريد أن نعالج جزئيات هذا المنهاج الذي يمكن أن يكون أساسا في النهوض بمستوى الطالب الجامعي في اللغة العربية ، ولكن من المفروض أن تحدّد الجامعة مستوى معيّناً في اللغة العربية يجب أن يجتازه جميع طلبة الجامعة ، مهما كانت تخصصاتهم . ولا شك أن مثل هذه الدراسة لن تكون هامشية ، بل يجب أن تؤدي إلى رفع مستوى الطلبة العلمي ، وزيادة كفاياتهم في فروع تخصصاتهم ، فقد يَشْتَرِط كثير من الجامعات العريقة في البلاد المتقدمة ، عند استخدام عضو هيئة التدريس ، أن يجتاز مستوى معينا في اللغة التي سيدرِّس بها . وما أحوجنا في الجامعات العربية إلى تطبيق هذه السياسة ، على أن نَدْعَمَها بتنظيم برامج معينة في الدراسات العليا تهدف إلى تأهيل عضو هيئة التدريس الجامعي المرتقب ، لكي يصبح قادرا على استخدام اللغة العربية في مجال تخصصه ،تدريساً وبحثاً وتأليفاً ، وأن يؤخذ هذا البرنامج بالتقدير والاعتبار عند تعيين عضو هيئة التدريس في الجامعة .

إعداد أعضاء هيئة التدريس لغويا في أثناء الخدمة

ربما يمضي وقت طويل قبل أن نصل إلى تحقيق أهدافنا في مختلف المراحل التعليمية : قبل المرحلة الجـامعية وخـلالها ، وما يتبعها من دراسات عليا . وليس في مقدورنا أن نضمن ، في المستقبل المنظور ، أن أية نسبة كبيرة من طلاب الدراسات العليا سيستفيدون من هذه البرامج والخبرات للتأهيل باللغة العربية . ومهما يكن من أمر ، فإن الحقيقة الواقعة تنبىء بأن نسبة كبيرة من أعضاء هيئة التدريس في الجامعات في الوقت الحاضر ، ولوقت قد يطول في المستقبل ، ستكون من هؤلاء الذين قد تمّ استخدامهم في الكليات والمعاهد والجامعات . وإذا انطلقنا من واقعنا المرير ، حيث يشكو أعضاء هيئة التدريس من الضعف في اللغة العربية ، فإننا نخلص إلى القول : إنه من الواجب ، مع البدء بعملية التعريب عن طريق الممارسة الفعلية ، أن تقوم كل جامعة ، بل كلّ كلية وكل قسم مختص فيها ، بتخطيط برنامج يكفل رفع مستوى أعضاء هيئة التدريس في اللغة العربية ، وتدريبهم أثناء الخدمة ، لكي يتمكنوا من استعمال العربية لغة للتدريس والبحث العلمي .

لقد اشترطت معظم الجامعات ، عند تعيين عضو هيئة التدريس فيها ، أن يكون حاصلا على شهادة الدكتوراه في مجال تخصصه ، ثم وضعت شروطا معيَّنة في الانجازات العلمية والبحث العلمي من أجل الترقية من مرتبة إلى أخرى . . . . ولكنْ أمام حجم المعارف الأساسية الذي يتزايد كل يوم ، وأمام هذا التسارع الهائل في تطوّر العلوم ، لا سيما العلوم التطبيقية والنظرية البحتة ، باتت الجامعات والمؤسسات

العلمية مدعوة لأن تخطط برامج محددة ، موجهة لأعضاء هيئة التدريس ، من أجل تجديد معلوماتهم وزيادة فعالياتهم ، وأن لا تترك هذا الموضوع الخطير لقواعد وشكليات جامعية قد تجاوزت مرحلتها التاريخية . ففي الوقت الذي تشير فيه الإحصائيات ،مثلا ، إلى أن بعض العلوم الهندسية تتبدَّل كليا كل عشر سنوات ، وأخرى كل خمس عشرة سنة ، ولا تستطيع هذه الجامعات وتلك المؤسسات العلمية أن تقف جامدة في إطار قواعد وأنظمة قد تجاوزها الزمن . هذا كله يستلزم عملية دؤوبة هادفة ، من شأنها أن تجعل هيئة التدريس يسايرون التطورات الجديدة والنظريات العلمية الحديثة في مجال تخصصاتهم ، وبالتالي تؤدي إلى تعديل مستمر للمناهج ، وتبديل مبدع للكتب المعتمدة في جميع هذه العلوم .

إن من ضرورات الثورة العلمية المرتقبة أن تتجاوز جامعاتنا العربية هذا الإطار التقليدي من القواعد والأنظمة ،التي أُخذ معظمها تقليداً لجامعات أجنبية قد تجاوزت ظروفنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وان ما تطبقه من هذه التركة يأتي في كثير من الأحيان مشوها لا هوية له . وكيف يمكن للتقليد أن يرقى إلى درجة الأصالة ، حتى لو حسنت النيات وأخلص القائمون على التنفيذ . فلا بد للجامعات العربية إذن ، من أجل قيامها بدورها التاريخي في نهضة هذه الأمة ، من أن تخطط وتنفّذ ، بفعالية وبمستوى رفيع ، برامج علمية ولغوية وتربوية تهدف إلى تهيئة أعضاء هيئة التدريس الجدد في الجامعة ، من ناحية ، وإلى نموّ مزدهر ومستمر لقدرات أعضاء هيئة التدريس القدامى من جهة أخرى . ولا شك أن هذا الوضع هو ترجمة

عملية لمفهوم التربية المستمرة ، أو الدائمة ، في عصر هذه الثورة العلمية . وإن هذه الحياة العلمية المتسارعة في نموّها وتطوّرها لا يمكن أن تكتسب أصالتها في أمتنا العربية إلّا من خلال لغتنا القومية .

وفي هذا الإطار من التخطيط الشامل للتدريب المستمر في أثناء الخدمة الجامعية لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، يأتي دور وضع برنامج مستمر لتأهيل أعضاء هيئة التدريس كي يصبحوا قادرين على التدريس والبحث العلمي والتأليف باللغة العربية في أثناء خدمتهم . ونحن نعتقد أن مثل هذا البرنامج يجب أن يُعَدّ إعدادا على أسس علمية سليمة ، وفق ما وصل إليه العلم الحديث في النظريات اللغوية والتربوية ، وإن التطور السريع في وسائل التقنية لتعليم اللغات ، لا بد أن يغني هذا البرنامج ، ويزيد من فعالياته وحيويته .

وربما كان من الواجب أن يرتكز التخطيط لهذا البرنامج على منطلقات تمثّل سياسة تربوية ثابتة للدولة ، في مبدأ جعل اللغة العربية لغة البحث والتدريس في التعليم الجامعي في مختلف مستوياته ومجالاته . وإن كل خطّة تهدف إلى التدريس باللغة العربية ، وتهيئة عضو هيئة التدريس علمياً ونفسياً ، وتدريبه المستمر في أثناء الخدمة ، يجب أن تحقق ما نصبو إليه من المستوى العلمي الرفيع الذي نريد إيصال الجامعيين إليه . وانطلاقامن مفهومناالشامل لعملية التعريب ومقوماتها الأساسية المترابطة ترابطا عضويا ، نرى أن هذا البرنامج يجب أن يتّجه إلى مجالين رئيسين : فالمجال الأول يخصّ عضو هيئة التدريس بصورة قاصدة ، والمجال الثاني يخص الوسائل والإمكانيات التي تشكّل البيئة العلمية الخصبة لعملية التعريب ، ومن

دونها فإن فعاليات عضو هيئة التدريس تبقى جامدة ومحدودة .

يهدف البرنامج في المجال الأول الذي أشرنا إليه ، إلى تنظيم دورات مركزة في اللغة العربية ، وإلقاء محاضرات خاصة بالتعريب والمشكلات اللغوية ، وتتناول القواعد الأساسية في النحو والصرف ، والوسائل اللغوية التي تمكّن عضو هيئة التدريس من اختيار الألفاظ المناسبة للمفاهيم والمصطلحات العلمية ، وضعاً أو استنباطاً أو تعريباً ، بالمعنى الاصطلاحي الضيّق للتعريب . ولا شكّ أن من أهم هذه الوسائل اللغوية التي لا بد من أن يركّز عليها هذا البرنامج ، هي الاشتقاق بأنواعه ، والإبدال والقلب ، والمجاز ، والنحت ، والتوليد ، والترجمة ، وكذلك التعريب سواء أكان بصياغة اللفظ بالنقل الصوتي إلى العربية مع تحريف في الحروف والحركات والأوزان ، لتتناسق وباقي الألفاظ العربية ، أم بصياغة اللفظ بأصواته الأعجمية كما هي . . .

وإن تنظيم الندوات والحلقات الدراسية كي تناقش فيها جميع مشكلات التعريب ، والقضايا المهمة التي يواجهها أعضاء هيئة التدريس ، وإيجاد الحلول المناسبة ، يشكلان جزءا مهما من معالم هذا البرنامج ، وإن استعمال وسائل التقنية المتطورة في التعليم ، يجعل هذا البرنامج ميسراً وأكثر فعالية ، وذلك مثل استعمال الأفلام العلمية المتخصصة ، وكذلك الأفلام الراجعة (الفيدوتيب) والشرائح ، والكتب العلمية المبرمجة ، وغير ذلك من الوسائل الحديثة . فإن تسجيل محاضرة علمية باللغة العربية وإعادتها للدراسة وملاحظة الأخطاء التي اقترفها عضو هيئة التدريس في برنامج

التدريب ، لهي وسيلة فعالة في التصحيح الذاتي وتنمية القدرة اللغوية السليمة . . . وهكذا فالنقاش المفتوح والحلقات الدراسية والتطبيق ، واستعمال التصوير المتلفز ، من أجل تقويم الأخطاء ، تشكّل بنودا مهمة في برنامج تأهيل أعضاء هيئة التدريس لاستخدام اللغة العربية .

إن تصميم هذا البرنامج يجب أن يتخذ من النص محورا أساسيا لجميع فعالياته ، وإن اختيار هذه النصوص عملية في غاية الأهمية بحيث توفر للدارس روافد لغوية مهمة في مجال تخصصه العلمي ، فضلا عن فصاحة اللغة وجمال الأسلوب . ومن خلال هذه النصوص والمصادر العلمية المختارة من التراث العربي ، يستطيع عضو هيئة التدريس أيضا أن يربط العلم الحديث بجذوره التاريخية التي تمتدّ عميقة في هذا التراث العربي ، ليحقّق بذلك انطلاقة الأصالة العلمية إلى جانب الإثراء اللغوي في التعابير والمصطلحات .

ودون أن نخوض في دقائق هذا البرنامج ، ومجالاته العلمية واللغوية ، نقول : إنه من الضروري أن يُعْنى بفن الترجمة عند عضو هيئة التدريس ، لأنه في حقيقة الأمر مترجم ماهر سواء أكان ذلك في إعداد محاضراته أم في التأليف والترجمة العادية . وإنه من المهم أن يعرف عضو هيئة التدريس اللغة التي يُتَرجِم عنها معرفة دقيقة ، وكذلك معرفة اللغة التي يترجم إليها ، فضلا عن معرفة دقيقة لمجال تخصّصه العلمي ، وهو موضوع الترجمة . فالترجمة ليست قضية لغوية فحسب ، ولكنها من حيث الجوهر تتعلق باختصاص وبمضمون معيّن ، يحتلّ فيه صاحب الاختصاص العلمي المكانة الأولى ، حيث تتّضح له وحدة حقائق العلم ودقائقه . ولذا فمن

الواجب أن نضع المعجم المختص في موقعه الطبيعي ، إذ لا يكفي أن يلجأ المترجم ، أيا كان ، إلى معجم مختص . فما يذكره المعجم المختصّ لا يفهمه سوى صاحب الاختصاص . ومن هنا نريد أن نقرر أن اللغوي غير المختص ، لا يمكن أن يكون إلّا عاملاً مساعداً في عملية التعريب والترجمة . ولعلّ من أعظم الخدمات التي يمكن أن يقدمها اللغويون في هذا المجال ، وضع كتاب شامل في اللغة والنحو والصرف ، ليستطيع المثقف العربي ، كما يستطيع عضو هيئة التدريس المختص في أي علم من العلوم ، أن يعود إليه بين الفينة والفينة ، من أجل تقويم وزن أو تصحيح تركيب لغوي أو نحوي . وإن كتاب المرشد في اللغة يجب أن يوجَّه لمعالجة المشكلات اللغوية والنحوية والصرفية التي يمكن أن تواجه المثقف العربي في حياته العلمية ، وذلك من خلال نصوص أدبية وعلمية حيّة .

وطالما نحن بصدد الحديث عن (النصوص) العلمية : القديم منها والحديث ، نجد من الواجب أن نشير إلى قضية فرعية ، ولكنها على جانب كبير من الأهمية ، وهي ضرورة «الشكل» ولا سيما في النصوص العلمية باللغة العربية .

فأسلوب التعبير العلمي يقتضي إثبات حركات الحروف في نهايات الكلمات ، حتى ننقل المفاهيم العلمية بدقة إلى القراء ، كما أن اثبات حركات بدايات الكلمات وأواسطها يمنع اللبس ، واحتمال التحريف .

وأما المجال الثاني الذي أشرنا اليه سابقا ، فيما يخص البيئة العلمية الخصبة المؤاتية لعملية التعريب ، وبالتالي لفعاليات أعضاء

هيئة التدريس ، فانها تتمثّل في القضايا الرئيسية التالية :

أولا : إنشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة ؛ كأن يكون هنالك مركز للطب ، وآخر للهندسة ، ومركز للكيمياء ، وآخر للفيزياء ، وكذلك للرياضيات ، وهكذا . . ويهدف كل مركز من هذه المراكز إلى جمع الأعمال العلمية ، والحصول على المعلومات والنشرات من مجلّات متخصّصة ودوريات وملخصات وغيرها ، وأن يقوم كل مركز بتصنيف هذه المواد ووضعها في فهارس متعددة الأساليب والأغراض ، بحيث يحصر كلّ ما كُتِب ، بمختلف اللغات عن موضوع علمي معين ، أو حقل علمي في العالم أجمع ؛ ذلك لأن ارشاد هذه الفهارس إلى مصادر المعلومات ومراجعها وحجمها ومكان وجودها ، يساعد أعضاء هيئة التدريس والباحثين العلميين مساعدة كبيرة . ومن دونها فإن كثيراً من الوقت والجهد يذهب سدى ، هذا فضلا عن بقاء أعضاء هيئة التدريس يدورون في مجالات ضيّقة وضمن إمكانيات محدودة .

ثانيا : إنشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر تكون مهمته نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ، فيوفّر المصادر والمراجع العلمية باللغة العربية في جميع التخصصات على مختلف مستوياتها . ونحن نرى أن من واجب مثل هذا المركز أن يقوم بتعريب العلم والتقنيات الحديثة، كما ذكرنا ، لا بمجرد ترجمة هذا الكتاب أو ذاك .

وهنا لا بد من أن نشدّد على ضرورة وجود التعاون التام والتنسيق الكامل بين هذا المركز الرئيسي وبين المراكز العلمية المتخصصة، والجامعات ، والمؤسسات العلمية ، ومجامع اللغة العربية ، من أجل وضع المقابلات العربية للمصطلحات العلمية والتقنية ،واستيفاء ما يُسْتَحدث منها . فقد دلّت الإحصاءات التي بين أيدينا على أن عدد المصطلحات التي تُسْتَحْدَث كل عام يربو على عشرين ألف مصطلح .

وأن تعريب هذه المصطلحات العلمية المتسارعة في نموّها ، لا يوازيه في الأهمية إلا قضيّة توحيدها في الوطن العربي ، لئلا تنشأ لغات علمية مختلفة نتيجة استعمال مصطلحات علمية مختلفة ؛ وفي هذا ما فيه من خطر كبير .

لقد باتت الحاجة ملحة لإقامة مثل هذا المركز الرئيسي ، وإذا اردتُ أن أحدّد هذاالمشروع ، أجدني أقول : ولماذا لا تَتَبَنّى ، مثلا ، دولة من الدول ذات الامكانيات المادية الهائلة ، موضوع تأسيس جامعة دون طلبة ، تُطْلِق عليها اسم «جامعةالتعريب» تحشد فيها خيرة العلماء المتخصصين ، لفترات دورية ، وتكون مهمتهم نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ؟! وفي رحاب هذه الجامعة العتيدة تعقد المؤتمرات واللقاءات بين المتخصصين لبحث مشكلات التعريب التي يواجهونها في أثناء ممارساتهم الفعلية المبدعة ، سواء منها ما يتعلق بالمصطلحات أم بالمصادر العلمية أم غيرها .

إن جامعة مثل تلك المقترحة ، ستدخل التاريخ الثقافي والعلمي لهذه الأمة من أوسع أبوابه ؛ هذا مع العلم أن مجالها الحيوي ، سيكون الوطن العربي كله في جميع أقطاره ، في جامعاته ومؤسساته العلمية وطلابه وعلمائه ، لا سيما أن من بعض أوجه نشاطها العلمي ، اصدار المجلات العلمية والدوريات المتخصصة للعلوم المختلفة باللغة العلمية الموحدة .

الخلاصة :

وخلاصة القول: إن وطننا العربي مُقْبل ، ولا شك ، على ثورة علمية ، لا بد من أن ترتكز على تعريب التعليم في جميع مراحله ومستوياته ، وجعل اللغة العربية لغة التدريس والبحث العلمي في جميع حقول المعرفة . إن مثل هذه الثورة العلمية والتعليمية ستكون الوسيلة الوحيدة لكي تجتاز أمتنا العربية وضعها الحاضر ، حيث تقبع على هامش الحضارة الإنسانية ، لكي تأخذ دورها في المشاركة العلمية الكاملة ، وبناء حضارة أصيلة ، تصل ماضيها بحاضرها ، وتندفع نحو مستقبل زاهر ، فترفدبخصوبتها حضارة الإنسان ورقيَّه ، ويحتلّ العلم بصورة عامة ، وعضو هيئة التدريس في المعاهد والجامعات بصورة خاصة ، المكانة الأولى في هذه النقلة الحضارية . . . . وفي ضوء هذا التطور السريع في الوسائل التقنية للتعليم في جميع مراحله ، سيَحْدُث تغيير أساسي في دور أعضاء الهيئة التدريسية° ، من حيث استخدام الوسائل التقنية ، والتأكيد على مسؤولية الطلاب أنفسهم في عملية مفهوم التربية المستمرة أو

الدائمة . ولا بدّ من توجيه الاهتمام إلى تطوير كلّ ما من شأنه أن يبعث على التعلّم .

وإن الركيزة الأساسية في هذه الانطلاقة العلمية والتربوية ، ستكون اللغة العربية ، من حيث كونها اللغة التي يستطيع أن يعبّر بها المواطن العربي عن جميع حاجاته الحضارية وعن كل ما يتعلمه من معارف في جميع مراحل التعليم المختلفة ، ومن حيث كونها لغة التدريس الجامعي والبحث العلمي ، ولغة العلوم والتقنيات الحديثة . ونحن نعتقد أن عملية التعريب عملية متكاملة ، تدور حول محور أساسي هو المعلم بصورة عامة وعضو هيئة التدريس في الجامعات والمعاهد العليا بصورة خاصة . ومن أهم الجوانب التي يجب أن يُعنى بها في تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يتمكنوامن التدريس الجامعي والبحث العلمي باللغة العربية ، ما يلي :

١ ـ أن تَتّخِذ الدولة قراراً سياسياً ، في أعلى مؤسساتها التشريعية ، بوجوب جعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مراحله : الابتدائية ، والاعدادية والثانوية ، والجامعية ، والدراسات العليا ، وذلك لكي تأخذ على عاتقها الدعم المادي والمعنوي من أجل تنفيذ هذه النقلة التاريخية .

٢ ـ العناية التامة باللغة العربية منذ مراحل الطفولة الأولى ، وفي جميع مراحل التعليم ، وضرورة إعادة النظر في الكتب المدرسية ، والمناهج ، ووسائل التعليم ، وسياسة إعداد المعلمين ، في ضوء النظريات التربوية والوسائل التقنية الحديثة . وكذلك وجوب جعل اللغة العربية الفصيحة لغة التدريس في جميع المواد ، وأن تنطلق

في هذه المراحل من المبدأ القائل أن كل معلم هو معلم للغة العربية . هذا مع الحرص على شكل جميع الكتب المدرسية شكلاً كاملاً .

٣ ـ أن تفرض الجامعات ، في جميع الكليات ، مستوى معينا في اللغة العربية يُعْتَبر متطلبا أساسيا لتخرُّج الطالب الجامعي في مجال تخصصه .

٤ ـ أن تُنَظَّم دراسات لغوية في أثناء الدراسات العليا ، تهدف إلى تمكين من ينضمّ إليها من أن يقوم بالبحث العلمي والتدريس الجامعي باللغة العربية ، وأن يقدَّر من ينهي هذا البرنامج تقديراً مجزياً عند التعيين في عضوية هيئة التدريس الجامعي .

٥ ـ أن تُنَظّم برامج للتدريب المستمر لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة في أثناء خدمتهم ، وذلك لتأهيل أعضاء هيئة التدريس من أجل القيام بأعبائهم التدريسية باللغة العربية ، وان تشتمل هذه البرامج على القضايا الأساسية في النحو والصرف واللغة ، ومشكلات التعريب والترجمة ، وذلك عن طريق محاضرات وحلقات وندوات للنقاش المفتوح ، مع الاستفادة من وسائل التقنية الحديثة في مجال التعليم ، مثل التصوير المتلفز ، والنصوص المبرمجة ، والتسجيلات وغير ذلك .

٦ ـ أن يوضع في أيدي أعضاء هيئة التدريس كتابٌ خاص باللغة وقضاياها الأساسية في النحو والصرف والأساليب اللغوية ، لكي يكون مرشداً يمكن الرجوع إليه بين الفينة والأخرى من أجل التصحيح الذاتي .

٧ ـ إنشاء مراكز علمية متخصصة في جميع حقول المعرفة من أجل جَمْع الأعمال العلمية في أهم اللغات الحية وفهرستها ، لمساعدة أعضاء هيئة التدريس في بحوثهم وإعداد محاضراتهم .

٨ ـ إنشاء مركز رئيسي للتعريب والترجمة والنشر ، وربما كان «جامعة» دون طلبة ، حيث يُحْشد فيها أهم المتخصصين والعلماء ، وتكون مهمتهم تعريبَ العلوم والتقنيات الحديثة ، واصدار الموسوعات العلمية ، والمجلات ، والدوريات المتخصصة باللغة العربية ، ليكون مجالُها الحيوي جميع الأقطار العربية : بجامعاتها ومؤسساتها العلمية وطلابها ، وأن يُحْرص على أن يكون جميع منشوراتها باللغة العربية مشكولة شكلاً تاماً ، وذلك لأن شكل أواخر الكلمات ضرورة قصوى تتطلبها طبيعة الأسلوب العلمي الدقيق ، ولا سيما في نقل المفاهيم العلمية ، كما أن شكل أول الكلمة ووسطها يزيل اللبس . ويتحوَّل إلى عادة متأصلة في الكتابة .

٩ ـ إن تأهيل أعضاء هيئة التدريس لكي يستطيعوا استخدام اللغة العربية في البحث العلمي والتدريس ، لا يمكن أن يُنظَر اليه إلا من خلال جميع هذه العوامل بصورة كلية ، ومن خلال الممارسة الفعلية والبدء بالتعريب الكامل دون تأخير أو تأجيل .

المصادر والمراجع

١ - مشكلات التعليم الجامعي في البلاد العربية - الحلقتان الأولى والثانية
الحلقة الأولى : بنغازي - مايو ١٩٦١ .
الحلقة الثانية : بيروت - مايو ١٩٦٤ .
القاهرة

٢ - المؤتمر الأول لإعداد المعلمين في المملكة العربية السعودية
٨ - ١٣ صفر ١٣٩٤ الموافق ٧/٤/ مارس ١٩٧٤

٣ - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي
بغداد ٤ - ١٩٧٨/٣/٧

٤ - دليل الجامعات العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .

٥ - جورج شهلا وعبد السميع مريلي ، الوعي التربوي ومستقبل البلاد العربية بيروت ، ١٩٦١م .

٦ - عبد الله عبد الدائم ، التربية في البلاد العربية - حاضرها ومشكلاتها ، ومستقبلها بيروت ١٩٧٤م .

٧ - عبد الغني النوري وعبد الغني عبود ، نحو فلسفة عربية للتربية ، ١٩٧٦ .

٨ - نعيم عطية ، معالم الفكر التربوي في البلاد العربية في المئة سنة الأخيرة بيروت .

٩ - علي محمد كامل ، تجربة في العلوم الهندسية ، بغداد ١٩٧٨ .

١٠ - بول وودرنج ، اتجاهات حديثة في اعداد المعلم ، ترجمة الدكتور حسين سليمان فوده القاهرة .

PAUL L. DRESSEL, The undergraduate curriculum in higher education, Washington, 1963

JENN THOMAS, Teachers for the schools of tomorrow, UNESCO, 1968

الفصل الثالث

العربيّة وقضايا التعريب

١ ـ وسائل تطوير اللغة العربية العلمية.

٢ ـ دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات.

٣ ـ نحو معجم موحد لألفاظ الحضارة.

وسائل تطوير اللغة العربيّة العلميّة☆

كانت اللغة العربية ، لعدة قرون خلت ، لغة العلم والفكر والحضارة . فقد نقلت إليها أنواع العلوم والثقافات المختلفة منذ القرن الثاني للهجرة . فاستطاعت أن تستوعبها وتهضمها . ولم تقف عند هذا الحد ، بل تجاوزته إلى مرحلة الإبداع والابتكار . فأضافت عن طريق أبنائها إضافات أصيلة إلى العلوم بأنواعها . وكانت حلقة مهمة في سلسلة التطور الحضاري الإنساني . ثم عدت عليها عوادي الزمن ، وأصاب أمة العرب ما أصابها ، من تكاتف الأعداء في الخارج متمثلة بالحروب الصليبية في الشرق ، وووجهتها بيت المقدس في فلسطين ، وفي الغرب مارة باسبانيا الإسلامية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نالتها التمزقات الداخلية والحروب الأهلية وما صاحبها من انحلال سياسي واجتماعي .

☆ قدم هذا البحث الى مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر ، في الثاني من شهر رمضان ١٣٩٣ هـ . الموافق ١٩٧٣/٩/٢٩م .

وكانت نتيجة هذا كله أن انزوت هذه اللغة الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولغة العلم والحضارة ، بانزواء أهلها . . . ولم تستيقظ إلا في عصر التلفاز والرادار والصواريخ العابرة للقارات ، عصر الطاقة الذرية وغزو الفضاء والنزول على القمر . . فيا لها من حقيقة أشبه بالحلم . فها هي لغتنا الحبيبة تستيقظ بيقظة أقطار أمتنا العزيزة لتواجه الواقع بكل ما يحمله من مهام وواجبات ، وما يثيره من صعاب وعقبات .

ليت شعري ماذا يكون موقف اللغة العربية !!! في هذا العالم المتطور ، وفي خضم المعارف الأنسانية المتسارعة ، التي تضع الأنسان في فجر تاريخ بشري جديد . فهل تختار طريق الجمود والانطواء على الذات ، فتتراجع إلى العدم كما يشاء لها أعداء العروبة والإسلام ، أم تنفض عنها غبار الزمن ، لكي تثير الأدوات الكامنة في طبيعتها اللغوية ، والتي تجعل منها لغة حية متطورة ، تستطيع أن تستوعب ما يجد من المعاني الحضارية والعلمية . وهنا تكمن أسباب الخلود في هذه اللغة الخالدة .

بدأت أمتنا العربية يقظتها مع بداية هذا القرن . وصاحب هذه اليقظة نهضة لغوية تحاول مسايرة العصر ، وتوطد دعائم نهضة الأمة ووحدتها . فقامت مؤسسات تعنى باللغة العربية ، في دمشق وبغداد والقاهرة . فكان لها شرف السبق في وضع أسس النهوض بهذه اللغة ، مدركة الأدراك كله ، أنه لا يمكن أن تنهض الأمة إلا بلغتها القومية . وكان يقابل هذا التيار البناء تيار آخر يناصب اللغة العربية العداء ، ويثير العقبات والمصاعب في وجه تقدمها ، متذرعا بشتى الوسائل ، من إقليمية وطائفية حينا ، ومن غيرة زائفة على التقدم

العلمي والتكنولوجي حينا آخر . واتخذ أنصار هذا التيار من اللغويين المتنطعين ، ومن بعض هفوات المجامع اللغوية وأساليبها ، سلاحا للتشهير والتخذيل . ونحن نستطيع أن نشير إلى فترتين أساسيتين في نهضة اللغة العربية المعاصرة . فالفترة الأولى تتمثل في الفترة الزمنية الواقعة بين الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية ، حيث كان تيار العربية يستعيد حيويته ويشتد في المشرق .

والفترة الثانية تتمثل في الفترة الواقعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر . وأهم ما تتميز به هذه الفترة ، من الناحية الإيجابية ، تحرر الشمال الأفريقي من ربقة الاستعمار من الناحية السياسية ، وخوضه معركة التعريب التي تعتبر أساسا في كيانه الوطني والقومي . وكذلك جاء استقلال بقية أقطار العروبة في المشرق ، وتوطيد دعائم التحرر السياسي والاقتصادي والثقافي في بعض الأقطار ، وما أدى إليه من انتشار الجامعات العربية وزيادة عددها بنسبة كبيرة في الوطن العربي .

أما من الناحية السلبية ، فان هذه الفترة تتميز بالهجمات الشرسة التي يشنها أعداء العروبة والإسلام على أمتنا العربية ، مستهدفين كيانها السياسي واللغوي والثقافي ، بل والحياتي من حيث الأصل . فهنالك الآن الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين تدعمه قوى الشر ، أعداء العروبة والإسلام . وهناك التيارات الشريرة في الداخل التي تحاول النيل من تراث هذه الأمة وقيمها ولغتها .

فإذا ما وضعنا هذه العوامل جانبا لأنها ليست الهدف من هذا البحث ، فإننا نستطيع أن نميز التيارات التالية ، على المستوى

اللغوي ، في العالم العربي مشرقه ومغربه ، بما يلي :

١ . تيار العربية الفصحى المتزمتة .
٢ . العربية الحديثة والتي تتمثل في لغة المجلات والجرائد .
٣ . العامية الدارجة .
٤ . اللغة الأجنبية .

وعلى الرغم من أنني لاأنوي مناقشة موضوع اللغة الأدبية في هذا البحث ، فإنني أجد لزاما علي أن أشير ـ للحق وللتاريخ ـ أن هؤلاء الذين ينادون باستبدال لغة أجنبية باللغة العربية ، قلة قليلة قد تنكرت لأمتها وتراثها وقيمها ، ولكنها مع الأسف ، تركز جهودها الآن على مستوى اللغة العلمية ، متذرعة لذلك بحجج شتى لا تثبت أمام الامتحان . أما أولئك الذين ينادون بالعامية الدارجة ، فقد هانوا على أمتهم وبالتالي على عامياتهم المختلفة التي لا حصر لها . !!! فليت شعري أليس لكل عامية قواعد نحوية وصرفية ؟؟ . وبأية عامية يريدون أن يكتبوا أو يتحدثوا ! فلكل قطر عامية ، وفي كل مدينة عامية !!! وهكذا .

وكذلك فإن العربية الفصحى المتزمتة ، تكاد تنحصر في بعض زوايا المؤسسات اللغوية . وأن تطور الحياة ومقتضيات العصر ، تفرض على الأمة الحركة السريعة ، للحاق بركب الحضارة ، ومسايرة التطور العلمي والمشاركة في الإبداع والاختراع .

وسوف لا أقف عند اللغة الأدبية ، ولا أخشى على وحدتها ، إذ أن «النص القرآني» كفيل أبدي بتوحيد اللغة الأدبية . أما الخطر

المحدق بنا الآن ، فإنما يكمن في تطوير اللغة العربية العلمية ، لكي تواكب متطلبات العصر الحديث ، الحضارية والعلمية . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن هذا الخطر يتجسم أيضا في صفوف المؤمنين بالتعريب والمنادين به الآن ، وذلك بأن تنشأ لغات علمية عدة في الوطن العربي . فيصعب على رجل العلم العربي في قطر من الأقطار أن يفهم ما يكتبه عالم عربي آخر في قطر آخر .

ولا أدل على ذلك من هذا المثال الصارخ : قامت منظمة اليونسكو بوضع كتاب في الرياضيات الحديثة للعالم العربي بلغة أجنبية ، ثم ترجم هذا الكتاب . فترجم مع الأسف إلى خمس لغات علمية عربية حتى الآن ! فهناك الترجمة المصرية ، والترجمة العراقية ، والترجمة السورية ، والترجمة الكويتية ، ثم الترجمة الأردنية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عما استعملته الترجمة الأخرى ، بحجة أن اجتهادها هو الصائب بنظرها . . . فإن هذا الاجتهاد والغيرة على العربية لم يمنعا من أن يؤديا إلى بذر بذور لغات علمية مختلفة . وفي هذا تحذير من خطر نشوء لغات علمية مختلفة ، وما يجره ذلك من أخطار أساسية على وحدة الأمة ، وتعاونها وتنسيق جهودها في ميادين العلم والمخترعات الحديثة .

اللغة العربية لغة متطورة حية ، والحياة تعني النمو والازدياد . فقد حفظ القرآن الكريم هذه اللغة من الضياع والتشتت ، ولولاه لما كانت هناك لغة عربية اليوم ، وبالتالي لما كانت هناك أمة عربية . ولكان مصيرها مصير اللغات القديمة التي انقرضت ، أو تلك التي تأقلمت ، فتحولت إلى لغات مختلفة ، كما حدث للغة اللاتينية .

فنشأت عنها الفرنسية والأسبانية والايطالية والرومانية . إن النص القرآني منع تشتت اللغة واندثارها ، وإنه في حفظه إياها من حيث الأساس لم يمنع تطورها ونموها . بل على النقيض من ذلك ، فقد جاء القرآن الكريم بلغة قريش . وهذا يعني أنه أمات ما عداها ، وقضى على الفوضى في العربية ، وأخضعها لقانون بياني ثابت . وكان هذا في حد ذاته تطورا عظيما فى كيان اللغة .

ولم تتوقف عملية التطور في اللغة ، بل استمرت باستمرار الحياة وتفاعلها الحضاري . فعمل التطور عمله في مادة اللغة ، كما عمل في صورتها . فإن لغة الكتابة في القرن الأول الهجري تختلف عنها في لغة القرن الرابع الهجري . وإن اللغة الفصيحة الأدبية التي نقرأها اليوم في مجلاتنا وجرائدنا المعتمدة ، تختلف اختلافا بينا عن لغة الكتابة في عصر الإزدهار الحضاري الإسلامي . ولا شك أن هذا الاختلاف مرجعه إلى عملية التطور التي ما انفكت تلازم طبيعة هذه اللغة الخالدة . وهذا يطرح على بساط البحث مهمة إنجاز معجم تاريخي للألفاظ العربية والمعاني التي تدل عليها من خلال النصوص وعبر العصور التاريخية حتى الوقت الحاضر .

المشكلات التي تواجهها اللغة العربية

لقد ذكرنا سابقا أن اللغة العربية قد اجتازت امتحانا صعبا وتجربة قاسية لم تواجهها من قبل في حياتها . فقهرت تلك المشكلات واستطاعت أن تستوعب جميع المعاني المادية والفكرية . وبالتالي لم يستطع سلطان الأجنبي والمستعمر أن يقضي عليها . وهي

الآن تتعرض للخطر العظيم ، يأتيها من أبنائها العاقين منهم وغير العاقين أيضا ، ومن هجمات الاستعمار الشرسة ، السياسية والاقتصادية والحضارية واللغوية . إن لغتنا تتعرض في هذا الوقت لخطر عظيم . كما أن أمتنا العربية تتعرض لأخطار تهدد وجودها وكيانها . ولا أدل على ذلك من الاستعمار الاستيطاني اليهودي في فلسطين الذي بات يهدد الأقطار العربية الأخرى ، والأصوات النابية التي تتعالى هنا وهناك في المشرق العربي وفي مغربه ، تحمل اللغة العربية وزر الهزائم وتنادي بتجاوز اللغة الفصيحة إلى لغات أجنبية حية ، أو إلى لهجات عامية ، ممعنة في الفرقة وبمحاولة تقطيع أوصال الأمة والقضاء على هويتها ، لإبقائها تحت نير التبعية المطلقة .

وأمام هذا الخطر المداهم ، يجب أن نعنى بسلامة اللغة العربية والعمل على جعلها وافية لمطالب العلوم والفنون وجميع شؤون الحياة الحاضرة. فعلى الرغم من أن اللغة وسيلة الأداء والتفاهم بين الأفراد والجماعة ، فإنها ، في مفهومها القومي ، غاية في حد ذاتها . فهي مجموعة من الأفكار والتقاليد والعواطف والأحاسيس والمشاعر والاعتبارات ، تنتظمها الألفاظ انتظاما ، في وحدة ذاتية ، ترتبط ارتباط : الشكل بمحتواه . . وهنا لابد من أن نطرح هذا السؤال الكبير:

كيف نستطيع رد الحياة النامية إلى اللغة العربية ، وبسط رقعة الوضع أمام الواضع اليوم ، لكي تلحق هذه اللغة بركب الحضارة ، وتواكب مخترعاتها ومكتشفاتها المتزايدة في كل يوم ؟ اذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة !!! إن الأمة التي ليس لها لغة

تامة صحيحة لا يمكن أن يكون لها فكر تام صحيح .

لا شك أن اللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر مشكلات مهمة ، لا بد من دراستها وتناولها بصورة موضوعية ، ومن خلال خصائص هذه اللغة وأساليبها ووسائل نموها . ونحن نستطيع أن نحدد هذه المشكلات على الوجه التالي :

١ . مشكلة المصطلحات في اللغة العربية .
٢ . مشكلة نحو اللغة وصرفها .
٣ . مشكلة معجمات اللغة ومفرداتها
٤ . مشكلة رسم اللغة أي كتابتها .

أما ما يثار حول انقطاع الصلة بين الأسلوب القديم والأسلوب الجديد في الكتابة الأدبية ، فنحن نعتقد أن ذلك لا يكون مشكلة ، بل على النقيض ، إنه دليل على حيوية اللغة وتطورها . فقد قامت الصحافة والمجلات الأدبية بدور مهم في إدخال التعابير المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية الحديثة . وهي تعابير كثيرة لا يستطيع تمييزها إلا مؤرخو اللغة . وإن الكاتب الحديث يستعملها في لغته الأدبية دون أن يشعر بأية غرابة أو استهجان . مثال ذلك قولهم : «ذر الرماد في العيون» و«اصطاد في الماء العكر» و«كان للحادث صدى بعيد» و«قال ذلك بصفته مسؤولا» . . . الخ

ومهما يكن من أمر ، فقد انسابت هذه التعابير الدخيلة إلى لغتنا وأصبحت جزءاً منها . وإن قدرة اللغة العربية على استيعاب هذه التعابير وغيرها من التعابير المستجدة لتكوّن احدى مميزاتها الأصيلة

في مسيرتها الحية المتطورة . ونحن إذ نجد بين الفينة والفينة ، من يشجب مثل هذه التعابير في الكتابة الأدبية ، فإن اللغة العلمية قد بقيت لحسن الحظ بنجوة عن التتبع والمؤاخذة مما يفتح الباب على مصراعيه أمام لغة العلوم والمعارف المستجدة .

ومن أهم المشاكل التي تواجهها اللغة العربية الفصيحة في مسيرتها من حيث هي لغة التعليم العام ، وبالتالي لغة الكتابة والحديث أيضا لجماهير المثقفين ، هي مشكلة استصعاب الدراسة النحوية والدراسة الصرفية ، مما يبعث على النفور من اللغة . وهنا لا بد أن نفرق بين نحو اللغة ، باعتباره جزءاً من طبيعة اللغة وجوهرها ، وبين أساليب دراسة هذا النحو أو الصرف . ونحن نعتقد أنه في طليعة أسباب هذا النفور من النحو والصرف ، يأتي الجمود في اتباع قدماء النحويين في سرد القواعد من غير عرضها على كلام العرب وشعرهم الخالي من الضرورة ، والتزام أقوالهم كأنها مما يحرم الاجتهاد فيه . فقد جمد النحو المعاصر الذي أخذت به المؤسسات التعليمية في الأقطار العربية على مدرسة البصريين دون غيرها من مدارس النحو . .

وهكذا أتاه الجمود ، وصار النحو مع الأسف غاية في ذاته ، لا وسيلة للتعبير عن المعاني والأحاسيس . ولم يستطع المؤلفون في النحو من المعاصرين أن يأتوا بشيء ذي قيمة في تسهيل هذا العلم الذي هو ميزان تأليف الكلام . وما يقال عن النحو ، يقال أيضا عن الصرف من حيث هو قوام تطور اللغة .

فلماذا ، مثلا ، يقتصر على اتباع المذهب البصري في كون أصل الاشتقاق من اسم المعنى لا من اسم الذات ! وهذا يعني تقديم

التجريد على التجسيد ، وفي ذلك تضاد مع طبيعة اللغة .

أما قضية معجمات اللغة العربية ومفرداتها ، فإن المعاجم لم تدون جميع ما ورد في كلام العرب ، بل لم تعتبر إلا اليسير منه . فأين المعجمات من هذا التراث الضخم من كتب الأدب ودواوين الشعر ومؤلفات العلوم بأنواعها . . !! فالعربية ما زالت بحاجة إلى معجمات تستوعب الفصيح وغير الفصيح والقديم والمولد والعربي والمعرب، مما ورد في كتب العرب والمسلمين الذين ألفوا بالعربية . وهنا تأتي أهمية وضع معجم تاريخي ، يستقصي ألفاظ العربية ومعانيها المتطورة ، من خلال النصوص ، وعبر العصور التاريخية حتى وقتنا الحاضر . وإن مثل هذا الجهد الضخم يحتاج إلى تجنيد جميع طاقات الأمة العربية اللغوية ، تدعمها مؤسسات على هذا النطاق ، ذات امكانيات مالية وفنية كبيرة .

إن البحث في مشكلة المعاجم ، يقودنا حتما إلى الشعور بضرورة وجود أنواع من المعاجم تكفل للغة العربية مواكبتها للحضارة العالمية ، وبالتالي توفر لأبنائها مجال الأبداع والمشاركة ، لأنه لا يمكن الابداع الا باللغة الأم . ونعني باللغة الأم هنا اللغة القومية . ومن هذه المعاجم المعجم التاريخي أو النشوئي والمعجم الاصطلاحي والمعجم العادي (العام) والمعجم العلمي .

إننا بحاجة ماسة إلى معجم يفي بجميع الأغراض العلمية ، تعرف فيه الألفاظ العلمية بطريقة قادرة على تصوير الشيء المعرف تصويرا صادقا ينطبق على ما يدل عليه . إن لغتنا العربية في هذا

العصر ، عصر الذرة وغزو الفضاء ، شديدة الحاجة إلى المصطلحات العلمية والتقنية ، ولذا فمشكلة المصطلحات هي كبرى مشكلاتها .

مشكلة المصطلحات

قد لا نعدو الحقيقة إذا قلنا إن احتياج أمتنا العربية إلى المصطلحات العصرية اللغوية ، كاحتياجها إلى جميع وسائل التقدم الحضاري ، بل إن حاجتها لتلك ، تأتي في المقام الأول ، لأنها مرتبطة بأسباب وجودها . اذ ما عسى أن يكون مستقبل أمة ليست لها لغة كاملة تستوعب موجودات الحياة ومعطياتها .

ليست هذه المشكلة خاصة باللغة العربية ، فقد عانتها الشعوب الناشئة . فهذه الأمة اليابانية ، قد استطاعت أن تطوع لغتها القومية ، وأن تصل بها الى أعلى ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ، بل ها هي اللغة الصينية تنطلق بانطلاقة شعبها لكي تصل إلى طليعة الدول النووية ، دون أن نذكر أمما اخرى قد جعلت من لغاتها القومية لغات تستوعب جميع المعارف والعلوم الحديثة مثل التركية والفارسية والدنمركية وغيرها .

وقد كان الأمر كذلك فيما يتعلق باللغة العربية قديما . إذ اجتازت في نهضتها صعوبات الترجمة واستيعاب المعاني الحضارية إذ ذاك . فتم لعلمائها وضع كثير من الألفاظ بطريق الاشتقاق والمجاز والتعريب . . . الخ

وترجموا تعابير دقيقة حتى أصبحت اللغة العربية لغة العلم والحضارة إذ ذاك . إن ذلك كله يعني أننا لا نقف الآن أمام تجربة

نخشى عليها الفشل ، فقد مرت اللغة العربية بهذه التجربة ، وبرهنت على حيويتها وقدرتها المتجددة على الاستيعاب . فمن القدماء الذين عنوا بتسجيل المصطلحات نذكر ، الخوارزمي صاحب كتاب «مفاتيح العلوم» والجرجاني صاحب كتاب «التعريفات» والجواليقي صاحب كتاب «المعرب الأعجمي في لغة العرب» ! والخفاجي المصري جامع كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» والتهانوي صاحب كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» . . وإن ما أثبت من أسماء «المصطلحات» في الكتب العربية أكثر مما وردت في هذه الكتب بكثير .

وفي العصر الحديث كان القصد الأسمى من انبعاث حركة المجامع ، العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية التي تجري مجرى الوسائط في تأدية الغرض العلمي .

فالمصطلح لا يعني تسمية جامعة مانعة للمسمى كما يظن بعض الناس ، بل يرمز إليه رمزاً لصلة بين الرمز والمرموز إليه . وهذه الصلة تختلف قوة وضعفاً حسب الأحرف المؤدية للمعنى . فالاصطلاح مقصر دائما عن الإحاطة بمعنى الشيء المسمى اصطلاحاً . ومن أجل ذلك كثيرا ما نقول : هذه الكلمة لغة معناها كذا واصطلاحا معناها كذا . . . ويعتمد المصطلح في استعماله وذيوعه على الرغبة والغيرة والدعوة ، وكذلك الزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته أو على زعزعته وإفنائه .

إن الاصطلاحات من الأمور الوضعية والاعتبارية . فالكلمات المصطلح عليها في المعاني العلمية لا تدلُّ على تلك المعاني من

حيث اللغة دلالة تامة . فلذلك ليس من الضروري أن تترجم الكلمة المصطلح عليها ترجمة حرفية بل من الأوفق أن نتحرى الكلمة التي يمكنها أن تدل على المعنى المطلوب على أحسن الصور وأوضحها .

ومما يجب ملاحظته في اختيار المصطلحات أن بعضها تبقى بطبيعتها محدودة الاستعمال ، فلا يستعملها عادة الا طبقة من الاختصاصيين . ففي مثل هذه الحال يمكننا أن نستعمل الكلمات الأجنبية بل ويجوز لنا أن نبقيها على هيئتها الأصلية . أما بعض المصطلحات الأخرى فقد تكون عرضة للانتشار والذيوع ، وقد تدخل لغة الشعر والأدب ، وهنا يتوجب علينا أن نختار الكلمات العربية ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . أما إذا اضطررنا إلى استعمال كلمة أجنبية فيجب أن نعربها تعريبا تاما ، وذلك بأن نفرغها في قالب عربي يسهل لفظها على الناطقين بالضاد .

لا شك أن غاية الكمال في اللغة هي أن يخصص لكل معنى كلمة معينة أو تعبير معين وأن لا يلتبس في الذهن معنيان من كلمة واحدة . في حين أنه لا يزال في كل اللغات كثير من الكلمات التي تدل على معان مختلفة وحتى على معان متباعدة . فإذا كانت المصطلحات قد وصلت إلى درجة الكمال في بعض العلوم ، مثل الفيزياء والرياضيات ، فإنها بعيدة عن هذه الدرجة في العلوم الإنسانية . وهنا تأتي أهمية مقارنة الإصطلاحات التي تستعملها الأمم المختلفة ، لكي تدلنا على ما يجب عمله في مثل هذه الأحوال ، لا سيما كي نتجنب تقليد إحدى اللغات بجميع نواقصها تقليدا أعمى .

فالمصطلح يوضع أحيانا لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه ،

وأوهى صلة بينهما . وإنما القضية التي تُطرح على الساحة العربية هي : تعميم المصطلحات ونشرها واستعمالها في جميع الأقطار العربية موحدة متفقا عليها . فإننا لا نستطيع أن نتصور اصطلاحا تاما في ذاته غير قابل للتفنيد والمناقشة، بل وقد لا نصل إليه أبدا . وإنما الهدف إيجاد لغة علمية واحدة بجميع مصطلحاتها في الوطن العربي . فاللغة للأمة جميعها ، ويجب أن نستكمل كل ما يدعوها للبقاء الخصب النامي ، وأن تكون قادرة على تناول الأشياء مهما استدقت بصورة عربية بحتة ، تخدم الأدب والعلم والفن والصناعة . . . وإن إعداد العربية من حيث كونها لغة قومية وافية ، لا يضيرها مطلقا إذا كانت جماعة الاختصاص تتفق عالميا على ألفاظ علمية بعينها . . . فهذا شيء يحدث في جميع اللغات الحية .

ومنذ مطلع القرن العشرين بذل بعض الباحثين جهد الطاقة في اختيار مصطلحات مفيدة . نذكر منهم :

١) الدكتور أمين المعلوف في معجميه للحيوان وأسماء النجوم .
٢) الأمير العالم مصطفى الشهابي في معجمه للنبات .
٣) الدكتور محمد شرف في معجمه العام .
٤) المجمع اللغوي بالقاهرة في مصطلحاته .
٥) الدكتور أحمد عيسى في معجمه للنبات .

وقد بحث موضوع «المصطلحات العلمية» في المؤتمر العلمي العربي الأول الذي عقد في الاسكندرية في صيف عام ١٩٥٣ . واستقرت المناقشات على ضرورة توحيد المصطلحات في البلاد العربية جميعا .

وتطرق المؤتمر العلمي العربي الثاني الذي عقد في القاهرة في صيف عام ١٩٥٥م، إلى بحث هذا الموضوع أيضا ، وتألفت فيه شعبة للمصطلحات ، درست توحيد الترجمة العربية لنحو عشرة آلاف مصطلح ، في أربع حلقات هي :

١ . حلقة العلوم الرياضية والطبيعة والفلك .
٢ . حلقة علوم النبات والحيوان والصحة العامة .
٣ . حلقة علوم الكيمياء والبيولوجيا .
٤ . حلقة علوم المواد الاجتماعية .

وفي ربيع ١٩٥٦م وافق مجلس الاتحاد العلمي العربي على خطة بشأن المصطلحات جاء فيها :

ـ : الاهتداء بالمعاجم والقوائم المعبرة في اللغات الأجنبية ، التي حصرت المصطلحات الدالة على المعاني الكلية في كل فرع ، وتشتمل على المصطلح الأجنبي الدال على المعنى وعلى تعريف دقيق للمصطلح ، بحيث يكون من الميسور وضع اللفظ العربي ، وترجمة التعريف إلى اللغة العربية .

ـ : تطبع مصطلحات كل مادة في معجم خاص، ويرسل المعجم إلى وزارات المعارف والهيئات العلمية والمجامع اللغوية ويلتزم استعمالها .

وأهم ما أراه في هذه الخطة هو «التزام الاستعمال» واتخاذ قرار بالتعريب ، ولكننا مع الأسف ما زلنا نجد أنفسنا حيث كنا !!! والسبب في ذلك ليس له علاقة بطبيعة اللغة ولا بقضاياها التي تواجهها ، ولكنه

يكمن في السياسة التي تسيطر على المؤسسات العلمية العربية التي تنأى باللغة القومية عن المجالات العلمية لأسباب مختلفة لا مجال لبحثها الآن .

وسائل نمو اللغة في التعبير عن معاني الحياة والفكر :

يصاحب النمو الحياة ويدل عليها . ولذا فاللغة الحية لغة نامية في ألفاظها وفي أساليبها . واللغة العربية هي إحدى اللغات الحية النامية . وحيوية اللغة تقاس بقدرتها على التعبير بألفاظ خاصة عن كل ما يجول في الفكر وما تتعامل به الحواس . وقد نمت اللغة العربية في مدارج حياتها الطويلة عبر العصور . فتراكمت ألفاظ كثيرة من المهجور وغير المستعمل والمغمور في الكتب العربية ، المنشور منها والمخطوط ، المعروف منها والتائه بعد ، في زوايا المكتبات والأقبية ، مما يدعم اللغة الحاضرة ويوفر لها الامكانات الواسعة للاستيعاب المستجد .

فاللغة العربية ، كما تنص إحدى الروايات ، تتألف من ثمانين ألف مادة . والعلماء يقولون : إن المستعمل منها عشرة آلاف . وفضلاً عن هذه الثروة اللفظية الهائلة التي تعتبر رصيدا ضخما للغة ، فإن اللغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها . فهناك : القياس والاشتقاق والقلب والإبدال والنحت والارتجال والتعريب .

فالقياس من عناصر اللغات الحيّة يمدها بالقوة والنماء والنهوض والفتوة دائماً . وإن استقراء القواعد في حد ذاته ليس إلا ضربا من

ضروب القياس. فالقياس استنباط مجهول من معلوم. فإذا اشتق اللغوي صيغة من مادة من مواد اللغة، على نسق صيغة مألوفة في مادة أخرى، سمي عمله هذا قياسا. فالقياس اللغوي هو موازنة كلمات بكلمات أو صيغ بصيغ أو استعمال باستعمال، رغبة في التوسع اللغوي، وحرصا على اطراد الظواهر اللغوية. وقد توسع الكوفيون في القياس، وأباحوا النسج على القليل النادر. فلا يكادون يرون في الأساليب المروية شذوذا بل طرقا متباينة، لنا أن نتخير منها ما نشاء. وقد روي عن أبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب». ولا شك أن لحرية الرأي في الأمور الفلسفية والاجتماعية التي نمت وازدهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين، كان لها صدى في البحوث اللغوية أيضاً لا سيما في القياس.

وكان يناهض هذا التيار تيار آخر يقول: بالسماع. إذ احتّج اللغويون المحافظون بالسماع، فوقفوا في وجه التطور الذي تعنيه العربية وتدل على طبيعتها النامية. وما زال مع الأسف بعض اللغويين حتى اليوم، يتمسكون بهذا الاتجاه، ويحاولون ترقيع أمزاق الماضي والتعامي عن مطالب العصر، بل ويتحولون بالبحوث اللغوية إلى ما ينفر من العربية، ويجعلها مستحيلة على محبيها، ناهيك عن أعدائها...، هذا مع العلم أن حجة السماع واهية. فقد ورد على لسان أبي عمرو بن العلاء قوله: «ما انتهى اليكم مما قالت العرب إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لانتهى إليكم شعر كثير....» فالسماع مبني على الحفظ، وما لم يحفظ أكثر مما حفظ، مما يسوغ لنا أن نقبل ما يؤيده القياس، ويلغي ما يتمسكون به من قدسية السماع.

وقد حمل تيار الجمود بعض المحدثين على القول بأن الاشتقاق سماعي مقيد بأزمان خاصة وأشخاص معينين .

وعلى الرغم من أن الأقدمين جروا في الاشتقاق من الاسم المعرّب ، فقالوا : هندس ودرهم ، وخندق وقرطس . وجرى المعاصرون في اشتقاق كهرب وكهربائية من الكهرباء ، ومغنط ومغناطيسية من المغناطيس ، واشتقاق أكسد من المعرّب أكسيد . أقول على الرغم من ذلك كله ، فقد وجد في العصر الحديث من يمنع إعطاء ما عربته العرب من اللغات واستعملته في كلامها ، حكم كلامها ، فيشتق ويشتق منه ، بقولهم : « ومحال أن يشتق العجمي من العربي ، أو العربي من العجمي . . !!!!» .

ونحن نعتقد أن هذا مفهوم خاطىء فضلا عن جموده وإعاقته لحيوية اللغة . . . وهم في ذلك يشدون إلى مناقشات جدلية مبنية على قضايا غير مسلم بصحتها . . . في حين أن المشتقات تنمو وتكثر حين الحاجة إليها .

فقد كان العرب ، في علاقاتهم التجارية والسياسية مع الأقوام المجاورة ، منذ القدم ، يتناولون اللفظ الأعجمي ، فيصقلونه ويهذبونه بحسب أوزان لغتهم ومنطق لسانهم ، فيخرج من لسانهم كأنه عربي صميم . وهكذا فإن هذه الألفاظ تعتبر عربية فصيحة . فكيف يمكن بعد ذلك أن تعتبر لغات مستقلة أو أن تحافظ على عجمتها !!!! والرأي عندنا أنها ألفاظ عربية تخضع لقواعد اللغة ونحوها وصرفها ، دون أي تمييز ، إلا ما حكم به الذوق السليم ، في عذوبة الجرس وسهولة اللفظ . .

أما إشفاقهم على اللغة من الفساد ، وبطلان حقائقها ، فهي حجة واهية وغير مقبولة . واللغات الحية المعاصرة دليل على ذلك . فإن الدراسات اللغوية تبين أن أكثر من نصف ألفاظ اللغة الانجليزية ليست إنجليزية الأصل ، وأن أقل من نصف كلمات اللغة الفرنسية من أصل لاتيني والباقي من أصول يونانية وألمانية وانجليزية وايطالية ، وإسبانية وبرتغالية وعربية وهنغارية وعبرية وسلافية وتركية ، ومن لغات إفريقيا ، ومن اللغات الأسيوية ومن اللغات الأمريكيةالهندية . . .

وكما أن الحاجة ماسة في العصر الحديث إلى الاشتقاق من المعرّب ، فإن الاشتقاق من الجامد ليس بأقل أهمية . فقد وقف كثير من اللغويين بالاشتقاق من الجامد عند حد السماع . ففي لسان العرب في مادة (جرب) ورد :

«وجوربته فتجورب . أي ألبسته الجورب فلبسه» . وورد في محاضرات الراغب . « الحجاج لما جنق الكعبة» ، أي أنه اشتق فعلا من «المنجنيق» . وورد في نزهة الجليس قول الإمام علي عليه السلام : «مهرجونا كل يوم»وورد في نشوار المحاضرة : «فرطلتها» أي فوزنتها في يدي لأعرف ثقلها اشتقّه من الرطل . . .

ولا شك أن القياس في هذا الباب يفتح الباب واسعا أمام اللغة في استيعاب معاني التعامل مع الأدوات الحضارية الحديثة التي تدخل في حياة الإنسان بالعشرات والمئات كل يوم .

فالاشتقاق في أسماء الأحداث ضروري ، لابد منه ، ولا يجوز أن يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده . فإنه ربما نظر

إلى الفعل الذي تفعله كل أداة مستحدثة ، فإن استطعنا أن نشتق لها من فعلها أسماء فذاك ، وإلا نظرنا فيها على طريقة التعريب . فإن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري بصورة رئيسة ، إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب ، وقد يجمع بينهما .

التعريب

التعريب والإعراب في اللغة معناها واحد وهو الإبانة والإفصاح . يقال أعرب عن لسانه وعرّب أبان وأفصح . وتعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على مناهجها . تقول عرّبته العرب وأعربته أيضا . والمعرّب هو ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها .

وقد كان للعرب بعض مخالطة لسائر الألسنة في أسفارهم ، فعلقت من لغاتهم ألفاظ غيرت بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها في أشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ووقع بها البيان . وفي اللغة العربية من اللغات اليونانية والفارسية والسريانية والرومانية والحبشية والعبرانية والهندية الشيء الكثير . . .

فالمعرّب كثير في كلام العرب وفي علوم العرب قديما وحديثا . والاقتباس عام بين اللغات لا تستغني عنه أي لغة ما دام العلم مشاعا بين الأمم . . . . والعلم في نمو وازدياد ، فلا بد أن تزداد معه المصطلحات والمسميات . فالتعريب إذاً ضروري لحياة العلم . . . . ولا خوف منه على كيان اللغة . فإنما اللغة قائمة بحروف معانيها وأفعالها وصرفها ونحوها وبيانها وشعرها وخصائصها التي تمتاز بها ،

وأن بضع مفردات غريبة عنها قد التجأت إليها ، فأضفت عليها رونقها الخاص وطبعتها بطابعها ، لا تؤثر في جوهرها ولا في هويتها .

فالتعريب قد يكون آخر ما يلجأ إليه في النقل عندما لا توجد كلمة عربية تترجم بها الكلمة الأعجمية أو يشتق منها اسم أو فعل أو يتجوز منها مجاز أو ينحت منها لفظ .

واللفظ المعرّب يتبع قواعد التعريب في بنائه وتركيبه سواء أشبه العربي من كل وجه أو حافظ على ما يدل على أعجميته .

إن العلوم التطبيقية الحديثة وما تضيفه في كل يوم من الأدوات والمخترعات الجديدة تتطلب ألفاظاً كثيرة لهذه الآلات والأدوات . وكذلك فإن طبيعة بعض العلوم ، مثل الكيمياء والفيزياء الحديثة التي تتميز بهذا التطور الضخم السريع وبما تتميز به مصطلحاتها من حيث ارتباط ألفاظها بعضها ببعض ، كل ذلك يبرر لنا اللجوء إلى تعريب الألفاظ ، وإلا اختلط الأمر علينا وضاع الهدف وبقينا متخلفين عن اللحاق بالركب المتقدم والبدء في سلم المشاركة والإبداع .

فالتعريب يغني اللغة بذخيرة من الكلمات التي تعبر عن كل ظلال المعاني الأنسانية ، كما أنه يمدنا بفيض من المصطلحات العلمية الحديثة التي لا نستغني عنها في نهضتنا العلمية .

وكان هناك فريقان في أمر التعريب ، ففريق يذهب إلى وجوب أن تتبع الكلمة المعرّبة وزنا عربيا . فليس يكفي أن تتكلم العرب باللفظة الأعجمية حتى تغدو معرّبة . . . وفريق آخر وفيه سيبويه وجمهور أهل اللغة يذهب إلى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة

الأعجمية مطلقا ، يلحقونها بأبنية كلامهم حينا وحينا لا يلحقونها . بل وقد ذهب بعضهم إلى القول : إذا عربت الألفاظ الأعجمية ، وتمكنت لدى العرب ، صرفها العرب واشتقوا منها مثل : ديباج ، فرند ، زنجبيل ، لجام . . . . . الخ .

ونحن نرى ألفاظا كثيرة عربت وشاع استعمالها مع وجود نظيرها في اللغة . مما يدل على مرونة هذه اللغة وقدرتها على الاستيعاب والنقل من اللغات الأخرى دون حرج . فلم يصبها الفساد ولم تفقد هويتها بل على الضد من ذلك ازدادت غنى وخصوبة وأصبحت لغة عالمية للحضارة والفكر ، لفترة طويلة .

ومهما يكن من أمر ، فلا بد من إباحة التعريب بأوجهه المختلفة ، ونقل الأسماء الأعجمية إلى العربية بحروفها ، وذلك مثل أسماء الأعلام الأعجمية واللباس والشراب والطعام والأثاث والعقاقير الطبية غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات والنباتات التي لم يعرفها العرب ولا هي من بلادهم وغير ذلك . . . الخ .

ولعل من الواجب أن تتعارف جميع المؤسسات اللغوية على أصول يمكن اتخاذها قواعد للتعريب يقاس عليها ويجري على نسقها ، ويمكن تطبيقها والسير عليها في التعريب ، لكي تصبح الآداب العربية حيثما وجدت متحدة الألفاظ في المصطلحات ، فيسهل العلم وتوحد مناهجه ويعم نشره في جميع الأقطار العربية .

وإن ما يسمى باقتراض الألفاظ في اللغات الأخرى ليس سوى الوجه الآخر من التعريب الذي يبيح لنا نقل الألفاظ الأعجمية دون

تغيير أو تشذيب .

فقد أصبح اقتراض الألفاظ بين لغات أوروبا أمرا مألوفا . . وتحرص المعاجم المؤلفة لهذه اللغات على بيان الكلمات الأصلية ، والكلمات المقترضة مع ذكر اللغة المستعار منها . فهنالك لغات حديثة يتحرج أهلها في قبول كل أجنبي من الكلمات . . . وهنالك لغات ترحب بذلك الفيض الزاخر من الألفاظ المستعارة كالأنجليزية التي يؤكد لنا بعض الباحثين ، كما أشرنا سابقا ، أنَّ نصف كلماتها أجنبي الأصل . واقتراض الألفاظ في أغلب حالاته وليد الحاجة حينا أو الإعجاب حينا آخر ، كما رأينا في الألفاظ المعرّبة التي شاع استعمالها مع وجود نظيرها في الأصل .

النقل المجازي

وهو طريقة في التوسع اللغوي تستمد من اللغة نفسها ، وتفيد من عناصرها اللفظية المائتة والمهجورة . وهذا الأسلوب يطلق عليه اللغويون اسم المجاز مرة والنقل مرة أخرى ، أما المجاز فهو تسمية الشيء باسم شيء آخر يقاربه أو يتصل بسبب منه .

وقد يغلب استعمال لفظ في معنى ، على سبيل المجاز ، حتى يصير المعنى المجازي هو الذي ينساب إليه الذهن عند الإطلاق . ومن هنا يمكن بعث الكلمات القديمة للدلالة على معان حديثة بطرق النقل المجازي . ولا يلبث اللفظ لغلبة استعماله في المعنى المجازي ، لا يفهم منه عند التجرد من القرينة إلا هذا المعنى ، مثال ذلك :

المدرعة ، الغواصة ، الطيارة ، السيارة ، الحافلة . . . الخ .

النحت والتركيب

التركيب أمر من أمور النحت ، فالكلمتان تتركبان ، إحداهما بجانب الأخرى في كلمة واحدة ، وبتحات من أجزاء كل منهما ، تنتهيان إلى وضع هو النحت عينه . ويرى بعض اللغويين أن النحت والتركيب أمر واحد ، بل ويذهبون الى أنهما لون من ألوان الاشتقاق . وكان القدماء يطلقون «التركيب» على النحت كما هو رأي الخليل . ومن اللغويين المعاصرين من يعبر عن النحت في معناه الاصطلاحي «بالتركيب والاختزال» .

ويعرف القدماء النحت بقولهم : إنه استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر .

فالنحت وجه من وجوه نقل الكلمات الأعجمية التي لا مقابل لها إلى العربية . والمنحوت من كلام العرب الذي وقع في اللغة كثير مثل : البسملة والحمد له . . . أما أمثلة النحت المنسوب فهي كثيرة مثل: عبشمي ، وعبدري . . الخ وعلى الرغم من اختلاف آراء المعاصرين في التوسع باستعمال النحت في اللغة الحديثة ، إلا أنهم يجمعون على أن النحت السائغ يزيد العربية الحديثة غنى . فهناك من يقول بعدم الحاجة إلى النحت ، لا لشيء إلا لأن علماء العصر العباسي على حد قوله لم ينحتوا كلمات علمية . وآخرون يقولون إنهم لا يركنون إليه في المصطلحات الجديدة إلا نادرا لا لسبب إلا

لأنه على حد قولهم نادر في العربية . . . الخ . وهنالك فريق معاصر آخر يرى في النحت وسيلة لأغناء العربية الحديثة ، وطريقا في التوسع يكفل لها مواكبة الحضارة وعلومها .

ألا ترى أننافي كثيرمن الأحيان نعبرعن بعض المعاني العلمية بتراكيب متنوعة . فإذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة يمكننا أن نستمر في استعمالها على حالها ، أما إذا كانت طويلة وصعبة فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها . ومؤدى هذا الرأي أنه يقول بقياسية النحت عند الحاجة ، ولا شك أن هذا طريق سوي من طرق نمو اللغة وتطورها . فقد قال المتقدمون مثلا : اللامتناهي ، اللاضروري ، اللاأدرية» . ونقول الآن : اللاسلكي ، اللامركزي ، اللاشعوري . . الخ

لقد برهن بعض الباحثين المعاصرين على ضرورة جعل النحت قياسيا لكي يستخدم في مصطلحات العلوم الحديثة ولا سيما في المصطلحات الطبية . ولكن مع ذلك كله ما زال كثير من اللغويين يقفون من ظاهرة النحت موقف المتردد في قبول قياسيته ، وما زالوا يرون الوقوف عند حد السماع .

ونحن لا نرى في هذا التطبيق إلا إعاقة لمسيرة اللغة ، في الوقت الذي تبحث فيه اللغة عن جميع امكاناتها وخصائصها لكي تستوعب طوفان الحضارة الحديثة في أدواتها ومعارفها وعلومها . . . الخ وربما كان من المفيد أن نفتح باب القياس في النحت على مصراعيه ، على أن يراعى فيه أوزان الكلمة العربية وانسجام الحروف عند تأليفها . . . فالمصطلحات العلمية المركبة من عدة كلمات ،

ثقيلة الاستعمال . وتتجه جميع اللغات الحية إلى جعلها قصيرة مستساغة . وليس أمامنا ، ونحن في دور التجديد السريع ، إلا أن نفيد من تجارب اللغات الحية ، فإما أن نعرب بالنقل وإما أن ننحت من «المصطلحات الوصفية» كلمات مفردة مستساغة لا ولَبْس فيها ، بحيث يصبح لكل مصطلح علمي مقابل عربي مكوّن من كلمة واحدة ذات معنى محدد .

الطرق الكفيلة بتمكين اللغة العربية من مسايرة التطور العلمي والتقني :

لقد اجتازت اللغة العربية في عصورها الذهبية محنة الترجمة أيام العباسيين حتى أصبحت في طليعة اللغات العلمية . ثم جاءت عصور الانحطاط فغيرت مقومات العربية كتابة وكلاما ، وجمد نشاطها حتى أصبحت مفتقرة إلى المصطلحات العلمية والفنية . . . وقد بلغ بها الحال في نهاية القرن التاسع عشر وأوائل العشرين أن لا يرى لها أثر إلا بين أناس يعدون على الأصابع ، إذ كان لسان التدريس وأغلب الصحف باللغة التركية . وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت حركة عربية نشطة تعنى باللغة العربية وبالتراث العربي ، وازدهرت حركة التعريب . وكانت تساير في قوتها وضعفها ، قوة النضال الاستقلالي والتحرر من قيود الاستعمار . فقد انبعثت حركة المجامع اللغوية في العقد الثاني من القرن العشرين . فتأسس المجمع اللغوي في دمشق . وفي ١٩٢٦م تأسس المجمع اللغوي العراقي وكذلك قام المجمع اللغوي في القاهرة . وكان القصد الأسمى لانبعاث حركة

المجامع ، العمل لإعداد لغة قومية شاملة في مفرداتها واصطلاحاتها الاستعمالية لاستيعاب المعاني الحضارية المستجدة . قامت هذه المجامع اللغوية ، يعضدها جهود لغويين كثر بانجازات مشكورة ، ولكنها لم تحقق الهدف الذي من أجله وجدت . وليس من شأننا الآن أن نقوم هذه الجهود . فقد كانت هنالك انجازات مهمة وتخبطات اتخذها أعداء اللغة العربية للتشنيع والتشهير والسخرية لكي يعيقوا تيار التعريب بل وللقضاء عليه إذا ما سنحت لهم الفرصة .

لقد رأينا فيما سبق أن اللغة العربية ، تحمل في طياتها وفي حقيقة تركيبها ووجودها ، أدوات تعتبر من خصائصها الأساسية ، تكفل لها النمو والتطور المتجدد لاستيعاب معاني جميع ما يبدعه الإنسان ويصنعه في حياته المادية والفكرية . وليس هذا بالأمر الجديد على العربية لكي نخشى منه عاقبة الإخفاق . فقد مرت العربية بهذه التجربة من حيث المبدأ وذلك في عصورها التاريخية الزاهرة . ومن هنا نستطيع أن نستخلص القول : إن تعريب العلوم أو عدم تعريبها ، وإن تعريب التعليم الجامعي بفروعه العلمية المختلفة ، أو عدم تعريبه هي قضية لا علاقة لها بطبيعة اللغة العربية أو بقدرتها على الاستيعاب ، ولكنها قضية تتعلق بتيار سياسي يعادي العروبة وتراثها ولغتها وبالتالي يعادي الأمة في جميع أقطارها ، ويمنعها من المسيرة في مدارج الحرية والاستقلال الحقيقي . فإن أيسر مبادىء التربية تقول : يستطيع الفرد أن يستوعب بلغته القومية أضعاف أضعاف ما يستطيع استيعابه باللغة الأجنبية ، مهما كانت درجة اتقانه لهذه اللغة . هذا فضلا عما سبق وأشرنا اليه من حيث أن الإبداع والابتكار مرتبطان

ارتباطا عضوياً باللغة الأم أي باللغة القومية .

نقول إن قضية التعريب وعدمه مرتبطة بهذا التيار من ناحية ، ومن ناحية أخرى ترتبط بذلك التيار الجامد المتقوقع على نفسه ، المتفيهق والمتقعر بلغته ، والمتنطع في أسلوبه . فإن هذا التيار مع الأسف من حيث النتيجة هو الذي يمد تيار المتنكرين للعربية وتراثها وقيمها بالحجج العاجزة .

وهنالك من يقول بتعريب المصطلحات العلمية والدوريات الأجنبية وأمهات المصادر والمراجع العلمية الموضوعة باللغات الأجنبية الحية أولا ، لكي نبدأ تعريب التعليم الجامعي لا سيما في الكليات العلمية . وهذا يعني أيضا من حيث النتيجة أن نبقى تبعا ، متأخرين عن التيار العلمي . فإن البحوث العلمية والمخترعات ، تضيف إلى المعارف الإنسانية كل يوم عشرات الألفاظ . ونحن نعتقد أنه لا خيار لنا عن أن نبدأ بممارسة حركة التعريب في مجالاتها المختلفة وبأدوات هذه اللغة النامية المتطورة ، التي أوضحناها سابقا . فإن التفاعل بالممارسة العلمية الجادة ، وتوطيد العزم على ذلك ييسر لنا التغلب على العقبات التي اجتازتها أمم حديثة لم تكن للغتها القومية الأسباب المتوافرة في خصائص العربية . وخلاصة القول : فإن الوسائل التي يمكن الاستفادة منها ، بصورة رئيسة ، لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة تتخلص في ثلاث طرق أصلية هي :

١) الاشتقاق ٢) التعريب ٣) النحت . ونحن نعتقد أن الآراء المختلفة حول مدى استخدام هذه الأداة أو تلك أو حول التحفظات أو

التحديدات التي يبديها بعض اللغويين على استعمال هذه الأدوات لا يمس جوهر اللغة في شيء . فكيف يمكن أن يكون غنى اللغة في وسائل نموها سببا لأعاقتها من التقدم ومواكبة الحضارة العالمية !!!

لجأت بعض المجامع اللغوية إلى وضع أولويات في استخدام أدوات نمو اللغة ، مثل الاشتقاق والنحت ، مدفوعة بحرصها على سلامة اللغة . فوضع المجمع اللغوي العراقي عند تأسيسه سنة ١٩٢٦م خطة في وضع الكلمات والمصطلحات العلمية . جاء فيها : إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة الاشتقاق وإما على طريقة التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما ، ويرجع إلى النحت عند الحاجة . . . . وكذلك : لا يذهب إلى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا اذا لم يعثر في اللغة على ما يؤدي معناها . بخلاف التعريب ، فإنه يجوز تعريب كلمة اعجمية مع وجود اسم لها في العربية ، وكذلك : يرجّح الشائع المشهور من المولد والدخيل على الوحشي المهجورمن الكلمات التي في معاجم اللغة : وهذه قواعد جميلة يقبلها المنطق والحرص على رونق العربية وجمالها . ولكنها لا يمكن أن تكون سببا في إعاقة مسيرة اللغة بحجة القصور في العمل أو الإمعان في التدقيق والاختيار . . . . فليس المقصود مطلقا الوصول إلى المصطلح الذي لا يمكن أن يفضله مصطلح آخر . . . الخ . وقد أشرنا إلى الطبيعة الرمزية للألفاظ فيما سبق .

أما مجمع اللغة العربية في القاهرة فقد حدد طريقة في وضع المصطلحات بالتنقيب عنها أولا في كتب اللغة والعلم القديمة . فإذا وجدها اعتمدها . وإذا لم يجدها لجأ إلى الاشتقاق أو المجاز أو

النسب أو التصغير ، أو نحو ذلك من القوانين اللغوية ، حتى تكون ثروة مستمدة من أصولها ومواردها فنستغني بها عن سواها ، وتستطيع أن تثبت أمام جيوش الألفاظ الأجنبية التي تحاول أن تغزوها . . . ويجيز المجمع استعمال بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم .

ونحن نعتقد أن هذه التحفظات والتحديدات والمناقشات المطولة ، والمخاوف التي لا أصل لها ، قد أعانت بالنتيجة ، ومن حيث لا نقصد ، السياسة المعادية للغة العربية . وهنا يجب أن لا يغيب عن بالنا المصالح الشخصية والامتيازات التي يدافع عنها أولئك المتخصصون الذين يعتبرون التعريب تهديدا مباشرا لمصالحهم الشخصية .

الخاتمة

إن لغتنا العربية تواجه في هذه الفترة العصيبة من حياة أمتنا أخطارا تداهمها ، من العدو الأجنبي ، ومن بعض أبنائها مع الأسف . وإن الواجب يقضي على الغيورين على لغتهم والحريصين على بقاء أمتهم وتدعيم حريتها واستقلالها ، أن يتكاتفوا من أجل بعث حركة لغوية متطورة وذكية ، تصبح بنتيجتها اللغة العربية لغة العلم والأدب والحضارة . تستوعب المصطلحات العلمية ، وتؤهل علماءها للمشاركة والأبداع .

فالمصطلحات العلمية هي الرافد الأساسي للمعاجم والنهوض باللغة على وجه العموم ، وهي تشمل ألفاظ الحضارة الحديثةفي شتى

فروعها : في المعرفة النظرية وفي التطبيقات العلمية . ولا يراعى في الاصطلاح إلا الأفضل مما اشتد إليه مسيس الحاجة ولو كانت الكلمة أعجمية الأصل .

وأخيرا فنحن نود أن نجمل اقتراحاتنا على الوجه التالي :

١) لقد حان الوقت لتأسيس مجمع لغوي واحد ، تعاونه المؤسسات اللغوية الأخرى في مختلف الأقطار العربية تكون مهمته اعداد المفردات والاصطلاحات الاستعمالية الضرورية بالسرعة اللازمة ، على أن تلتزم جميع الحكومات العربية ومؤسساتها العلمية والثقافية بالتنفيذ . ويدعم هذا المجمع اللغوي دعما ماليا ومعنويا . ونحن نتطلع لأن يكون اتحاد المجامع اللغوية نواة فعالة لهذه المؤسسة .

٢) ايجاد هيئة جامعية ، تحشد فيها كفاءات ممتازة من أجل ترجمة الدوريات والحوليات والموسوعات العلمية المشهورة ونشرها باللغة العربية .

٣) على المؤسسات العلمية العربية اتخاذ خطوات ايجابية في التعاون والتشاور لرفع المستوى العلمي ، ولكي نتمكن من جعل العربية لغة رسمية للتعليم الجامعي .

٤) توطيد الصلات الأدبية بين العلماء والمفكرين والمعلمين في الأقطار العربية .

٥) يفتح باب الوضع للمحدثين على مصراعيه بوسائله المعروفة في نمو اللغة ، وأن يرد الاعتبار إلى المولد ليرتفع إلى مستوى

الكلمات القديمة ، وأن يطلق القياس في الفصحى ليشمل ما قاسه العرب وما لم يقيسوه ، وأن يطلق السماع من قيود الزمان والمكان ليشمل ما نسمع من طوائف المجتمع كالحدادين والنجارين والبنائين وغيرهم من كل ذي حرفة . وأن قبول المسموع الشائع من هذه اللغات الأجنبية التي دخلت إلى لغة المصانع والحرف والمختبرات ، ولا سيما على نطاق البلاد العربية ، يوقعنا في البلبلة والترادف ، وهنا يأتي دور المجمع اللغوي الموحد الذي أشرنا اليه . فالألفاظ الدخيلة في عامية كل قطر من الأقطار العربية تختلف باختلاف المؤثرات السياسية والاجتماعية . . الخ .

٦) هناك مخاطرة في ترك علماء اللغة يعملون وحدهم ، دون أن يعمل معهم علماء مختصون في المادة التي يعرض لها الباحث ، وذلك بسبب الجهل بمادة العلم نفسه .

٧) وضع معجم تاريخي للألفاظ العربية ، بحيث يبين المعاني المختلفة التي دلت عليها من خلال النصوص وعبر العصور حتى وقتنا الحاضر .

٨) وضع معجم لغوي جامع حديث في ترتيبه وسعة مادته واستجابته لمطالب العصر ، تتعاون في وضعه الأقطار العربية وتلتزم باستعماله .

٩) العناية بتحقيق المخطوطات العربية وإحياء ما في المصادر العربية القديمة في مجال اختيار المصطلحات العلمية .

١٠) القيام بحفريات في الجزيرة العربية بحيث يكون للمجامع والمؤسسات اللغوية مساهمة في اعداد التاريخ العربي القديم .

ونحن نعتقد أن تطوير اللغة العربية وجعلها لغة التعليم بجميع فروعه وجميع مؤسساته وكلياته ، يعتمد قبل كل شيء على تبني سياسة التعريب . وأن اتخاذ القرار والاندفاع في تطبيقه وممارسته بتوفير جميع المتطلبات اللازمة هو المنطلق الحقيقي في معالجة هذه القضية القومية والحياتية للأمة .

المصادر والمراجع

ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، الطبعة الثانية ، القاهرة .
أحمد تيمور ، السماع والقياس ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
أحمد عيسى ، التهذيب في أصول التعريب ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٣ م .
أسعد علي ، تهذيب المقدمة اللغوية للشيخ عبد الله العلايلي ، بيروت ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
التنوخي القاضي - أبو علي المحسّن بن علي ، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالحي ٥ أجزاء ، ١٩٧١ - ١٩٧٢ .
الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد ، ٤٦٥ - ٥٤٠ هـ ، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، طهران ، ١٩٦٦ .
الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم حسين بن محمد ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، بيروت ١٩٦١ .
السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جزءان ، القاهرة ، ١٣٧٨ - ١٩٥٨ .
عثمان سعدي ، قضية التعريب في الجزائر ، القاهرة .
اللسانيات ، مجلة في علم اللسان البشري ، معهد العلوم اللسانية والصوتية ، المجلد الأول ، العدد (٢) جامعة الجزائر .

محمد الخضر حسين ، دراسات في العربية وتاريخها ، دمشق .
محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
محمد رضا الشبيبي ، تراثنا الفلسفي ، بغداد ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ، الطبعة الثانية ، بغداد ١٣٨٥ - هـ - ١٩٦٥ م .
المكي ، العباس بن علي بن نور الدين الحسيني الموسوي ، نزهة الجليس وقية الأدب الأنيس ، النجف ، ١٩٦٧ م .
ابن منظور ، لسان العرب
المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق ١٩٥٦ .
CH.BRUNEAU. Petite histoire de la Langue Francaise Tome Psemier, Paris, 1966.

دور التراث العلمي في تعريب العلوم والتقنيات

شهد وطننا العربي في السنوات الأخيرة حملة خَيِّرة ، تهدف إلى استعادة اللغة العربية مكانتها الحضارية ، من حيث كونها لغة الأدب والفكر ، ولغة الفن والعلم في مجالاته المختلفة . وأدركت أمتنا العربية في أقطارها الممتدة من أفريقيا إلى آسيا ، أنّ تَحَرُّرها الوطني واستقلالها السياسي لا يمكن أن يتكامل إلا باستعادة هويتها من خلال لغتها العربية . وليست هذه اللغة مثل سائر اللغات القومية ، وإنما تتميز عنها جميعا بميزتين أساسيتين : أولاهما أنها لغة القرآن الكريم الذي حفظها وأعطى لأمتنا العربية مُقَوِّم وجودها الحضاري والإنساني ، وثانيتهما تلك التجربة التاريخية الخصبة التي مَرّت بها هذه اللغة ، عندما استطاعت في فترة من تاريخها الزاهر أن تستوعب حصيلة المعرفة الإنسانية ، وتصبح بعد ذلك لغة العلم والحضارة في العالم أجمع ولعدة قرون .

وليس تعريب العلوم والتقنيات الحديثة استكمالا للهوية السياسية والقومية فحسب ، وإنما هو ركن أساسي من أركان نهضة الأمة في محاولتها اللحاق بركب الحضارة ، والمشاركة الفعالة المبدعة في جميع مجالات المعرفة . فانبرت دول ومؤسسات علمية في أقطار العروبة ، تأخذ على عاتقها الدعوة لبحث المشكلات والقضايا التي يمكن أن تُيَسّر عملية هذه النقلة التاريخية في حياة أمتنا ، بحيث تصبح اللغة العربية لغة العلوم والتقنيات الحديثة ، ولغة البحث والتدريس في الجامعات في مختلف فروع المعرفة . ومنذ سنة

اثنتين وستين ، طُرحت جميع جوانب هذه القضية في مؤتمرات التعريب في الرباط والجزائر وطرابلس وبغداد ، ونُظمت الندوات العلمية حول هذا الموضوع الحيوي في مجامع اللغة العربية وفي الجامعات . . . وفي هذا النطاق الخيّر عُقِدت أيضا ندوة للتعريب في جامعة الخرطوم في السودان الشقيق .

وقد تمخّضت تلك المؤتمرات والندوات عن أبحاث مهمة ، عالجت مختلف القضايا التي تتصل بعملية التعريب بمعناها الواسع ، وانبثقت عنها توصيات ، لم يَحْظَ معظمها بالمتابعة والتنفيذ . ومن أهم النتائج التي توصلت إليها تلك المؤتمرات أن قضية التعريب قضية تتصل ، من حيث الأساس ، بالارادة السياسية للدولة ، وبقرار سياسي تتخذه الدولة في أعلى مؤسسات السلطة .

لا شك أن عملية تعريب العلوم والتقنيات الحديثة تطرح قضايا لغوية وفنية مهمة ، تكون موضوعا للدراسة والبحث . وقد حان الوقت لكي ننتقل من الحديث عن التعريب وقضاياه ، إلى الخوض في تعريب العلوم والتقنيات الحديثة ، والممارسة الفعلية لتعريب التعليم الجامعي في جميع أنواع المعرفة ، وجعل اللغة العربية لغة البحث العلمي والتدريس في جميع الكليات وعلى مختلف المستويات .

حقا لقد خاضت اللغة العربية تجربتها التاريخية عندما استطاعت أن تستوعب حصيلة ما وصل إليه الإنسان إذ ذاك من المعارف والعلوم ، فأرست قواعد وأصولا واضحة في اختيار الألفاظ اللغوية الدالّة على تلك المعاني والمصطلحات العلمية . وكان

نتيجةَ ذلك كلّه تراثٌ لغوي وعلمي ضخم ، يشكّل رافدا مهما من روافد إثراء هذه اللغة في مواجهة عملية التعريب الحديثة في أوسع معانيها .

فاللغة العربية تواجه في الوقت الحاضر علوما حديثة تنمو وتزداد بسرعة كبيرة ، وتنبىء بتحوّلات مثيرة تجعلنا نعتقد أن الإنسان يقف في فجر حضارة جديدة . وهذا الحال يختلف كليا عن الحال الذي واجهته لغتنا في تجربتها الأولى ، عندما نشط المترجمون في نقل حصيلة المعرفة الإنسانية إليها من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والسريانية وغيرها . . . ولا شك أن مثل هذا الوضع يحتّم ظهور صعوبات أساسية في مجالات الترجمة والتعريب ، لا بد من معالجتها في ضوء معطيات العصر الحديث ووسائله التقنية الهائلة . وإن النظر إلى الصعوبات والقضايا التي تطرحها عملية التعريب بمعزل عن الوسائل والإمكانات التقنية الهائلة التي يوفرها العلم الحديث ، يجعل الصورة خاطئة ومزيفة تبعث على اليأس والنكوص . ومن أهم القضايا التي تطرحها عملية التعريب ، موضوع المصطلحات العلمية ، من حيث وضعها وتشذيبها وتوحيدها ، وجعلها حيّة نامية ، تواكب تقدم العلم وخطواته الواسعة . وإن اتصال الماضي بالحاضر شرط أساسي في نهضة الأمم وتقدّمها ، وأكثر ما يتجلى فيه هذا الاتصال لغة الأمة . وغني عن البيان أن اللغة العربية تتميز بهذه الصفة التي لا تكاد تشاركها فيها لغة من اللغات ، من حيث المواصلة والقدرة على التفاهم بين الحاضر والماضي . ولا شك أن هذه الثروة اللغوية الضخمة الممثلة بتراث أمتنا ، ترفد لغة الحاضر في محاولتها

لاستيعاب المعاني الحضارية والعلمية الجديدة ، وتحديد مصطلحات لها .

فالتراث العلمي العربي يُمِدّنا في الوقت الحاضر بثروة لغوية كبيرة ، يمكن أن تكون مادة خصبة من أجل استيعاب المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة في إطار خصائص اللغة العربية ، والأصول اللغوية التي أرستها تلك التجربة التاريخية في حياة هذه اللغة ، عندما واجهت لأول مرة في تاريخها موضوع المصطلحات العلمية ، واستيعاب حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني إذ ذاك . وهذه الأصول التي نبعت من طبيعة اللغة العربية وخصائصها ، تُمِدّ لغتنا بالحياة ، وتجعل منها لغة متطورة ونامية ، مطواعة لاستيعاب كل ما يجدّ في حضارة الإنسان وثقافته وعلومه . وبذلك أصبح الاشتقاق والمجاز والإبدال والنحت والتعريب ، بنوعيه وفق مفهومه التاريخي المحدد ، وسائل نمو اللغة العربية وشرايين الحياة فيها . وقد وجد العلماء العرب في الاشتقاق مثلا مجالا واسعا لتنمية اللغة ومدّها بالمصطلحات العلمية . ولم يقتصروا على الاشتقاق من أسماء المعاني ، بل اشتقّوا أيضا من أسماء الأعيان فقالوا : «ذهَّبَ» من الذهب ، و«فضَّض» من الفضة ، و«دَرْهَم» من الدرهم ، و«حَدَّد من الحديد . . . الخ .

واشتقّوا أيضا من أسماء الأعيان المعربة فقالوا : «هَنْدَس» من الهندسة ، و«مَنْطَقَ» من المنطق . . الخ .

واستخدم العلماء العرب خصائص «المجاز» في اللغة العربية ، من حيث هو لفظ ينقل المتكلمُ معناه الأصلي الموضوع له ، إلى

معنى آخر بينه وبين المعنى الأصلي علاقة . وكان المجاز وما برح من أنجع الوسائل في تنمية اللغة العربية ، وفي جعلها صالحة لاستيعاب العلوم والتقنيات الحديثة . والأمثلة على ذلك كثيرة . وقس على ذلك موضوعات الإبدال والنحت والتعريب ، ولكن على مستويات مختلفة من حيث الرأي والاجتهاد ، هذا فضلا عن اللجوء إلى ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها .

ونحن إذا ألقينا نظرة تاريخية شاملة على هذه الحركة اللغوية في مواجهة المصطلحات العلمية ، واستيعاب ما وصل إليه العقل الإنساني في شتى مجالات المعرفة ، لا بد أن نقف طويلا عند الكندي ، أبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، فيلسوف العرب وأحد أبناء ملوكها ، وقد عاش في نهاية القرن الثاني الهجري وفي النصف الأول من القرن الثالث . ويُعتبر الكندي من أوائل الفلاسفة العرب الذين تأثروا بحركة ترجمة المعارف القديمة عن اليونانية والسريانية والفارسية والهندية وغيرها . . . فواجه الكندي مع من واجه من المشتغلين بالترجمة والنقل إلى اللغة العربية ، موضوع مصطلحات علمية ليس للغة العربية عهد بها ، أو تجربة سابقة .

وقد وضع الكندي رسالة من المصطلحات سماها «رسالة في حدود الأشياء ورسومها»[(١)] وبذلك رُبَّما يكون أول من وضع معجما للمصطلحات العلمية وصل إلينا . واشتملت هذه الرسالة على ثمانية وتسعين مصطلحا فلسفيا ، جميعها من أصل عربي ؛ باستثناء مصطلحين اثنين فقط هما : «فلسفة ، واسطقس» . ولم يكتف

(١) طبعت في «رسائل الكندي» جـ ١ ، ص ١٦٥ ـ ١٧٩ القاهرة ، ١٩٥٠م .

الكِنْدي بوضع المصطلحات العلمية والفلسفية ، لكنه عمل على تعريف هذه المصطلحات وتحديدها . فتناولت هذه التعريفات المنطق ، والرياضيات ، والطبيعة ، وما بعد الطبيعة ، والنفس ، والأخلاق ، وغيرها ، مثال ذلك :

الإبداع : إظهار الشيء عن ليس[1] .

الأزلي : الذي لم يكن ليس ، وليس بمحتاج في قوامه إلى غيره ، والذي لا يحتاج في قوامه إلى غيره فلا علّة له ، وما لا علّة له فدائم أبدا[2] .

الأسطقس : منه يكون الشيء ، ويرجع إليه منحَلاّ ، وفيه الكائن بالقوة ، وأيضا : هو عنصر الجسم ، وهو أصغر الأشياء من جملة الجسم[3] .

التوهم : هو الغنطاسيا ، قوة نفسانية مدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها . ويقال : الغنطاسيا وهو التخيّل ، وهو حضور صور الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها[4] .

الجوهر : هو القائم بنفسه ، وهو حامل للأعراض لم تتغير ذاتيته ، موصوف لا واصف ، ويقال : هو غير قابل للتكوين والفساد . . . الخ[5] .

(١) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٥ .
(٢) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٩ .
(٣) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٨ .
(٤) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٧ .
(٥) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٦ .

الجرم : ما له ثلاثة أبعاد(١) .

وعلى هذا المنوال ينسج الكندي من حيث عنايته بايجاد المصطلح المكافىء باللغة العربية عن طريق الاشتقاق وإحياء الكلمات المهجورة . ومن أمثلة محاولته إحياء الكلمات المهجورة ، لكي ترمز إلى معان علمية مستحدثة ، نورد الأمثلة التالية :

الذحل : هو حقد يقع معه تَرَصُّد فرصة الانتقام . واسم الذحل في اللغة اليونانية مشتقّ من الكمون والرصْد(٢) .

الضغد : انضمام أجزاء الهيولي لعلّتين : إما أن تكون أجزاؤها غير متمكنة للتقارب ، فاذا عرض لها عارض تقارب أجزاؤها ، يسمى ذلك عصوا «عصا الجرح شدَّه» ، أو لأن يكون كالوعاء مملوءاً فينضم أجزاؤها ، يسمى ذلك عصوا(٣) .

وكان الكندي في جميع مؤلفاته قَلّما يلجأ إلى التعريب بمفهومه المحدد ، إلا عندما يتحدث عن كتب أرسطو ، حيث نجده يستعمل مصطلحات مثل باريار مانياس ، انولوطيقي و«بولوطيقي» و«بوليطيقيا» . . الخ ، ولكنه مع ذلك كان يعنى بوضع تعريفات محددة لهذه المصطلحات . مثال ذلك :

باربار مانياس : . . . يعني تفسير ما يقال في المقولات ، وقرنها لتكون قضايا : موضوع ومقول ، أعني من حامل

(١) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ١٦٥ .
(٢) رسائل الكندي الفلسفية ، جـ ١ ، ص١٧٦ .
(٣) رسائل الكندي الفلسفية ، جـ ١ ، ص١٧١ .

ومحمول (1) .

انولوطيقي الأولى : ومعناه العكس من الرأس(2) .
بولوطيقي : أي المدني (السياسة المدنية)(3) .
بوليطيقيا : ومعناه الشعري(4) .
ريطوريقا : ومعناه البلاغي(5) .

ونلاحظ أن هذا اللون من المصطلحات المعرّبة محدود جدا في استعمالات هذا الفيلسوف العربي، الذي أحصى له ابن النديم تصانيف يربو عددها عن مئتين وأربعة وأربعين ، ما بين كتاب ورسالة ، تناولت موضوعات شتّى في الفلسفة والمنطق والحساب ، والموسيقى والنجوم والهندسة والفلك والطب وغير ذلك من المعارف . ولم يصل إلينا من هذه التصانيف إلا القليل مع الأسف . وربما أن بعضها قد ضاع إلى الأبد ، وربما ما زالت تائهة تنتظر من يكشف عنها ويحققها ، لكي تصبح سائغة أمام الباحثين والدارسين . وإن أهمية هذه التصانيف تكمن في قيمتها التاريخية من الناحية العلمية ، فضلا عن قيمتها اللغوية في مجال المصطلحات ، إذ هي رافد مهم من أجل إثراء اللغة الحديثة في مواجهتها للعلوم والتقنيات .

وإن نظرة شاملة في هذه التصانيف التي وصلت إلينا ، توضح لنا مدى أهمية هذا الرافد اللغوي في مجال المصطلحات .فهنالك

(٢) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ٣٦٦ .
(٢) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ٣٦٧ .
(٣) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ .
(٤) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ٣٦٨ .
(٥) رسائل الكندي ، جـ ١ ، ص ٣٦٨

مصطلحات تولى الكندي شرحها بنفسه ، كما أشرنا ، وهنالك مصطلحات فلسفية ومصطلحات في الكيمياء والعلوم العملية ، وهناك مصطلحات في الموسيقى وفي الطب والصيدلة . . . الخ .

ونحن إذا تركنا الكِندي إلى الجاحظ ، الكاتب العقلاني الضخم ، وقد كانا متعاصرين ، نجد أنفسنا أمام مدرسة واحدة من حيث الأصالة اللغوية في مجال المصطلحات العلمية ، وتطويع اللغة العربية لاستيعاب جميع ما وصلت إليه المعرفة الإنسانية ، والمشاركة الفعالة المبدعة في ميادينها المختلفة . . . وكان الجاحظ ، على حد تعبير ياقوت في معجم الأدباء ، «واسع العلم بالكلام ، كثير التبحّر فيه ، شديد الضبط لحدوده ، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين والدنيا»[١] . وقد وضع الجاحظ تصانيف كثيرة في مواضيع شتى ، أورد ياقوت قائمة طويلة بأسمائها ، كما أن الجاحظ نفسه ذكر عدداً كبيراً منها في مقدمة كتابه (الحيوان) . . . . وكان ابن العميد يقول : «إن كتب الجاحظ تعلّم العقل أولاً والأدب ثانياً»[٢] .

وفي مجال المصطلحات العلمية ، نجد الجاحظ يستخدم مصطلحات عربية الأصول ، كما يستعمل أخرى معربة ، شأنه في ذلك شأن علماء عصره . ونجده يشارك الكندي في نهجه ، فيقوم بتعريف المصطلحات في كثير من المواضع ، حيثما كان يشعر أن ذلك المصطلح بحاجة إلى تعريف أو تفسير .

---

(١) انظر معجم الأدباء ، جـ ١٦ ، ص ٧٥ .
(٣) انظر وفيات الاعيان ، جـ ٣ ، ص ٤٧٣ .

وفي هذا المجال نكتفي بالاشارة إلى كتابه الرائع «الحيوان»، حيث يلجأ الجاحظ أحيانا إلى تفسير «المصطلح» . . . مثال ذلك :

الامغال : الوقت الجيد في الحمل ، على الشاء أن تخلى سبعة أشهر بعد ولادها ، فإن حمل عليها في سنة مرتين فذلك الامغال[1] .

قلوص : ويقال للأنثى من ولد النعامة قلوص على التشبيه بالنعام من الابل .

المراءَسة : والمراءسة أن يخرج الضب الرأس ويدع الذنب .

النهار : والنهار فرخ الحبارى .

الخلاسيّ : «ورأينا الخلاسي من الناس ، وهو الذي يتخلّق بين الحبشي والبيضاء» .

المضبّب : والمضبّب هو الذي يصيد الضِباب .

الرِّكاز : والرِّكاز الذي ليس للفقراء فيه نصيب[2] .

المغناطيس : والمغناطيس الجاذب للحديد إذا حلّ عليه الثوم لم يجذب الحديد[3] .

وأحيانا يستغني الجاحظ عن إيراد التفسير ، وذلك باستعمال المصطلح ، حيث يغني السياق عن التفسير . مثال ذلك :

---

(١) الحيوان ، جـ ٥ ، ص ٥١٩ .

(٢) الحيوان جـ ١ ، ص ١٠١ .

(٣) الحيوان ، جـ ٤ ، ص ١١٢ .

البنكابات : «وملوكنا وعلماؤنا يستعملون بالنهار الاسطرلابات وبالليل البنكابات ، ولهم بالنهار سوى الاسطرلابات خطوط وظِلّ يعرفون به ما مضى من النهار وما بقي»[1] .

الفِلِزّ : وفي الأرض عيون نار . . وأصناف جميع الفلز من الذهب والفضة والرصاص والنحاس .

وفي مجال الحياة الاجتماعية والأدوات الحضارية ، نرى الجاحظ لا يتوانى مطلقا في أخذ هذه الكلمات والمصطلحات الأعجمية ويجري عليها رونق العربية ، كما فعل في جمع «اسطرلاب» على اسطرلابات وغيرها ، ويدخلها إلى اللغة العربية بأسلوبه الجميل وروحه الفكهة الساخرة أحيانا ، والأمثلة على ذلك كثيرة لاسيما في كتابه القيِّم «البخلاء» . . . ويعتبر هذا الكتاب مصدراً مهمّاً في دراسة المجتمع العباسي إبان ازدهار بغداد والبصرة في عهد الجاحظ ، فإنه أيضاً مصدر لغوي مهم في الدلالة على الألفاظ والمصطلحات الفلسفية ، وتلك الخاصة بالطبقات والفئات الاجتماعية فيما يتعلق بطعامها وماتستعمله من أدوات وألبسة ، وكذلك الألفاظ والمصطلحات التي لها اتصال بالدولة والثقافة وجميع جوانب الحياة اليومية في ذلك المجتمع .

فالجاحظ يكثر من استخدام المعرب بنوعيه في كتاب البخلاء ، لا سيما عندما يدور الحديث حول كل ما يتعلق بمعاني المحسوسات ، من ألوان الطعام والأدوات والروائح والأنغام وغير ذلك من أدب الحواس . مثال ذلك :

---

(١) الحيوان ، جـ ٢ ، ص ٢٩٤ .

سهريز : وهي كلمة فارسية ، تعني نوعا من الطعام .

الشُّبارِقات : فارسي معرب ، وهي ألوان اللحم في الطبائخ .

السِّكْباج : مَرَق يعمل من اللحم والخل .

الشناهبرم : نوع من الريحان ، يقال له سلطان الرياحين .

القهرمان : معناه «مُدَبِّر البيت» . . .

السُّكُرجات : مفردها السُّكُرُّجَة، وهي الصفحة التي يوضع فيها الأكل .

طست : إناء من نحاس لغسل الأيدي .

وكذلك فإن كتاب «البيان والتبين» ورسائل الجاحظ ، وبقية تصانيفه الغزيرة لا تقلّ أهمية في هذا المجال ، سواء فيما وضعه الجاحظ نفسه من مصطلحات عربية أو معربة ، أم فيما شذَّبه وأدخله في أسلوبه الجميل ولغته السلسة ، حيث يكتسب المصطلح العلمي أو الحضاري هوية الفصاحة والاستعمال .

وفي مشارف القرن الرابع الهجري نود أن نشير إلى مصنفات عالِمَين شهيرين هما : الرازي والفارابي .

وقد أجمع المؤرخون على الإشادة بالرازي الطبيب ، فقال ابن النديم : «كان أوحد دهره وفريد عصره» ، وسمّاه ابن أبي أصيبعة «جالينوس العرب» . وقد ترك الرازي لنا ثروة هائلة من الرسائل والمؤلفات ، فُقِدَ قسم منها ، والقسم الأكبر ما زال مخطوطا ، والقسم الضئيل هو الذي طُبع . وقد تُرجم عدد من مؤلفاته إلى اللغة اللاتينية . وظلَّ الرازي إلى القرن السابع عشر حجة الطب بلا مدافع .

فكتابه الموسوم «كتاب الحاوي في الطب» ـ كما يدل عليه عنوانه ـ أكبر موسوعة طبية في اللغة العربية ، على حد تعبير دائرة المعارف الإسلامية . ويقال إن الرازي قد انقطع خمسة عشر عاما من حياته للكتابة . والظاهر أنه مات قبل أن يُتِمَّه .

وقد اكتسبتالعربية من خلال مؤلفات الرازي فيضاً من الكلمات الفنية والمصطلحات العلمية ، سواء أكان ذلك عن طريق الترجمة أم عن طريق التعريب . وإن منهجه في كتابه «الحاوي» يوضح ذلك ويجعل تناول المصطلحات العلمية أكثر سهولة . فقد وضع كتابه في ثلاثة وعشرين جزءاً ، وتناول كل جزء أمراض عضو منْ أعضاء الجسم ، مبتدئاً من الرأس : فجزء يبحث في أمراض الرأس ، وآخر في أمراض العين ، وثالث في أمراض الأذن والأنف ، ورابع فيما يصيب الجلد ، وخامس في الكسور . . . الخ .

ونحن نستطيع أن نميزَ في كتاب «الحاوي» مصطلحات خاصة بالأدوية والعقاقير ، حيث يكثر الرازي من استخدام التعريب بنوعيه . وهنالك مصطلحات طبية خاصة بأسماء الأمراض ، وأخرى تتعلق بأسماء الحيوانات والطيور ، وما يعرض لها في حالة التسمم وغير ذلك مما يدخل في سير الأمراض وما يتعلق بها . . .

والرازي في ذلك كله يقدّم ثروة لغوية هائلة في مجال المصطلحات العلمية ، يمكن أن تكون رافداً مهماً في عملية التعريب الحديثة .

أما ابو نصر الفارابي ، الحكيم المشهور ، وهو من أكبر فلاسفة المسلمين ، وقد تتلمذ على تصانيفه وكُتُبه الرئيس أبو علي ابن سينا ،

وكان ، كما تصفه الروايات ، من أزهد الناس في الدنيا . توفي بدمشق في أوائل القرن الرابع الهجري عن عمر يناهز الثمانين عاما ، وصلى عليه سيف الدولة الحمداني . فقد ترك ثروة علمية ، نافت عن المئة والخمسين مصنفا ، ذَكَر أكثرها ابن أبي أصيبعة . وترجمت بعض مؤلفاته إلى لغات عدة .

وقد شهد القرنان الثالث والرابع الهجريان حركة ترجمة نشطة من حضارات الأمم الأخرى إلى اللغة العربية ، وبخاصة اليونانية . وكان الجهد الذي قام به الفارابي في حركة النقل هذه عظيما جدا ، وذلك من حيث دقة الانتاج المنقول وغزارته . وكان ، رحمه الله ، من أصحاب الاختصاص في مجال العلوم التي كان ينقلها ويشرحها ، وبخاصة الفلسفة والمنطق ، فضلا عن اتقانه اللغة العربية وجملة من اللغات الأخرى ، ومن بينها اليونانية . وقد أثنى مؤرخو العلوم القدامى على نهج الفارابي في التحقيق وشرح الغامض وكشف الأسرارالعلمية في كتب ، على حد تعبير صاعد صاحب طبقات الأمم : «صحيحة العبارة لطيفة الاشارة» . وهم في ذلك يعتبرونه قد تغلب على العقبات التي واجهت «الكِندي» .

ونحن إذا ما استعرضنا ما وصل إلينا من مصنفات الفارابي ، سواء منها الموضوع او المترجم ، فإننا نلاحظ سعة باعه في مواجهة المصطلحات العلمية ، فنجده يهتم كثيرا بالترجمة ، إذ ينقل معاني المصطلحات العلمية إلى تراكيب عربية يقوم بشرحها وتحديد معانيها مثال ذلك :

المقاييس اليقينية : هي المقاييس التي تسوق الذهن إلى الانقياد لما هو حق يقين .

المقاييس الجدلية : هي التي تسوق الذهن إلى الانقياد الجدلي .

المقاييس المغالطية : هي التي لا تسوق الذهن إلى انقيادات المغالطات الواردة عليه . .

ونحن نلحظ هذا الاتجاه عاما في جميع كتبه ، فقد كان يلجأ إلى تحديد المصطلحات العلمية أينما وردت . ولم يكتف بذلك ، فقد وضع كتابا مستقلا وَسَمه «الألفاظ المستعملة في المنطق» ، إذ أورد فيه المصطلحات الأساسية التي كان يستعملها في المنطق ، وحدَّد دلالتها . وإن هذا النهج ليذكرنا برسالة الكندي في المصطلحات العلمية التي أشرنا إليها سابقا .

وقد استخدم الفارابي جميع وسائل تنمية اللغة في مواجهته لموضوع المصطلحات، واستيغاب ما وصل إليه الإنسان المتحضر من معارف ، فاستخدم أيضا الاشتقاق والنحت وإحياء الألفاظ القديمة ، والتعريب . وكثيرا ما نراه يثبت المصطلح باللغة العربية ، ويذكر مقابله في اللغة الأخرى . . . مثال ذلك يقول : كتاب العبارة ، وهو باليونانية «باري ارميناس» .

وكان للفارابي منهج متكامل في الترجمة ، ووضع المصطلحات العلمية العربية ، فكانت لغته العلمية ، على حد تعبير بعض النقاد القدامى ، صحيحة العبارة ، لطيفة الإشارة . ونحن نكتفي في هذا المجال بأن نشير إلى تلك المصطلحات الغزيرة التي ترد في كتابه «إحصاء العلوم» ، وكذلك في كتابه «آراء أهل المدينة

الفاضلة» ، وفي شرحه لكتاب أرسطو في العبارة ، وفي كتابه «الألفاظ المستعملة في المنطق» ، وغير ذلك من رسائله وتصانيفه .

وخلاصة القول فإن المجال يضيق بنا حتى عن استعراض عام لتصانيف أعلام الفكر العربي في مختلف مجالات العلوم : المعنوية منها والمادية ، والإشارة إلى هذه الكنوز الضخمة من المصطلحات العلمية التي دخلت العربية ، نتيجة تطويع اللغة العربية إذ ذاك لكي تصبح لغة البحث العلمي والتدريس في جميع مستوياته . ولا يتسع المجال أيضا إلى ذكر كتب مشاهير المترجمين والنقلة من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية إلى العربية ، ونكتفي أيضا بالاشارة إلى تلك التصانيف المشهورة ، مثل «رسائل اخوان الصفا» وغيرها من الموسوعات العلمية التي زادت اللغة العربية ثراء . . . وكذلك إلى تصانيف الخوارزمي وابن الهيثم وابن سينا وابن رشد ، حيث تبلغ اللغة العلمية العربية قمة المجد والازدهار في الاستيعاب والإضافة الجديدة والإبداع .

وأخيراً نَوَدّ أن نتساءل أين يقف دور المصطلح العلمي في التراث من هذا التحدي الكبير الذي يواجه لغتنا العربية في العصرالحديث ؟؟

إن مسؤولية نقل المعرفة في العصر الحديث إلى اللغة العربية مسؤولية وطنية وخلقية ، بل هي مسؤولية الحياة والبقاء لأمتنا بهويتها وكيانها التاريخي . وإن موضوع المصطلح العلمي في التراث ليشكل جزئية مهمة من جزئيات هذه العملية الكلية في نقل العلوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية .

ونحن نعتقد أنه من الواجب أن تنبري احدى الجهات العربية من خلال مؤسساتها العلمية ، لكي تقوم بتكليف المتخصصين باستقصاء المصطلحات والتراكيب اللغوية التي استعملها العلماء في كتب التراث العلمي العربي في مختلف فروع المعرفة ، وترتيبها ترتيباً معجمياً وفق موضوعات العلوم وجزئياتها ، لكي تيسر عملية اختيار المصطلح الحديث وتحديده ، وتدفع بعملية استيعاب اللغة العربية للعلوم والتقنيات الحديثة ، على طريق السير السريع والاصالة .

المصادر والمراجع

ابن أبي اصيبعة :موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة السعدي الخزرجي ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ابن خلكان : أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي بكر ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، بيروت ١٩٧٢ م .

ابن رشد : أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد ، تلخيص كتاب النفس واربع رسائل ، القاهرة ، ١٩٥٠ م .

ابن النديم : محمد بن أبي يعقوب ، الفهرست ، بيروت ، ١٩٦٤م

الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ، البخلاء ، مصر ، ١٩٦٣م

الحيوان ، جـ ١ ـ ٧ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

الرازي : أبو بكر محمد بن زكريا ، الحاوي في الطب ، جـ ١ ـ ٢٣ حيدر اباد ١٩٥٥ م .

صاعد الأندلسي: أبو القاسم صاعد بن أحمد ، طبقات الأمم ، النجف ، ١٩٦٧ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، رسائل الفارابي ، حيد اباد ، ١٩٢٦ م .

احصاء العلوم ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

آراء أهل المدينة الفاضلة ، بيروت ، ١٩٥٦ م .
الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، الألفاظ المستعملة في المنطق ، بيروت ، ١٩٦٨ م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، رسالة في العقل ، بيروت ، ١٩٣٨م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمدبن طرخان ،كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادىء الموجودات ، بيروت ، ١٩٦٤م .

الفارابي : أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان ، شرح الفارابي لكتاب ارسطو ـ طاليس في العبارة ، بيروت ، ١٩٦٠م .

الكندي : أبو يوسف يعقوب بن اسحق ، رسالة الكندي الفلسفية ، جـ ١ ـ ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ١٩٥٣ .

الكندي : أبو يوسف يعقوب بن اسحق ، رسائل الكندي في خبر صناعة التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

ياقوت : ابو عبد الله بن عبد الله الرومي الحموي ، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، معجم الأدباء ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

نحو معجم موحد لألفاظ الحضارة (١)

أيها العلماء الأفاضل ، شيوخ العربية وحماتها .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنه لشرف كبير أعتز به ، أن أقف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في حرم مجمع اللغة الخالدة ، لكي أقدم أزكى تحية وخالص الاحترام ، لشيوخ العربية وفرسانها ، الذائدين عن حياضها ، والمدافعين عن كرامتها ، والباذلين في سبيلها أكرم ما يبذله الإنسان من عقله وجسمه . فتحية عطرة أزجيها ، إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة الحبيبة ، حصن العروبة والإسلام . . . . هكذا وجدت منذ بنائها وهكذا ستبقى إلى الأبد ، إن شاء الله . تحية أزجيها باسمي واسم مجمعكم في بلدكم الأردن ، الصامد أمام أشرس هجمة استعمارية صهيونية تستهدف الوطن والأهل وأولى القبلتين .

إنها أيها الأخوة الزملاء ، تحية الحبّ والاحترام والعرفان بالفضل والعلم ، أقدمها باسم مجمعكم الأردني الفتي ، إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة العزيزة ، إلى مجمع اللغة الخالدة ، هذه اللغة التي شرفها الله سبحانه وتعالى ، وأعزها بأن جعلها لغة القرآن الكريم ، فأصبحت خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز . إنها أيها العلماء الأجلاء

(١) بحث ألقي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

تحية التلميذ لشيخه . . . وهل هنالك أسمى من هذه العلاقة الروحية . . . ألسنا في ذلك ، في صميم قيم خلقية وإنسانية سامية ، يعتز بها تراث أمتنا العظيمة عبر تاريخها الزاهر . . . وإنه لمما يميز تراثنا ، هذه العلاقة الأنسانية الرفيعة التي تصل بين التلميذ وشيخه . . فالتلميذ يعتز بشيخه ، والشيخ يفخر بتلاميذه ، ويحوطهم بعنايته ورعايته .

أيها السادة العلماء ، إننا نجتمع اليوم ، في حرم اللغة الخالدة ، كي نحتفل بمناسبة كريمة عزيزة على قلوبنا جميعا،إنها مناسبة مجمعنا القاهري في عيده الخمسيني الزاهر ، وإن كنا نعلم يقينا أن عمره المعطاء من حيث هو فكر وجهد ، يمتد إلى أبعد من ذلك بخمسين سنة أخرى . . . واستغفر الله من زلل اللسان ، فإنني أتحدث عن عمره الزمني في نهضتنا الحديثة . . . وإن عمره الحقيقي قد بدأ منذ بدأت أرض الكنانة الغالية ، بشعبها المعطاء وعلمائها الأفذاذ ، في رفع راية القرآن وصُنع تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية ، وذلك منذ قرون عدة . وليس هذا العيد الخمسيني الزاهر ، سوى رمز لما يمثله هذا الانعطاف الحضاري في تاريخنا الحديث . وإن المؤرخ الحق ، الذي يكتب تاريخ أمتنا العربية في العصر الحديث ـ ولمّا يُكتب بعد هذا التاريخ ـ ، لا بد أن يخصّ اللغة العربية ومسيرتها في العصر الحديث ، بمكانة متميزة . فهي في مسيرتها التاريخية ، تمثل مسيرة أمتنا في مختلف أقطارها .

فالعربية الفصحى ، لغة الفكر والعلم ، لغة المعرفة الأنسانية والحضارة العالمية ، احتلت المكانة الأولى لعدة قرون من تاريخنا

الزاهر . وهي من حيث الواقع تجسد جوهر وجود أمتنا في كونها لغة العروبة والإسلام . هذه الأمة المتميزة بلغتها وحضارتها التي شرفها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام ، تحمل لواءه إلى أمم الأرض قاطبة . فكانت مصدر إشعاع لقيم إنسانية سامية . تساوي بين جميع بني البشر على مختلف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ، منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . وها هي أمتنا تخوض نضالاً مريراً من أجل بقائها حرّة عزيزة موحدة .

ونحن إذا استعرضنا صفحات هذا التاريخ ، لا سيما الحديث منه ، ألفينا أن كل حملة من حملات الاستعمار ، منذ القرن التاسع عشر ، وكل اعتداء على هذه الأمة في مختلف أقطارها ، كان وما زال يستهدف أول ما يستهدف اللغة العربية الفصحى وتراث أمتنا وعقيدتها ، سواء أكان ذلك في المغرب العربي أم في المشرق .

فاذا رجعنا إلى الوثائق والكتابات التي بين أيدينا ، لا سيما فيما كان يدور بين دعاة العامية ، من حاقدين ومغرضين، والمنافحين عن العربية الفصحى وكرامتها، وجدنا توافقا كليا بين الهجوم على الأمة ومحاولة اغتصاب أوطانها واستباحة أموالها وكرامتها ، وبين الهجوم على اللغة العربية الفصحى وعقيدة الأمة وتراثها . وإن النظرة الشاملة قادرة على تتبع ذلك في تاريخنا المعاصر ، منذ احتلال الفرنسيين الشمال الأفريقي والاحتلال الانجليزي لمصر . . . . مارين بتصفية الدولة العثمانية وتقاسم الدول الاستعمارية ، من انجليز وفرنسيين وايطاليين للبلاد العربية ، حتى الهجمة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية الأوروبية الشرسة ، التي ما زال أتونها يستعر ، وتهبّ

سمومها على وطننا العربي بخاصة ، وعلى أمتنا الإسلامية بعامة . ونكتفي في هذا الموضع ، بأن نشير فقط إلى ما كتبه علماؤنا من جهابذة العربية في منافحتهم عن تراث الأمة ولغتها والتصدّي لأعدائها ، وكذلك إلى ما دونه الباحثون من تاريخ الصراع بين العامية والفصحى ، لا سيما في أرض الكنانة الغالية . فقد نافح شيوخ العربية وحماتها عن جوهر وجود أمتنا ، وذلك بذودهم عن حياض اللغة العربية الفصحى الخالدة ، جزاهم الله عن العربية والإسلام خيرا . لقد ظهرت مؤلفات استطاعت أن تتبع جذور الدعوة إلى العامية ، وأن تعرض بصورة شاملة ، طبيعة هذا الصراع الخبيث ، بأبعاده السياسية والعقائدية ، وعلى اختلاف مظاهره ، وأزيائه التي يختفي تحتها .[1]

وكان الصراع بين العربية الفصحى وأعدائها من الداعين إلى العامية وغيرهم ، يشتد أحيانا ويخبو أحيانا أخرى . وقد بلغت هذه المعركة الحاقدة ، للنيل من اللغة العربية الفصيحة إلى الحد الذي يقول فيه العالم الجليل عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الاستاذ علي النجدي ناصف ، في كتابه «من قضايا اللغة والنحو» وأعجب ما عجبنا له من شئون العامية ، أنها استطاعت في وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية ، وتجد بين المجمعيين من يحنو عليها ، ويدعو إلى اصطناعها في إنتاج لون من الأدب للشعب ، لأنه يعيش بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها ، في عزلة ووحشة في دنيا الأدب .

(١) انظر

١) محمد محمد شاكر ، أباطيل وأسماء ، القاهرة .

٢) أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

٣) نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة الى اللغة العامية وآثارها في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

فالمفهوم أن مجمع اللغة العربية آخر مكان يُظَن أن يكون للعامية فيه اعتبار ، وأن المجمعيين آخر من يُظَنّ أن يحسبوا للعامية حسابا في الإنتاج الأدبي على وجه من الوجوه .

«والمشكلة في صميمها مشكلة الجهل والفقر ، فإذا أردنا أن نحلّها حلا حاسما ، فعلينا أن نواصل العمل في جِدّ ودأب ، على رفع مستوى الشعب العقلي والاقتصادي معا . .» إلى أن يقول : «على أن المجمع ، حفاظا على سمته ، وجهادا في رسالته ، لم يقر صاحب الرأي على رأيه ، ولا شاركه فيه ، فمضى مع الأيام ، كما يمضي كل رأي غير صالح للبقاء» .(١) .

ومضى مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة يعالج قضايا اللغة العربية، بدراسات علمية مبدعة ، حريصا على سلامة اللغة من ناحية، وعلى جعلها مطواعة قادرة على استيعاب جميع المعارف الأنسانية من ناحية أخرى ، تعالج تيسير قضايا النحو واللغة والإملاء ، وتميّز إلى جانب ذلك كله بما بذله من جهود خيّرة خصبة في مجال المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، فكانت له آراء قويمة واجتهادات صائبة . مثال ذلك اجتهاده في فتح باب الوضع بوسائله المعروفة من اشتقاق ونحت ومجاز وارتجال . . . وذلك لاستيعاب ، هذا السيل الضخم من المعارف الجديدة . وقد نصّ قراره المعروف : بأن تُدْرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربي

---

(١) علي النجدي ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، ص ٤٨ ـ ٤٩ ، القاهرة .

سابق صالح للاستعمال ، وكذلك الشأن في قبوله السماع من المحدثين ، بشرط أن تُدْرس كل كلمة قبل إقرارها . . .

كانت أغراض المجمع واضحة محددة منذ صدور مرسوم إنشائه في الرابع عشر من شهر شعبان/١٣٥١هـ الموافق ١٣ ديسمبر/١٩٣٢م . فقد ورد في الفقرة (أ) من المادة الثانية حول أغراض المجمع ما نصه :

أ . المحافظة على سلامة اللغة العربية . وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدِّد في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الألفاظ والتراكيب .

أيها السادة العلماء ، ليس من غرضي في هذه الكلمة القصيرة ، أن استعرض جهود مجمعنا الكبير بالقاهرة ، ولا أن أعدِّد منجزاته الضخمة الأصيلة ، على الرغم من الصعاب التي اكتنفت مسيرته المظفرة ، ولكنني أود أن أقول : إن تأسيس مجمع اللغةالعربية بالقاهرة قبل نيّف وخمسين عاما ، كان إيذانا بانتصار العربية الفصحى وتبوئها مكانتها الرسمية في مؤسسات الدولة ، وكان قبل ذلك بحوالي عقد من الزمن قد رفع رايتها مجمع اللغة الخالدة في دمشق الفيحاء .

جاء تأسيس المجمع بالقاهرة إيذانا بانتصار مظفر للغة العربية الفصحى في معركة دامت أيضا خمسين سنة قبل إنشائه . وقبيل

تأسيس المجمع يقول الشيخ محمد الخضرحسين : «والوسيلة التي تنهض باللغة ، وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية ، هي الوسيلة التي نهضت بتلك اللغات الحية ، وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفا لكتف ، أعني تأليف مجمع لغوي ينظر فيما تَجَدَّد أو يتجدّد من المعاني ، ويضع لكل معنى لفظا يناسبه» إلى أن يقول : «وإنما يشفي غلة العلوم المتكاثرة ، ويملأ عين المدنية الزاخرة ، تأليف مجمع لغوي يسير مع العلوم والمدنية ، ولا يتأخر عنها طرفة عين» .[1] .

وفي مسيرة نصف قرن ، حقق المجمع منجزات علمية ضخمة ، وكانت له جهود متميزة في تيسير المصطلح العلمي ، وذلك من خلال منهجية علمية تحرص على أصالة اللغة وسلامتها ، من ناحية وعلى الانطلاق بها لاستيعاب هذا السيل الهائل من المصطلحات والرموز التي تتزايد بتسارع كبير ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين من ناحية أخرى . ومن سمات هذه المنهجية استفتاؤه للتراث جهد الطاقة ، واستخراجه منه ما له صلة بما يُطرح على بساط البحث ، متلمسا مستنداً أو حجة في باب الاجتهاد والتجديد .

ولكن مع الأسف لم تجد هذه الجهود العلمية الضخمة طريقها للتنفيذ والحياة العملية في أكثر الأحوال ، واستمرت سياسة إقصاء العربية عن لغة التدريس الجامعي في الكليات العلمية وفي الدراسات العليا وفي البحث العلمي ، متذرعة، بتبريرات زائفة وحجج واهية لا تعدم لها أنصارا . وإذا كانت مجامعنا اللغوية ، وقد مضى على إنشائها

(١) محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ، ص ٢٠ ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .

أكثر من نصف قرن ، لمّا « تَشْفِ غلة العلوم المتكاثرة » ولمّا « تملأ » بعد « عين المدنية الزاخرة »!!!فإن السبب في ذلك ، بعيد كل البعد عن أن تكون له علاقة باللغة العربية نفسها ، من حيث هي لغة ، ولا بالمجامع اللغوية التي تضم جهابذة من علمائنا الأفذاذ ، وإنما الأمر يتعلق بالسياسة التعليمية التي فُرِضَتْ على الوطن العربي ، في مشرقه وفي مغربه . وإن سياسة إقصاء اللغة العربية عن مجالاتها العلمية والتقنية ، التي مازالت مع الأسف مستمرة في كثير من أقطار الوطن العربي ، ما هي إلا أصداء للمعركةِ التي تخوضها العربية الفصحى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر . وأن هذا الصراع اللغوي هو في حقيقته صراع أمتنا بين البقاء في التبعية الفكرية والحضارية والسياسية من ناحية ، والتحرر والإبداع والمشاركة الأصيلة في بناء الحضارة العالمية من ناحية أخرى . وإن وضع آلاف المصطلحات العلمية وتكديسها على رفوف المكتبات لا يعني شيئا ، إذا لم تصبح اللغة العربية الفصحى لغة التدريس في جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة . فاللغة تحيا بالاستعمال ، ونموّ اللغة يعني حياتها في جميع الشؤون والأغراض الإنسانية .

أيها السادة العلماء ! فعلى الرغم من التجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار على أقطار أمتنا ، وبذله الجهد في تعميق الحواجز ، وتغذيته أسباب القطيعة ، من خلال عملائه وحلفائه من الحاقدين على تراث هذه الأمة ، والمنتفعين بهذه التجزئة والقطيعة ، أقول فعلى الرغم من هذا كله ،فإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الخالد ، تقف طودا

شامخا تجمع حولها أبناء أمتنا وترصّ صفوفهم وتوحِّد اتجاهاتهم ومشاعرهم . وأن أهم ما تتميز به لغتنا العربية عن جميع اللغات ، على حدّ ما نعلم ، أنها فضلا عن كونها فكرا وتعبيرا عن الفكر ، فهي في ذاتها لغة التراث عبر القرون ، ولغة الإسلام في هذا الكون .

وقد أدركت مجامعنا اللغوية هذه الحقائق منذ البداية ، وأن اللغة العربية الفصحى هي الدعامة الأساسية في بناء وحدة الأمة ، فعملت هذه المجامع على توثيق الروابط بينها من خلال علمائها المجمعيين . . . وإن حاجات العصر وطبيعة الظروف التي تمرّ بها أمتنا ، وهذه الثورة العلمية التي تزداد بتسارع هائل ، لتفرض على مجامعنا ومؤسساتنا العلمية والجامعية والمهنية واجبات ضخمة ، تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة في الوطن العربي . وإذا كان النصّ القرآني يتكفّل دوما بتوحيد اللغة الأدبية ، فإن جهودا كبيرة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن ومتطلبات الحياة الحضارية .

وإنه لمن بديهات الأمور ، أن يكون هنالك مجمع واحد للغة واحدة ، يُعْنَى بها لغة عربية فصحى موحدة في العلوم والفنون والحياة الحضارية ، وفي جميع أقطار الوطن العربي . ولا شك أن فكرة اتحاد المجامع اللغوية العربية ، قد ظهرت تعبيرا طبيعيا عن هذا الواقع اللغوي ، الذي تخوض فيه العربية الفصحى صراعا مريرا مع أعداء الأمس واليوم . وإننا ننظر ، بعين الأمل ، إلى اتحاد مجامعنا لكي يصبح في المستقبل القريب إن شاء الله مجمعاً واحدا للغة العربية .

ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لكي ينهض اتحاد المجامع اللغوية بواجباته التاريخية من خلال المجامع اللغوية العربية ، ومن خلال الجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، لتحقيق مشروعين أساسيين هما : المعجم التاريخي للّغة العربية ، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة . أما أولاهما فهو ما نصت عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م حيث يقول : «أن يقوم (أي المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغيُّر مدلولاتها» . وعلى الرغم من أن مجمعنا العتيد بالقاهرة قد حقق منجزات مهمة في مجال المعاجم ، بما في ذلك مشروعه الضخم ، «المعجم الكبير» ، فإن لغتنا تنقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدون تطورها على مرّ العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتي بشواهد لكل منها تُبيِّن النادر أو الكثير الورود ، وتُبيِّن العام منها والخاص في النثر أو في الشعر .

وقد بات من الضروري أن تتضافر الجهود في الأقطار العربية من أجل وضع هذا المعجم التاريخي ، بأن تُبحث كل كلمة على حدة ، عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قِدَمها ، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات الساميّة . . . وعن

مصدرها : اذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولّدة ، ومن أية لغة دخلت إذا كانت دخيلة ، وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغيُّر شكلها أو معناها ، وإذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال جَرَى تَتَبُّع

زمن زوالها ، وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها[1]، وذلك على غرار المعاجم التاريخية لكثير من لغات الأمم المتقدّمة .

ونحن نعتقد أن إنجاز مثل هذا المشروع الحيوي ، ركن أساسي من أركان نهضة أمتنا من خلال لغتها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لتاريخ اللغة العربية وتطور دلالة الألفاظ فيها ، ستقدم صورة دقيقة لتاريخ الحضارة العربية .

وأما المشروع الآخر ، فيتمثل بوضع معجم موحدّ لألفاظ الحضارة . وإن الاحتفال بالعيد الخمسيني الزاهر لمجمعنا الشيخ بالقاهرة ، لمناسبة مهمة تؤذن بانتقالة تاريخية في حياة اللغة العربية ، بأن تصبح لغة التدريس الجامعي في جميع مجالات العلوم والفنون ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لدينا لغة عربية واحدة تشمل جميع مناحي الحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية . فاللغة ، كما هو معروف ، أقوى دعائم التوثيق بين الأفراد والشعوب ، وأن العربية الفصحى تمثل حضارة أمتنا . ومن هنا تحتل المسألة اللغوية مكانة متميزة في تاريخ نهضتنا الحديثة .

لقد بات من الضروري وجود معجم حديث ، ليس فقط لكي يستجيب لحاجات العصر الحديث ، ولكن لكي يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات ، وجميع ما يستعمله الإنسان العربي من مأكل وملبس وأثاث ، وجميع ما يخص حياته في عالم الحيوان والنبات ، وفي شتى أنواع المهن ، من فلاحة ونجارة وصناعة . . الخ .

(١) انظر : مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، ص٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

إن هذا الاتجاه في التوحّد اللغوي ، الذي تسلكه العربية الفصحى في صراعها مع العاميات واللهجات والشعوبيين ، لا يصدر فقط عن كونها لغة التراث العربي عبر القرون ، في مجالاته الأدبية والعلمية والحضارية ، ولا يصدر عن كونها لغة القرآن الكريم ؛ وبالتالي فهي ليست لغة قوم من الناس فقط ، ولكنها تخصّ المسلمين جميعاً . فهذا الاتجاه في التوحدّ اللغوي لا يصدر عن هذا كله فقط ، ولكنه يصدر أيضا عن اتجاه أصيل نحو الوحدة المتزايدة الإتساع ، وهو أحد اتجاهين أصيلين متعارضين تخضع لهما حياة كل لغة من اللغات ، إذ يرى اللغويون أن في حياة اللغة ميلين متعارضين : أحدهما نحو التقسيم إلى لغات ولهجات ، والثاني نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسيم والتوحدّ كلاهما فعل أحداث تؤثر في الجماعات[1].

وقد بنى خصوم العربية الفصحى ، من استعماريين وشعوبيين وحاقدين ، نظريتهم في محاربة اللغة العربية الفصحى على المقولة التي مؤداها أن الاتجاه في حياة اللغة نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة . وحجتهم في ذلك ما رصده علماء اللغة ، بصورة عامة ، من ظواهر في حياة اللغة ، حيث وجدوا أنه لم تظهر لغة عامّة إلا تقسمت في لغات كثيرة . وعلى هذا الأساس وضعوا فرضيتهم القائلة ، ولماذا تكون اللغة العربية الفصحى بمنأى عما يصدق من قوانين على اللغات الأخرى !!!

---

(١) انظر : محمود السّعران ، اللغة والمجتمع ـ رأي ومنهج ، ص ١٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

وقد فاتهم ، وأعماهم الحقد والهوى ، عن النظر إلى الجانب الآخر من هذه النظرية اللغوية ذاتها ، التي مؤداها أن هنالك قوى لا يجوز التغافل عنها ، تعمل في الاتجاه المضاد ، وأن هذه القوى الموحِّدة ، كانت في العصور التاريخية أقوى في حقيقة الأمر من القوى المقسِّمة ، وأنها لكذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك أيضا في المستقبل . ومما يستشهد به العالم اللغوي جسبرسن على صحة رأيه هو ، أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه في بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة - في عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاما لم يُعْرَف من قبل - هو في معظم الحالات أكثر أَضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . . . ولا أدل على ذلك من عدد المتكلمين بالانجليزية والفرنسية والاسبانية والروسية والصينية وغيرها .(1)

أيها السادة العلماء ! ليس من هدفي في هذه الكلمة دراسة العوامل التي تساعد على ظهور لغة عامة وعلى نشرها ، ولكنني أود أن أسجّل ، في هذه المناسبة الزاهرة من أمجاد لغتنا العربية الفصحى ، وعلى الرغم مما يُثار في طريقها من عقبات ومعوقات ، أنها تمثل في مسيرتها التاريخية ، وفي حياتها الخالدة ، الاتجاه نحو الوحدة المتزايدة الإتساع ، وأن مسيرتها هذه ، تجري وفق قوانين الطبيعة ونواميس الحياة .

لقد أشرنا ، سابقا ، إلى مدى الترابط بين مسيرة اللغة العربية الفصحى ، في نموّها وازدهارها ونضالها من أجل استعادة سيادتها في

(1) انظر : رأي العالم اللغوي جسبرسن ، عن المصدر نفسه .

وطنها ، ومسيرة أمتنا في تحرُّرها وتقدمها ووحدتها . ونحن إذا نظرنا إلى العالم من حولنا وجدناه عالم الكتل الكبيرة ، ولا شأن فيه للصغار ولا للضعاف . وقد أدركت الأمم الأوروبية هذه الحقيقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فبدأت بمحاولاتها للوحدة الأوروبية ، الاقتصادية والسياسية أيضا ، على الرغم من اختلاف لغاتها وشعوبها ، وعلى الرغم من العداء التاريخي المستحكم بينها عبر القرون .

وإذا وجهنا نظرنا إلى أمتنا العربية وروابطها التاريخية واللغوية والروحية المتينة ، نجد الأمر مختلفا كل الإختلاف . فعوامل الوحدة كثيرة وأصيلة تعيش في ضمير الأمة ، مرتبطة بعقيدتها ولغتها ، وأن عوامل الفرقة ، عوامل مصطنعة مفروضة على أمتنا بمختلف وسائل القهر والسلطان .

وتحتلّ اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى في توثيق دعائم الوحدة بين أبناء أمتنا العربية ، ولا بد من أن تتكامل وحدة هذه اللغة في جميع مجالات العلوم والفنون والآداب ومقتضيات الحياة الحضارية . فكما أن الضرورة تقضي بأن تكون العربية لغة التعليم والبحث العلمي في جميع مستوياته ، وفي العلوم كافة ، فإن الضرورة نفسها تقضي بأن تكون هنالك لغة علمية موحدة ، وأن تكون هنالك لغة مهنية موحدة ، ولغة حضارية موحّدة . بل إن العصر الذي نعيش فيه ، والذي يتميز بتفجر المعرفة الإنسانية ولا سيما في عالم التقنيات الحديثة ، ليفرض على مؤسساتنا اللغوية ، ليس فقط وحدة اللغة المكتوبة ووحدة الألفاظ الحضارية التي نستعملها في حياتنا اليومية ، بل ويفرض عليها واجب

العمل على التقريب بين اللهجات ، أي بين نواحي النطق في اللغة المسموعة والمحكية في جميع أقطار البلاد العربية . وإنني أستطيع أن أقول : لقد دخلنا الآن في عصر بدأت فيه الدراسة السمعية للغة تحتل مكانة متميزة إلى جانب الدراسة البصرية . وعلى حدّ تعبير الأستاذ ابراهيم أنيس : « فيجب أن لا تنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن في مثل هذا نفرق بين أبناء الأمة العربية التي نعمل على توحيدها أو التقريب بينها »[1].

ألا نرى أن ثورة لغوية عارمة قدبدأت منذ عشرينيات هذاالقرن، وازدادت خطورة في العقدين الأخيرين ، حيث أحدث التقدم الهائل في تقنيات وسائل الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبين أمم الأرض جميعها وشعوبها المختلفة ، وما صاحبهُ من اتصال لغوي واسع ، تغيُّرات كبيرة في الحياة الثقافية والاجتماعية . فالهاتف واللاسلكي والطيران والإذاعة بنوعيها : المسموعة والمرئية ، والسينما والصحافة بتقنياتها المتسارعة في تطورها ، تُمِدُّنا أيضا بقوة هائلة لم يعرفها تاريخ البشرية . من أجل نشر اللغة العربية الفصحى وتوطيد دعائم وحدتها ، سواء أكان ذلك في مجال الكلمة المكتوبة أم المسموعة والمحكية[2] .

ألا نرى في الوقت الحاضر ، عشرات الألوف ، إن لم نقل مئات الألوف من أبناء أمتنا ، عمالا ومهنيين ومثقفين ، دون أن نذكر المعلمين والأساتذة والعلماء ، يعملون في مختلف أقطار العروبة جنبا إلى جنب مع

(١) انظر : ابراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٢) انظر : محمود السعران ، اللغة والمجمع - رأي ومنهج ، ص ٣ - ٤ ، القاهرة ، ٦٣ا

أخوانهم في تلك الأقطار . . . أليس من الضرورات الملحة أن يتحدث هؤلاء جميعا لغة مهنية واحدة ، ولغة حضارية واحدة ؟ فالاتصال والاختلاط والاشتراك في الحياة ، وانتشار المدارس والمعاهد والجامعات ، والخدمة العسكرية ، والأحوال السياسية والاقتصادية ، جميعها عوامل مهمة في دعم اللغة العربية الفصحى ، وانتشارها وإذاعتها لغةً منطوقة ومكتوبة من خلال وسائل نشر اللغة في العصر الحديث . أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع تحتم وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة ، يشتمل على جميع الألفاظ التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية ومعاشه ، كما تحتم كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحّدة ، كما هو الشأن في لغتنا الأدبية الواحدة ؟

وإن قضية الحاجة إلى مثل هذا المعجم الموحد ، قد طُرِحت أيضا منذ سنين طويلة كما هو الشأن في موضوع « المعجم التاريخي للغة العربية »، فقد طرحها على بساط البحث كتاب ولغويون ، وأشاروا إليها في كثير من الندوات العلمية ومؤتمرات التعريب في الوطن العربي . وكان من قرارات مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد بالرباط من ٣ الى ٧ نيسان / ١٩٦١ التوصية التالية : « يوصي المؤتمر بوضع معجم مَعانٍ ليستعين به أبناء العربية في العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور ». ولا شك أن هذه التوصية وغيرها من التوصيات والآراء التي طرحها كثير من اللغويين في دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم ، تدور جميعها حول هذا الموضوع الكبير ، الذي يتمثل

بوجوب جعل لغتنا العربية الواحدة لغة العلم والتدريس والثقافة والبحث العلمي ، ولغة الحياة في جميع جوانبها . . .

ولا شك أن الانجازات اللغوية المتميزة التي كانت ثمار جهود مجامعنا اللغوية ، وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية ، وحصنها الحصين بالقاهرة ، قد اغنت العربية الفصحى وزادتها ثروة وخصوبة ، وأن هذه البحوث اللغوية القيمة ، والاجتهادات الأصيلة ، وعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التي وُضعت في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية ، كانت من وراء هذه النقلة التاريخية للغتنا ، وجعلت في حدود الإمكان التحول التاريخي في مسيرة اللغة العربية الفصحى ، لكي تحتل مكانتها الطبيعية سيدة في وطنها ، ولكي تصبح اللغة الواحدة للعلوم والفنون والتقنيات والبحوث العلمية ، كما هي في واقع الأمر اللغة الواحدة للتراث والآداب .

لم يكن من أهداف هذه الكلمة المتواضعة ، أن تُقدم خطة علمية مفصلة من أجل وضع « معجم موحد لألفاظ الحضارة »، ولكنها تحاول الكشف عن أن مثل هذا المشروع قد بات ضرورة ملحة ، وأن انجازه قد أصبح في حدود الإمكان ، وأن اتحاد المجامع اللغوية العربية مدعو بحكم موقعه التاريخي أن يتصدى لمعالجة قضايا اللغة العربية الفصحى من خلال المجامع اللغوية ، والجامعات وجميع المؤسسات العلمية والثقافية في الوطن العربي ، التي تعنى بقضايا التراث واللغة وبقضايا الفكر والإبداع ، وذلك وفق منهجية علمية سليمة ودون بطء أو تماهل . فالتقدم العلمي يزداد بتسارع كبير ، والفجوة التي تفصل بيننا

وبين اللحاق بالأمم المتحضرة تزداد اتساعا . ونحن نشارك الأستاذ حسن ظاظا الرأي في قوله : « إن صناعة المعاجم عندنا في أزمة ، وهي بعيدة كل البعد عن مسايرة التقدم الفكري ، والحضاري في العالم العربي الحديث ، وفي العالم الكبير الذي يعيش المدنية المذهلة التي انبثق عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين ».[1]

ولا شك أن وضع معجم يوحّد جميع المفردات الحضارية التي يستعملها أبناء الأمة العربية في مختلف أقطارها ، لا بد من أن يستند إلى خطة محكمة وأن تتضافر الجهود في الأقطار العربية على القيام بجمع الألفاظ المستعملة في شتّى مناحي الحياة ، الفلاحية والصناعية والمهنية والاجتماعية ، والتجارية . . . الخ ، وأن تضبط ضبطا كاملا في نطقها ، وأن تحدد تحديدا دقيقا في دلالتها ، مستخدمين الوسائل التقنية الحديثة ، لكي تصبح موضوعا للدراسة والتصنيف والبحث ، إلى جانب ما تقوم به لجان علمية في جمع أقصى ما يمكن جمعه من مادة لغوية مأخوذة من معاجم المعاني ومن النصوص في مختلف كتب التراث .

ونحن نعتقد أن استخدام الحاسوب والأجهزة الالكترونية والتقنيات الحديثة ، في دراساتنا اللغوية ، بات أمرا ميسورا وواجبا ، إذا ما أردنا أن نلحق بركب الأمم المتحضرة . . . وأن مثل هذه الأبحاث اللغوية ستنجز بدقة متناهية وبسرعة مدهشة . . . وسنجد أنفسناأمام نتائج باهرة من حيث قدرة اللغة العربية الفصحى على استيعاب كل ما يجدُّ في عالم الفكر والمعرفة ، وذلك بسبب ما جمعته هذه

(١) انظر : حسن ظاظا ، كرم العرب ـ من قضايا اللغة العربية ، ص٥٢ القاهرة ، ١

اللغة من مفردات مدونة في معاجمها ، ومما هو مبثوث في كتب التراث ، ومما هو لم يدوّن وتدور به ألسنة عامتها ، وهو في أكثريته الكاثرة من اللغة الفصحى . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى بسبب خصائص العربية نفسها ، وطرائق نموها : من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال ومجاز واقتراض . . الخ ممّا يكسبها في ذاتها المرونة والقدرة على استيعاب كل ما يجدُّ في عالم المعرفة .

وأخيرا أيها السادةالعلماء، فإن أجمل تحية يمكن أن نقدمها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة ، وإلى علمائنا الأفذاذ ، شيوخ العربية وفرسانها الذائدين دوما عن حياضها ، أن نرسي بنيان مجمع واحد للغة العربية ، بنيان مجمع اللغة الخالدة بخلود القرآن الكريم ، وأن يمثّل العيد الخمسيني الزاهر انعطافا تاريخيا في مسيرة لغتنا في العصر الحديث ، بأن نتبنى مشاريع محدّدة على مستوى الوطن العربي ، بامكاناته العلمية والمادية الواسعة ، في تحقيق تراثنا العربي ونشره ، ووضع المعجم التاريخي ، والمعجم الموحّد لألفاظ الحضارة ، والمعاجم الموحّدة للمصطلحات العلمية في جميع مجالاتها ومستوياتها ، إلى جانب مؤسسة علمية عربية تعنى بنقل العلوم من حيث هي علوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة العربية ، وأن يصاحب هذا كله قرار سياسي ، بفرض اللغة العربية ، كي تصبح وبصورة كلية لغة التعليم في جميع مستوياته ، وفي جميع الكليات والجامعات والمعاهد العالية . وأن تكون لغةَ البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لغة الحياة في جميع مناحيها ، وبذلك وحده تستطيع أمتنا أن تشارك بأصالة في بناء الحضارة الإنسانية .

المراجع

١ . ابراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥ م

٢ . ابراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٣ . ابراهيم السامرائي ، اللغة العربية في العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

٤ . ابراهيم السامرائي ، اللغة والحضارة ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

٥ . أحمد الأخضر غزال ، المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية ، الرباط .

٦ . أحمد تيمور ، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م

٧ . أحمد رضا العاملي ، رد العامي الى الفصيح ، صيدا ، ١٩٥٢ م .

٨ . أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، ١٩٦٥ م .

٩ . تمام حسان ، اللغة العربية ـ معناها ومبناها ، القاهرة ، ١٩٧٣ م .

١٠ . حسن ظاظا ، اللسان والانسان ـ مدخل الى معرفة اللغة ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

١١ . حسن ظاظا ، كلام العرب ـ من قضايا اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
١٢ . عباس حسن ، اللغة والنحو ـ بين القديم والحديث ، القاهرة .
١٣ . عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م .
١٤ . عبد العزيز بنعبد الله ، التعريب ومستقبل اللغة العربية ، الرباط ، ١٩٧٥ م .
١٥ . علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، القاهرة .
١٦ . علي النجدي ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، القاهرة .
١٧ . محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
١٨ . محمد عبده ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، القاهرة ، ١٩٨٠ هـ .
١٩ . محمود السّعران ، اللغة والمجتمع ، رأي ونهج ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٢٠ . محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسماء ، القاهرة .
٢١ . مجمع اللغة العربية ، محاضر والجلسات .
٢٢ . مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
٢٣ . نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة الى اللغة العامية وآثارها في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

الخاتمة

هذه بحوث متفرقة تتجه بصورة شاملة إلى تحقيق هدفٍ سامٍ ، وهو الإجابة عن السؤال الكبير الذي تطرحه الأمة على علمائها وقادتها . وهذا السؤال بالتحديد هو : كيف يمكن أن تصبح اللغة العربية لغة التدريس في جميع مستوياته ومعارفه، ولغة البحث العلمي ، والتقنيات الحديثة ؟

وفي الإجابة عن هذا السؤال ، إجابة عن حاضر أمتنا ومستقبلها . فالعربية جوهر وجود أمتنا ، وأساس وحدتها وهي التي تحدد هويتها . والعربية ليست لغة العرب وحدهم فقط ، بل هي لغة ، شرفها الله سبحانه وتعالى ، بأن جعلها لغة القرآن الكريم . فهي لغة تهمّ كل مسلم ، وبالضرورة فهي اللغة الجامعة بين شعوب الأمة الإسلامية على اختلاف ألسنتها . . . . . لم يقل الإسلام مطلقا باختفاء لغات الشعوب المسلمة ، بل هي شعوب وقبائل متآخية ونامية ومزدهرة في ظل الإسلام ، والعربية لغة القرآن هي اللغة الجامعة بين شعوب الأمة الواحدة . . . أليس من المنطق السليم ومن طبائع الأشياء أن تحتل اللغة العربية مكانتها في السيادة في أوطانها ، وأن تكون اللغة الرسمية للمؤتمرات الإسلامية والندوات الإسلامية التي تعقد في أرجاء الأقطار الإسلامية في الوقت الحاضر . . بدلا من أن تكون الانجليزية أو

الفرنسية أو غيرها من اللغات الأجنبية هي اللغة التي يتفاهم بها المؤتمرون المسلمون أو العلماء العرب !!!

ونحن إذ نقرر هذه القضايا ، فإننا نقررها بالنظرة العلمية والمنطقية بعيدين عن كلّ ميل أو هوى . . . فنحن نرى مثلا أنه كان من أسباب التخلف الحضاري والعلمي والسياسي للخلافة العثمانية إقصاء اللغة العربية عن أن تكون اللغة الرسمية الجامعة بين تلك الشعوب المسلمة التي كونت الدولة العثمانية . . . وتجارب التاريخ أمامنا كثيرة . . .

ومن هنا نقول : هذه ميزة تميزت بها اللغة العربية من حيث هي لغة لا تشاركها فيها أية لغة من اللغات . . .

ومن ناحية أخرى ، فالعربية لغة خالدة بخلود القرآن الكريم ، وهي ثابتة لا تتغير من حيث تراكيبها ونظمها وصرفها ، ولكنها لغة نامية ومتطورة من حيث مصطلحاتها وألفاظها ودلالات معانيها . . . فالاشتقاق بأنواعه والابدال والنحت والنقل والمجاز والتعريب بمعانيه الاصطلاحية التراثية ، من خصائص اللغة العربية ومن طبيعة تكوينها . وهي التي تجعلها حيّة ونامية ومتطورة ، تستطيع مواكبة العصور واستيعاب كل ما يجد من المعارف الإنسانية .

وقد استطاعت العربية أن تجتاز هذه التجربة ، عندما استوعبت حصيلة ما وصل إليه الفكر الإنساني وبقيت اللغة الأولى للعلم والحضارة في العالم عدة قرون . . .

وإن هذه الميزة قد جعلت الناطقين باللغة العربية الفصيحة يستطيعون أن يتصلوا بهذا التراث العربي الاسلامي عبر القرون ، ويستطيعوا أن يستوعبوا كلّ ما ينشر بهذه اللغة الفصيحة من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب . . . فهذه ميّزة تنفرد بها اللغة العربية دون باقي اللغات في العالم . فإن المثقف العربي في الوقت الحاضر يستطيع أن يتفهم النصوص من الشعر الجاهلي وخطب صدر الإسلام ، فضلا عن العصور الأخرى تماما كما يتفهم أي نصّ حديث . . . في حين أن الأمر مختلف جدا بالنسبة للمثقف الانجليزي في الوقت الحاضر وكذلك المثقف الفرنسي والألماني . . . الخ

فاللغة العربية ، على ما هي عليه من حيث هي لغة ، ومن حيث خصائصها التي تجعل منها لغة حيّة نامية قادرة على استيعاب كل ما يجد في مجال المعرفة ، ومن حيث التجربة الخصبة التي مرت بها عبر قرون الازدهار الحضاري العربي الإسلامي ، لا تتحمل أوزار تقصير شعوبها وذوي السلطان فيها . وإن من أهم ما تواجهه هي الغربة في ديارها والانتقاص من سيادتها في أوطانها ، إذا استثينا أقطارا قليلة من الوطن العربي . وقد شاءت السياسات الاستعمارية في صورها المختلفة ، أن تقصي اللغة العربية عن التعليم الجامعي والبحث العلمي ، وأن تحل محلها لغات أجنبية . . .

ولا شك أن هذه السياسات المعادية للغة العربية ستندحر إن آجلا أو عاجلا، لأنها تخالف طبائع الأشياء ، وتستهتر بمنطق الحق والعدل ، وناموس التطور التاريخي للشعوب . وإن من ركائز تعريب

المعرفة عند الإنسان العربي استعمال العربية لغة للبحث والتأليف العلمي إلى جانب وضع المصطلحات العلمية والحضارية والالتزام بالتطبيق العملي فضلا عن تعريب الرموز العلمية والتدريب على استعمالها منذ المراحل الأولى للتعليم . وفي الوقت ذاته ، توضع سياسة تعليمية لمعالجة ظاهرة العجز في التعبير بلغة عربية سليمة كتابة ومشافهة . . .

وإن أهم النتائج التي قادتنا إليها هذه البحوث المختلفة ، أنه لا نهضة حقيقية لأمتنا ، علميا وثقافيا وسياسيا ، إلا من خلال لغتنا العربية الفصيحة . وأن القضية اللغوية تواجه صعوبات تحتاج إلى جهود كبيرة وخبرة للتغلب عليها . . وكلّ هذا ممكن وميسور من الناحية الفنية وأن ذاك كلّه ينتظر قرارا سياسيا تقرره الأمة العربية في أعلى مؤسساتها التشريعية والتنفيذية .

وعلى الرغم من أن الجامعات والمؤسسات العلمية العربية لها دور أساسي في عملية التعريب إلا أن المجامع اللغوية العربية مدعوة للقيام بواجبها التاريخي في اثراء اللغة العربية وجعلها قادرة على مواكبة التطور الهائل الذي يجتاح المعرفة الإنسانية في جميع ميادينها في العلوم والفنون والآداب . . . وأنه لمن المنطق السليم وطبائع الأشياء أن يكون للغة العربية الواحدة مجمع لغوي واحد ، تمده أقطار العروبة المختلفة بأسباب القوة والمنعة ، المادية منها والمعنوية ، كي تمكنه من القيام بدوره الطبيعي في حركة التعريب الشاملة ، وفي كلّ ما من شأنه رفعة اللغة العربية وتقدمها وتحبيبها إلى نفوس أبنائها ، وغرس احترامها في مختلف

الأوساط ، وتوطيد دعائم سيادتها في أوطانها . فاللغة العربية هي الأمة العربية ، والأمة العربية هي اللغة العربية . وبدون هذه اللغة ليست هنالك أمة عربية . فليتدبر أعداء هذه اللغة أمورهم ، وليتلمسوا مواقعهم .

وأخيراً نسأل الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن ينفع بهذا العمل المتواضع ، وأن يجعل لنا من أمرنا رشدا ، وأن يهدينا سواء السبيل . والحمد لله رب العالمين .

عمان في ١٩٨٦/٧/٣٠ م .

فهرست الموضوعات
اللغة العربية والتعريب
في العصر الحديث

المطابع التعاونية - عمان